إبداعات عالمية
355



مسرحيتان من الأدب الأيرلندي

• صناعة تاريخ • ترجمات

تأليف: برايان فريل
ترجمة وتقديم: د. محمود عبدالغني غنوم
مراجعة: محمد الأسعد

أغسطس 2005
تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت



الفنـــان : جيرالـد بيليني - الولايات المتحدة

الضوء الأخضر

- ١٢٥ × ١٢٥ سم

إهــــــــداء2005

المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب

دولة الكويت



مسرحيتان من الأدب الأيرلندي

• صناعة تاريخ

• ترجمات

تأليف: برايان فريل

ترجمة وتقديم : د. محمود عبدالغني غنوم

مراجعة : محمد الأسعد

إبداعات عالمية

تصدر كل شهرين عن

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

www.kuwaitculture.org

E.Mail: ebdaat_alamia@yahoo.com

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	**500** فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد	**10** د.ك
للمؤسسات	**20** د.ك

دول الخليج

للأفراد	**12** د.ك
للمؤسسات	**24** د.ك

الدول العربية الأخرى

للأفراد	**25** دولارا أمريكيا
للمؤسسات	**50** دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد	**50** دولارا أمريكيا
للمؤسسات	**100** دولار أمريكي

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب: **28623** - الصفاة - الرمز البريدي **13147**

دولة الكويت

ردمك ٤ – ١٧٠ – ٠ – ٩٩٩٠٦

رقم الايداع: ١٨.../٢٠٠٥

• صناعة تاريخ

• ترجمات

العنوان الأصلي :

• Making History

• Translations

BY: Brian Friel

عن دار النشر

feber and Feber Limited

3 Queen Square London

Wcin 3 AU

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 2005م

إبداعات عالمية - العدد 355

صدر العدد الأول في أكتوبر ١٩٦٩م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(١٩٢٣ - ١٩٩٠)

مسرحية
«صناعة تاريخ»

مقدمة

يقول برايان فرييل عن مسرحيته «صناعة تاريخ» إنها «خيال ممسرح»، وهو يلقي الضوء فيها على عملية كتابة التاريخ وتفسير «الحقائق». وقد كان الكاتب شون أوفاولين قد نشر سنة ١٩٤٢ كتابا بعنوان «أونيل العظيم»، جاء في نهاية مقدمته أن مسرحيا موهوبا بإمكانه أن يكتب مسرحية ساخرة وممتعة ومثقفة، حول موضوع إنسان على قيد الحياة يراقب - عاجزا - ذاته تترجم إلى نجم في وجه جميع الحقائق التي أدت به إلى الفقر، والنفي، والهزيمة. وقد أنجز فرييل هذا المشروع بكتابة مسرحيته هذه التي مُثلت لأول مرة في جايلد هول في ديري، في شهر سبتمبر سنة ١٩٨٨.

تتمثل الخلفية التاريخية للمسرحية في أن الملكة إليزابيث الأولى أرادت أن تقيم مستعمرة في أيرلندا، فاتبعت سياسة زرع السكان الإنجليز في أولستر سنة ١٥٧٠، فقامت ثلاث ثورات ضد هذا الوضع. اثنتان قام بهما آل ديزموند من مونستر، استطاعت إليزابيث إخمادهما بسهولة. وشارك هيو أونيل ذاته في إخمادهما. أما الثورة الثالثة فكانت ثورة هيو أونيل بالتحالف مع إسبانيا الكاثوليكية، وكانت هذه الثورة أخطر الثورات الثلاث ضد التاج البريطاني. وكانت الملكة قد عينت هيو أونيل، الذي نشأ في بلاطها، قائدا على

أولستر، لكنه اكتشف أنه بدل أن يكون قائدا غاليًا مستقلا أصبح رهينة للمذهب البروتستانتي البريطاني، ولذلك ثار ضد التاج، وحقق انتصارا في معركة يلو فورد سنة ١٥٩٨، لكن الإنجليز هزموه بعد ثلاث سنوات في معركة كينسيل. واضطر هيو أونيل إلى توقيع معاهدة ميليفونت سنة ١٦٠٣، وتمت مصادرة نصف مليون فدان من الأراضي التابعة للثوار الأيرلنديين، وأعطيت للإنجليز المستعمرين، وفضل أونيل وعدد من القادة الأيرلنديين المنفى على البقاء تحت حكم التاج البريطاني، فغادروا إلى روما في هجرة جماعية أصبحت تعرف بهروب الإيرلات.

الموضوع الرئيسي الذي تناقشه المسرحية هو كيفية كتابة التاريخ، وسيجد القارئ أن ثمة طريقتين متصارعتين لكتابة التاريخ في المسرحية؛ يمثل الطريقة الأولى هيو أونيل ذاته الذي يرغب في كتابة تاريخه هو... بكل ما يحتوي من أحداث، سواء كانت أحداثا عظيمة وانتصارات أو أحداثا وضيعة من فقر ومنفى وهزيمة. هيو أونيل يريد تسجيل ما حدث بالضبط من دون تصنيف أو اختيار أو تأويل للأحداث. وتتمثل الطريقة الثانية في أسلوب بيتر لومبارد مطران عموم أيرلندا الذي يشهد الأحداث بنفسه، لكنه حينما يقرر أن يكتب سيرة حياة هيو أونيل، يختار أحداثا منتقاة من أجل أن يشكل منها قصة شائقة للأجيال التالية في أيرلندا، فيصور

هيو أونيل على أنه بطل قومي أسطوري، ونجم في تاريخ أيرلندا يحتذى، ويخوض أونيل معركته الأخيرة مع بيتر لومبارد محاولا أن يقنع المطران ليقول الحقيقة، لكن المطران - المؤرخ يمتلك أيديولوجيته الخاصة، والأحداث بحد ذاتها لا تعني له شيئا، فهو الذي يبني التاريخ بلغته هو وحسب منظوره هو، وهذه الطريقة هي التي تنتصر في نهاية المسرحية.

سيكتشف القارئ أن برايان فرييل يناقش في مسرحيته الدور الخطير الذي يقوم به المؤرخ في عملية صناعة التاريخ؛ فهو الذي يختار ما يناسبه من الأحداث ويضفي عليها المعاني التي تخدم أهدافه، وفي هذا تحول من النظرة التقليدية إلى التاريخ، التي تراه مسجلا أمينا للحقائق، إلى النظرة ما بعد الحداثية التي بدأت بالظهور في السبعينيات من القرن الماضي، التي ترى أن التاريخ ما هو إلا خطاب أو تركيب لغوي تكمن الحقيقة في داخله وليس في خارجه. إن تاريخ ما بعد الحداثة الذي يمثله لومبارد لا علاقة له بالأحداث بحد ذاتها، إذ إن هذه الأحداث لا معنى لها إلا إذا انتظمت في خطاب معين. وبذلك يكون منشئ الخطاب التاريخي مسيطرا سيطرة تامة على ما يريده من هذه الأحداث. إن لومبارد يدرك أيضا تاريخانية الأحداث ذاتها، فهو يقول إن حياة هيو في المستقبل ربما تعاد كتابتها لتخدم هدفا آخر. إذن فنحن

هنا أمام أسلوب جديد في كتابة التاريخ، إذ لم يعد ثمة تاريخ واحد بل عدة تواريخ، ولذلك فإننا نجد أن هيو أونيل لا يصنع التاريخ، بل إن التاريخ هو الذي يصنعه.

واضح إذن من خلال المسرحية أن ما يبنيه لومبارد هو قصة خيالية لا تمت إلى الحقائق بصلة، ما خلا الاحتفاظ باسم هيو أونيل الذي يتحول إلى بطل أسطوري، على الرغم من الهزيمة والفقر والنفي. فالهزيمة والفقر والنفي لا تخدم حاضر أيرلندا أو مستقبلها، ولذلك فإن لومبارد لا يتحدث عنها أبدا في تاريخه؛ كما أنه لا يتحدث عن تسع سنوات قضاها أونيل في لندن في بلاط الملكة، ولا عن مايبل زوجة أونيل البروتستانتية، ولا عن موقعة كينسيل حيث هزم أونيل شر هزيمة. بل يتحدث لومبارد عن سلالة أونيل وأجداده، وعن قدرته على توحيد رؤساء القبائل الغاليين حوله، وتجميع أكبر حملة ضد التاج البريطاني بالتعاون مع إسبانيا الكاثوليكية.

إن ثقافة أونيل هجينة، وتاريخه هجين. فهو ليس أيرلنديا غاليا فقط، بل فيه جزء بريطاني. وحياته تمثل التقاطع بين الثقافتين الغالية والإنجليزية. وتاريخه هجين، لأنه حارب مع قوات التاج البريطاني ضد ثورات آل ديزموند، ثم انقلب هو ذاته على التاج البريطاني. وسيتبين القارئ أن المسرحية تعرض علينا شخصين مختلفين: هما هيو أونيل البطل الأسطوري، وهيو أونيل المهزوم والفقير المنفي، الثمل. هذان

الشخصان النقيضان ربما ينتج عنهما شخص ثالث ورابع وخامس... إلخ، لأن التاريخ ليس تاريخ الماضي، بل هو تاريخ الحاضر الذي يكتب فيه التاريخ، بما يحكم هذا الحاضر من أيديولوجيات ورؤى قومية.

الأمر الإيجابي في المسرحية هو أن فرييل يعرض مسألة كتابة التاريخ بأقلام المستعمَر وليس المستعمِر البريطاني. فبيتر لومبارد أيرلندي متحمس يحاول مقاومة الاستعمار البريطاني الذي استباح وطنه، وتاريخه الذي يكتبه هو بصورة من الصور تاريخ مقاومة وانتصار ضروري للأجيال القادمة.

أما تصوير فرييل للشخصيات فقد كان ناجحا بعامة، إذ جاءت شخصياته مقنعة، وبخاصة الشخصيات الرئيسية: أونيل ولومبارد وهاري هوفدين وأدونيل.

فشخصية أونيل تكاد تخرج من بين السطور من شدة واقعيتها، إذ أحسن فرييل تصوير الصراع الداخلي الذي عاشته الشخصية من بداية المسرحية حتى نهايتها، وأونيل شخصية مركبة ثقافيا؛ فهو لا يمثل الثقافة الغالية النقية، فقد درس وتعلم في بريطانيا، وعاش لدى الطبقة الأرستقراطية طيلة تسع سنوات، كما أنه تزوج من مايبل، وهي بريطانية بروتستانتية.

أما شخصية لومبارد، فإنها تمثل رجل الدين السياسي الذي يحاول جمع التحالفات لمصلحة بلده. وهو يمثل الشعور

القومي المقاوم للغزو البريطاني، ويأخذ لومبارد على عاتقه كتابة تاريخ أونيل من وجهة نظر قومية تحتاج إليها المرحلة الحاضرة؛ فيصوره على أنه بطل أسطوري؛ مما يستدعي كتابة جديدة للتاريخ تأخذ من الأحداث ما يناسبها وتستبعد الأحداث غير المناسبة، وتنتهي المسرحية بمعركة حامية بين أونيل ولومبارد: أونيل الذي يريد للتاريخ أن يذكر الحقيقة من معارك وهزائم ومنفى وفقر... إلخ، ولومبارد الذي يصنع التاريخ حسب وجهة نظره هو، بما يناسب طموحات شعبه، وبالطبع ينتصر لومبارد في النهاية.

وتمثل شخصية أودونيل الصديق المخلص لأونيل، والقائد المتهور الذي لا يستطيع التخطيط، بل يقبل كل ما يطلب منه، ونراه بعد موقعة كينسيل يخبر أونيل بأسماء القادة الذين استسلموا، ويقرأ مع أونيل خطاب استسلامه للملكة. لكنه يتنازل عن قيادة قبيلته لأخيه الذي يعتبره أودونيل أكثر حكمة منه. وكما يذكر في النهاية فالأرض تبقى محبوبة الجميع، والمحبون هم الذين يتبدلون.

أما شخصية ميبل - زوجة أونيل - فإنها تبدو أكبر من الواقع، إذ بدت أكثر قدرة من زوجها على التخطيط الإستراتيجي للمعركة؛ نصحته ألا يضع كل ثقله في اتجاه واحد، وأن إسبانيا ستخذله فالحرب ليست حرب إسبانيا، وأن بريطانيا سوف تحارب بكل ثقلها حتى تخمد ثورته، وهذا ما

حدث فعلا. ويتساءل القارئ: من أين لها كل هذه الخبرة في المسائل العسكرية والإستراتيجية؟!

وتمثل شخصية هاري هوفدين البريطاني القديم المخلص لأونيل، الذي يظل مخلصا له حتى النهاية، حين يذهب أونيل إلى المنفى فقيرا ومهزوما.

نبذة عن المؤلف

ولد برايان فريل في أوماج التابعة لمقاطعة تايرون في سنة ١٩٢٩. له أعمال مسرحية كثيرة منها المسرحيات التالية: «يا فيلادلفيا ها آنذا قادم»، «غراميات كاس ماجوير»، «عشاق»، «حرية المدينة»، «المتطوعون»، «أماكن العيش»، «شافي الإيمان»، «الرقص في لوجناسا»، «وتر الاتصال» و«صناعة التاريخ». ومسرحيات أخرى إضافة إلى مجموعة مبكرة من القصص القصيرة. أسس في سنة ١٩٨١ بالتعاون مع ستيفين ريا شركة الـ فيلد داي للمسرح المتنقل.

يقول مايل إيثيرتون عنه في كتابه «مسرحيون أيرلنديون معاصرون» ما يلي:

يعد برايان فريل واحدا من أغزر وأشهر المسرحيين الذين يكتبون بالإنجليزية في هذه الأيام. تطور عمله حول رؤية شعرية مركزية أوجدت ونمت لغة مسرح قادرة على نقل الأفكار

الصعبة. هذه اللغة المسرحية تنجح من خلال حساسيات شعرية أوسع نشترك بها مع الكاتب المسرحي لكننا فقدناها. يجعل برايان فريل أفهامنا أكثر حدة، ويمنحنا القدرة على فهم وضعنا الإنساني، وسخريات عصرنا وتناقضاته العميقة. وهذه هي رؤيته الشعرية.

المترجم

د. محمود عبدالغني غنوم

شخصيات المسرحية

هيو أونيل: إيرل تايرون

هاري هوفدين: سكرتير أونيل الخاص

هيو أودونيل: إيرل تايركونيل

بيتر لومبارد: مطران أرماغ الشرفي ورئيس أساقفة عموم أيرلندا

ميبل كونتيسة: زوجة أونيل

ماري باغينال: أخت ميبل

الفصـــل الأول

قبل موقعة كينسيل

المشـهد الأول
(منزل أونيل في دونجانون)

حـجـرة جلوس واسـعـة في منـزل أونيـل في دونغـانـون في مـقـاطعـة تايـرون في أيرلـنـدا. أواخــر أغـسـطـس (آب) ١٥٩١م. الحـجـرة فسيحة ومؤثثة بصورة شحيحة: طاولة كبيرة من النوع الطويل الضيق ثقيل القوائم، بعض الكراسي والمقاعد وخوان، ولا يوجد أي نوع من أنواع الزخرفة.

يتنقل أونيل في هذه الغرفة التي تنقصها أسباب الراحة بسرعة وحيوية، وهو يقطع سويقات الأزهار بصورة تنم عن قلة الخبـرة، ويضع الأزهار في مزهريات متنوعة، ثم يضيف إليها الماء. إنه لا يصـغي إلى هاري هوفـدين الذي يراجع ويقرأ عدة أوراق مختلفة على الطاولة.

أونيل في الحادية والأربعين من عـمـره. وهو رجل منعزل حاد الذهن ودّي وثرثار على نحو غير مميز في هذه اللحظة، يتحدث دائما بلكنة إنجليزية تخص الطبقة العليا ما عدا في تلك المناسبات التي يحدده فيها النص المكتوب. أمـا هاري هوفـدين، سكرتيـره

الشخصي، فهو في سن أونيل نفسه تقريبا. ويصفه أونيل بأنه رجل «يملك تأثيرا مريحا ومهدئا».

هاري: هذا في ما يتعلق بيوم الجمعة. وفي يوم السبت حتى الآن لا توجد لديك التزامات طيلة النهار. وفي يوم الأحد، الذي يصادف الرابع عشر، ستكون عند أوهاجان في توليهوج. هناك حفلة تعميد كبيرة. لقد وصلت الدعوة يوم غادرت. وقلت بأنك ستلبي الدعوة. أليس كذلك؟

(وقفة).

إن أول طفل للشاب برايان: أنت حضرت حفلة زفافه في السنة الماضية. سيكون يوما سعيدا.

(وقفة)

هيو؟

أونيل: نعم؟

هاري: منزل أوهاجان، حيث نشأت.

أونيل: قل لي مرة أخرى، ما اسم هذا النبات؟

هاري: رتم.

أونيل: رتم، هو ذاك.

هاري: الاسم اللاتيني هو جينيستا Genesta، ويشير إليه فيرجل في مكان ما.

أونيل: هل فعل هذا حقا؟

هاري: في الحقيقة، جينيستا هذه مصدرها إسبانيا.
(ينظر أونيل إلى الأزهار مندهشا).

أونيل: يا إلهي هل هذا صحيح؟ رتم إسباني، اسم رائع، أليس كذلك؟

هاري: أعطها الكثير من الماء.

أونيل: لونها رائع، أليس كذلك؟

هاري: هذه رسالة من رئيس البرلمان ـ

أونيل: إنها حقا تغير شكل الغرفة. فكرتك هذه رائعة يا هاري. شكرا لك.
(يلفظ أونيل بصمت كلمة جينيستا مرة ثانية ثم يواصل توزيع الأزهار).

هاري: رسالة من رئيس البرلمان «يلح عليك فيها بشدة أن تجعل ابنك الأكبر يلتحق بكلية الثالوث الواحد المقدس المنشأة حديثا في دبلن والتي أوجدتها الملكة إليزابيث الجليلة».
إن عبارة «يلح بشدة» تبدو مشؤومة، أليس كذلك؟

أونيل: ماذا قلت؟

هاري: السير وليام فيتزوليام يريد منك أن ترسل هيو الصغير إلى كلية الثالوث الجديدة. لقد قيل لي إنه يحاول إقناع كل الأسر الغالية الكبيرة لترسل أبناءها إلى هذه الكلية.

إنه يودّ ردا سريعا.

أونـــيـــل: هذه الستـرة، مـا رأيك يا هاري؟ ليست مفرطة... إلى حد ما... أليس كذلك؟

هـــاري: مفرطة؟

أونـــيـــل: أنت تعلم... فاقعة اللون... قليلا؟

هـــاري: فاقعة؟

أونـــيـــل: حسنا، اللعنة، شبابية جدا؟

هـــاري: (ينظر في أوراقه) إنها مناسبة جدا يا هيو.

أونـــيـــل: أتعتقد ذلك؟ ربما كان عليّ أن أحصل على واحدة بلون أحمر داكن.

(يخرج ليجلب مزيدا من الأزهار).

هـــاري: هذه رسالة تذكير بأن مهرجان العازفين السنوي سيقام الشهر القادم في روزكومون. لقد غيروا المكان إلى روسكي. أنت راعي المهرجان وسوف يشرفهم إذا ما افتتحت الحدث ببضع...

(يكتشف الآن أنه بمفرده، يتصفح أوراقه. وقفة قصيرة. يدخل أونيل ثانية بأزهار ملء يديه).

أونـــيـــل: جينيستا.

هـــاري: نعم.

أونـــيـــل: رتم إسباني.

هـــاري: حقا؟

أونـــــيـــــل: إنها تحتاج إلى الكثير من الماء.

هـــــــــاري: هنا مـشكلة بسـيطة. يقـول أوكين من ليـمافـادي، إنه لا يستطيع دفع إتاوته إلى أن يُضمَن الحصاد، وحتى يحين ذلك فإنه يرسل عشرة براميل صغيرة من الزبدة وعشرين برميلا من البيرة. إنه يكذب كالعادة. ربما تكون فكرة حسنة أن نؤوي إليه خمسين جنديا إضافيا للربع التالي. وهذا سيكون درسا له. السير جاريت مور يدعوك إلى أن تزوره في ميليفونت آبي وتقضي معه بضعة أيام في اصطياد السمك في بوين. يقول إنه أفضل فصل سمك سلمون مر عليه. رئيس البرلمان سيكون هناك، والسير روبرت جاردنير. أنت عرفته حين كنت في إنجلترا، أليس كذلك؟

أونـــــيـــــل: من هذا الشخص؟

هـــــــــاري: السير روبرت جاردنير، وزير العدل.

أونـــــيـــــل: أوه، كان هذا قبل خمس وعشرين سنة. لم أره منذ ذلك التاريخ.

هـــــــــاري: ربما يكون تجديد تلك الصداقة الآن أمرا بالغ الأهمية.

أونـــــيـــــل: (بلهجة مقاطعة تايرون) فقط لأريه أنني لم ارتد ارتدادا تاما إلى رمز، أليست هذه هي القضية؟

هـــــــــاري: لأسباب سياسية.

أونـــــيـــــل: سنرى. هل وصل العازفون؟

هـــــــــاري: نعم.

أونـــــيـــــل: والنظّامون والبهلوانات؟

هـــــــــاري: لقد أخبرتك، كل شيء جاهز.

أونـــــيـــــل: وأنت متأكد أن أحدا لم يسمع أي همسة؟

هـــــــــاري: قلت إنك في دبلن تحضر اجتماعا للمجلس. كل شيء تحت السيطرة.

أونـــــيـــــل: جيد.

(يتابع أونيل انشغاله بأزهاره).

هـــــــــاري: هناك المزيد من المشاكل: آل ديفلن وآل كوين يمسك أحدهما بخناق الآخر مرة أخرى. آل كوين على أراضي آل ديفلن ثلاث مرات في الأسبوع الماضي، وقتلوا خمس نساء وطفلين، وسرقوا ماشية وخيولا، وأحرقوا كل حقل قش وقع بصرهم عليه. يذكرك آل ديفلن مرة أخرى، كما يقولون، أن لهم الحق في توقع الحماية من رئيسهم، وأنه إذا لم يستطع هيو أونيل توفير الأمن والعدل لهم في ظل قانون بريهون، فإنهم سيبحثون عن الحماية في ظل القانون الإنجليزي الجديد. وسيفعلون ذلك، أيضا.

أونـــــيـــــل: أعرف ما سأفعله يا هاري.

هـــــــــــاري: هذا نزاع يحتاج إلى تسوية سريعة.

أونـــــيـــــل: سأحول الغرفة في الطابق العلوي إلى غرفة نومنا، وسوف أنقل تلك الوديعة من السروج الإسبانية إلى الأسفل إلى الغرفة الخلفية. يجب أن تكون هذه السروج أقرب إلى الاسطبلات على أي حال. الغرفة في الطابق العلوي تواجه الجنوب، وهناك إطلالة جميلة على النهر في الأسفل. ألا تتفق معي في هنا؟

هـــــــــــاري: ولمَ لا؟

أونـــــيـــــل: ممتاز.

(يعود أونيل إلى أزهاره).

هـــــــــــاري: أخبار سيئة من لندن. لقد أُلقي القبض على إسيكس الشاب وزجوا به في سجن القلعة.

(يتوقف أونيل عن العمل)

أونـــــيـــــل: ما السبب؟

هـــــــــــاري: هناك قائمة اتهامات. أحدها الخيانة.

أونـــــيـــــل: اللعنة.

هـــــــــــاري: «وذلك بسبب تباحثه سرا مع أحقر وأوضع خائن عاش على وجه البسيطة، هيو أونيل، بأسلوب ينم عن عدم الإخلاص إطلاقا لجلالة الملكة إليزابيث».

أونـــــيـــــل: اللعنة.

هـــــــــــاري: كان مولعا بك.

أونـــيـــل: وأنا كنت معجبا به - رغم كل شيء.

هـــــاري: أعرف.

أونـــيـــل: رجل مجنون.

(وقفة قصيرة).

هـــــاري: هاري: ماذا هناك أيضا؟ هيو أودونيل وبيتر لومبارد يريدان رؤيتك.

أونـــيـــل: حسنا. في يوم ما من أيام الأسبوع القادم.

هـــــاري: إنهما هنا يا هيو.

أونـــيـــل: الآن؟!

هـــــاري: ينتظران في الخارج.

أونـــيـــل: أوه، لا تمزح، يا هاري! أنا نادرا ما أكون في البيت...

هـــــاري: يعلم أودونيل أنك في البيت. ولا يزال الأسقف هنا ينتظرك منذ أربعة أيام. وقد أنجز قدرا هائلا من العمل (يشير إلى كومة أوراق ضخمة). هذا نصف ملفه فقط.

أونـــيـــل: أوه، يا إلهي. حسنا - سأمنحهما عشر دقائق لا غير.

هـــــاري: هل علمت أنه بدأ بكتابة كتاب عنك؟

أونـــيـــل: (منتبها فجأة) لومبارد؟

هـــــاري: هذا ما أخبرني به.

أونـــيـــل: لدينا مؤرخنا الخاص للأحداث.

هـــــاري: هو يعلم هذا.

أونــــــيــــــل: كتاب من أي نوع؟

هـــــــــــاري: قال شيئا عن تاريخ، لا أعرف، يخيل إلي أنه «حياة هيو أونيل وعصره».

أونــــــيــــــل: كان عليه أن يخبرني بهذا.

هـــــــــــاري: لقد أمضى يوم الثلاثاء كله يدقق التواريخ معي.

أونــــــيــــــل: لا أعتقد أن هذه الفكرة تروق لي أبدا.

هـــــــــــاري: ربما أخطأت فهم الأمر كله. اسأله بنفسك. وهذه (رسالة) ينبغي أن تقرأها بنفسك. لقد وصلت منذ بضع ساعات.

أونــــــيــــــل: ما هي؟

هـــــــــــاري: من نيوري.

(يمد يده بالرسالة الى أونيل. يهم أونيل بأخذها، ثم يسحب يده).

أونــــــيــــــل: من بيجنال؟

هـــــــــــاري: بيجنال.

أونــــــيــــــل: هل هو أبوها أم أخوها؟

هـــــــــــاري: أخوها.

أونــــــيــــــل: أعطني ذلك! لا، لا، اقرأها لي.

هـــــــــــاري: «من السير هنري بيجنال، قيم مراسيم الملكة، نيوري إلى السير هيو أونيل، إيرل تايرون، دونجانون...».

(أونيل يطقطق أصابعه نافد الصبر).

(متردداً) إنها... إنها مجرد قائمة من الاتهامات والإهانات الشخصية. إن زواجك الأول لم يفسخ فسخا مناسبا، ولهذا كان زواجك الثاني غامضا. وكذلك الزواج الثالث بالطبع.

أونيل: ابن ....

هاري: إنه يهدد برفع دعوى ضدك بتهمة الاختطاف.

أونيل: ما الذي يتحدث عنه؟

هاري: لأنها تحت سن الحادية والعشرين.

أونيل: «اختطاف»!

هاري: إنه يهدد بالمجيء ليعيدها بالقوة.

أونيل: وحق المسيح! هي بالتأكيد ليست هيلين طروادة (يأسف على قوله هذا فورا). وما تلك؟

هاري: وضعنا أيدينا على نسخة من رسالة كتبها إلى الملكة: «إنني أشعر بالخزي والعار العميقين أن يكون على دمي، الذي أرقته أنا وأبي في غالب الأحيان لقمع هذا العرق المتمرد، أن يمتزج الآن بدم سلالة خائنة مثل هذه».

أونيل: «دمي»! هجين ستافوردشاير!

هاري: إنه سيثير المتاعب يا هيو.

أونيل: لا غرابة أن يدعوهم شعراؤنا بلقب محدثي

نعمة، هذا هو كل شأنه.. محدث نعمة لعين!
تجاهله. سوف يتبجح لبضعة أيام. أنا ذاهب
لأتفقد غرفة النوم تلك.

(وهو يهم بالخروج يدخل كل من أودونيل
ولومبارد).

أودونيل رجل في ريعان شبابه في أوائل
العشرينيات من عمره، مندفع ومتحمس
وسخي، ويكِّن حبا عظيما لأونيل.

أما الأسقف لومبارد فهو في سن أونيل. من
حيث المهنة فهو دبلوماسي كنسي، يظهر
حرصا ودقة في سلوكه. لكنه أيضا رجل نكتة
وذكاء، ولم تقلل مهنته على أي حال من
الأحوال من شأنه، يحمل الآن شمعدان
ضخما وقفص طيور أنيقا.

أودونيل: عرفتُ أنني سمعت الصوت!

أونيل: الشاب أودونيل!

أودونيل: كيف حالك يا رجل؟

أونيل: تسرني رؤيتك يا هيو، أهلا بك.

أودونيل: تسرني رؤيتك أيضا.

(يتعانقان بحرارة كبيرة).

إنني لم أرك منذ سباحة الخيول في
لوف أويل - في اليوم الذي ركبت الـ...!
(يتوقف فجأة) يا إلهي، أيها الشبان، ماذا عن

ذلك - ها؟ أليس ذلك منظرا للعيون الرمداء!

أونـيـل: هل تحبه؟

أودونـيـل: أراهنكم أن ذلك عمل رائع - ها؟

أونـيـل: بالطبع.

أودونـيـل: ورائحته العطرة!

أونـيـل: بيتر.

لـومـبـارد: كيف حالك يا هيو؟

أونـيـل: أهلا بعودتك إلى دونجانون.

لـومـبـارد: أشكرك.

أودونـيـل: لم يمض على وفاة أختي البائسة سبعة شهور وأراهن أنك أيها التافه تبحث عن فريسة مرة ثانية! (إلى هاري) ألست على حق؟ (يبسط هاري كفيه).

لـومـبـارد: هذه هدايا لك يا هيو من البابا.

أونـيـل: ما كل هذا؟

لـومـبـارد: قفص طيور فضي، وشمعدان من ذهب وفضة.

أودونـيـل: انظر إلى هذه الصنعة المتقنة.

أونـيـل: جميلة. لطيفة حقا.

أودونـيـل: لقد أرسل لي هدية أيضا. حزر ما هي، إنها بركة بابوية!

لـومـبـارد: (إلى أونيل) مع أحر تمنياته الطيبة.

أونـيـل: ليس معنى هذا أنه يكافئني ويصرفني من

الخدمة، هل صرفني؟

لـومــــبــــارد: إنه يساندك بقوة من حيث المبدأ.

أونــــيــــل: هو يساندني دائما. ولكن... ألا نقود؟

لـومــــبــــارد: هذه أشياء تستغرق وقتا يا هيو. لدي رسالة منه إليك أيضا.

أونــــيــــل: (يتحدث جانبا إلى هاري) تحرَّ تلك الغرفة الآن. (إلى لومبارد) إذن لقد عدت للتو من روما؟

لـومــــبــــارد: لقد وصلت البيت قبل أسبوع منذ الأحد الماضي. جئت مرورا بإسبانيا. ولدي الكثير لأقوله.

أونــــيــــل: جيد. هلا جلست هنا يا بيتر؟

(يخرج هاري. يذهب أودونيل إلى الخوان حيث توجد زجاجات وخمرة وكؤوس).

لـومــــبــــارد: (يجلس) شكرا لك.

أودونــــيــــل: هل بإمكاننا أن نقوم بخدمة أنفسنا، يا هيو؟

أونــــيــــل: طبعا. آسف. تفضل بيتر؟

لـومــــبــــارد: ليس بي رغبة. شكرا. لدي هنا نسخٌ للجميع.

أودونــــيــــل: هل تعلم أن أرض القاعة هناك سوف تنهار بسبب النخر الجاف؟

لـومــــبــــارد: هذه كل المراسلات الأخيرة مع إسبانيا... قضيتنا التي رفعناها إلى فيليب الثاني وردوده، بما في ذلك رده الأخير الذي لم تره بعد.

أودونيل: لدينا نخر جاف في المنزل في بالي شانون وكان على أمي أن تنتزع كل قطعة من الخشب حيث مكان النخر.

لومبارد: وهذه خلاصة لشرحي، وهي عبارة عن أطروحة أعمل على إنجازها فيما يتعلق بالوضع في أيرلندا. قضيتي باختصار هي هذه: بسبب سوء إدارتها ادعت إنجلترا حق السيطرة على هذا البلد. وأجبر الزعماء الأيرلنديون على حمل السلاح دفاعا عن دينهم. وبسبب محتدك وثقافتك وسماتك الشخصية، فأنت القائد الطبيعي لهذه الثورة. وسوف أفصِّل لك هذا في وقت لاحق.

أودونيل: أتعلم ما فعلت أمي؟ لقد نزعت خشب البلوط من حطام أسطول الأرمادا المتناثر على الساحل، وبدلت به كل أرضية غرفة ونافذة في المنزل. إنه عمل رائع. وبإمكانك أن تجعل حصانا يعدو فوق أرضيات تلك الغرف الآن. عليك أن تفعل هنا مثلما فعلت أمي، يا هيو.

أونيل: ويبلغني أنك تكتب تاريخنا يا بيتر؟

لومبارد: آه، ذلك كان كلام هاري.

أونيل: هل بدأت؟

لومبارد: لا، لا، فقط أتحقق من بعض الأحداث والتواريخ.

أونيل: وماذا بعد أن ينتهي تحقيقك؟

لومبارد: عندئذ أعتقد أنني سأحاول ترتيب المادة في شكل معين - في نهاية المطاف.

أونيل: وتفسر ما قمت بجمعه؟

لومبارد: لا أفسر يا هيو، بل أصف وحسب.

أونيل: من دون تعليق؟

لومبارد: سوف أحاول فقط أن أروي قصة ما رأيته وشاركت فيه بقدر ما أستطيع من دقة.

أونيل: لكنك ستقول الحقيقة؟

لومبارد: أنا لست مؤرخا يا هيو... ولست حتى واثقا من أنني أعرف ما هي وظيفة المؤرخ، ناهيك عن الحديث عن منهجه.

أونيل: لكنك ستروي الحقيقة؟

لومبارد: إن كنت تسألني فيما إذا كانت قصتي ستكون دقيقة قدر الإمكان، فإنها ستكون كذلك بالطبع. لكن هل الحقيقة والزيف هما المعيار الملائم؟ لا أدري. ربما عندما يحين الوقت ستكون مسؤوليتي الأولى هي رواية أفضل حكاية ممكنة. أليس هذا هو التاريخ، نوع من سرد قصة؟

أونيل: هل هو كذلك؟

لومبارد: إنه فرض نسق على الأحداث التي كانت عرضية في مجملها ووقعت مصادفة، ثم

صياغتها في رواية تكون منطقية وشائقة.
أوه، نعم، أعتقد ذلك.

أونـيـل: وأين مكان الحقيقة في كل هذا؟

لومبارد: لست واثقا من أن «الحقيقة» عنصر رئيس... هل يسبب قول أمر مثل هذا صدمة؟ ربما عندما يحين الوقت، سيعادل الخيال المعلومات في الأهمية. لكنني أعدك بشيء واحد: لن يكتب شيء على الورق لسنوات وسنوات. فالتاريخ يجب أن يصنع قبل أن تعاد صناعته.

(يعود هاري).

هـاري: لقد تم الاهتمام بالأمر.

أونـيـل: حسنا، والآن، دعونا نجعل هذا قصيرا ورشيقا، أليس كذلك؟ ماذا يوجد على جدول الأعمال؟

هـاري: حصل هيو على معلومات تقول إن الإنجليز يخططون لتحصينات جديدة على طول الـ...

أودونيل: هل تعرف ما ينوي الإنجليز فعله؟ سيبنون خطا من القلاع عبر البلد، بدءا من دندالك وحتى سليجو. وهذا ما سيفصلنا عن الجنوب (يوضح هذا بتمزيق ورقة إلى نصفين). والمرحلة الثانية هي أن يبنوا قلعة ضخمة في ديري بحيث يفصلون بيننا (ويوضح هذا

بتمزيق نصف الورقة إلى جزأين). بعد ذلك، عندما تعزل كل من دونيجال وتايرون، سيخططون عندها لمهاجمة كل واحد منا على حدة.

هاري: والأسقف لديه أنباء بشأن مساعدة من إسبانيا.

لومبارد: لدي رسائل من كل من الملك و...

أودونيل: ولكن خطوتهم الأولى هي تقوية القلاع التي بحوزتهم الآن: موقع بيجنال في نيوري وآرماغ وبلاك ووتر.

لومبارد: (وهو يوزع الأوراق على من حوله) لقد أمضيت وقتا طويلا في مدريد منذ وقت قريب يا هيو، وأستطيع أن أقول لك إن أوروبا تنظر نحونا بصورة متزايدة على أننا نقطة الانطلاق المثالية من أجل حركة الإصلاح المضاد.

أودونيل: ثمة شيء آخر أود الحديث حوله: أودوهيرتي الحقير هناك في إينيشون. هل تعلم ما يقوم به هذا الخسيس يا هيو؟ يختطف كل شيء وصولا إلى كيليبيجز، سارقا أغنامنا، ويشحنها بحرا إلى فرنسا! يدير شغل تصدير كبير جدا... بأغنامي!

لومبارد: انتهت صدمة حركة الإصلاح الأولى. وأوروبا الكاثوليكية تتجمع الآن للقيام بحركة إصلاح

مـضـادة. وهـناك شـعـور بأننا من الناحـيـة الثـقـافيـة والجـغـرافيـة يمكننا أن نصـبح، مع بعض الدعم الـعـسـكري، رأس الرمح فـي هذا الهجوم المضاد.

أودونـيـل: والآن أستطيع الدخـول اليـوم واخـتـطف هذا الحـقـيـر وأقطع رأسـه. لكنني إن فـعلت هذا فسوف يحـمل جـميع سكان إينشوين السـلاح، ومـن قـبـل ثـار ضـدي أوروركـي من ويسـت بريفني وهو يهدد بتقطيعي.

(ينضـم أودونيل الآن إلى الآخـرين الجـالسين إلى المائدة). هل سـمـعتم مـا فـعلنا بـ أوروركي في الأسـبـوع الماضي؟ يا إلهي، سـوف تحب هذا يا هـيـو. وصلنا خـبـر بأنه كـان في كليـر يحـضـر جنازة. وهكـذا تسللنا إلى لاف ألين وسـرقنـا كل حـصـان ومـهـر لديه! سـتـمـائة من الحيـوانات المتـازة، يا إلهي، سيـجـن! لأنه لا يستطيع أن يطاردنا! إذ ليس لديه وسيلة نقل! هذه ضربة جيدة يا هيو - ها؟

هـاري: دعنا نبدأ برئيس الأساقفة، هلا بدأنا؟

أودونـيـل: ستسـاعدني ضد الحقير أودوهيرتي، هل تفعل؟ لأنني إن لم أفعل شيئا فسيظن أنه غلبني.

هـاري: اجلس هناك يا هيو.

أودونـيـل: اللعنة، ربما استطيع تسـمـيـمـه! هـذا هو مـا

يجب! أرسل له هدية سلام - صندوقا من نبيذ بوردو الخاص!

لومبارد: هل لدى كل واحد نسخة؟

أودونيل: أو من الأفضل أن ترسل له أنت (مخاطبا أونيل) هدية بوردو. لن يراوده أدنى شك فيك أبدا. لدي جرة من هذه القاتلة المميتة من جنوة وصلتني الأسبوع الماضي... تكفي نقطة واحدة فقط في كأسك ثم... تكون نهايتك.

هاري: تابع يا بيتر.

لومبارد: شكرا لك. ثلاثة شهور...

أودونيل: الأمر سيان أن تستغرق السترة سنوات من عمره.

لومبارد: لو سمحت، يا هيو (مخاطبا أودونيل).

أودونيل: لن يخطر على بالك أبدا أنه كان في الحادية والأربعين، أليس كذلك؟ اثنتان وأربعون تقريبا (يعطي فرصة الكلام للومبارد)... بيتر.

لومبارد: منذ ثلاثة شهور خلت كتبت أنت (مخاطبا أونيل) مرة ثانية إلى فيليب تطلب أسلحة ونقودا إسبانية. لديك نسخة مؤرخة في الرابع عشر من مايو الماضي.

أودونيل: ليس لدي أي نسخة.

(يشير هاري إلى ورقة أمام أودونيل).

آه، آسف.

لومبارد: تقول الجملة الأخيرة «بمساعدة مثل هذه نأمل أن نجدّد إيمان الكنيسة ونضمن لك مملكة».

أودونيل: لم أوافق أبدا على هذا اللغو عن تقديم مملكة إليه.

لومبارد: لقد عدت برده، وتاريخ الوثيقة هو الثالث من أغسطس: «لقد نما إلى علمي أنكم تدافعون عن القضية الكاثوليكية ضد الإنجليز. والدليل على أن الله يبارك هذا الأمر هو الانتصارات التي حققتموها».

أودونيل: ليس ضد الحقير أودوهيرتي.

لومبارد: «وآمل أن يستمر تقدمكم وأرجو ألا يساوركم أدنى شك في أنني سأرسل إليكم أي مساعدة قد تطلبونها»... الآن وبعد كل هذه السنين أعتقد أن لدي فكرة واضحة كيف يفكر البلاط الإسباني. تعاطفهم معنا وفهمهم لنا أمران طبيعيان لأننا نشترك في العقيدة الصحيحة الواحدة. وهم يمقتون بصدق محاولة إنجلترا فرض الدين الجديد المارق علينا. ولكن لا تفترض أن ذلك التعاطف بلا قيد، لأنه ليس كذلك. اهتمامهم بنا عملي وسياسي. لقد أنجزت سلسلة من اللقاءات مع دوق ليرما...

أودونيل: بغض النظر عمن هو.

لومبارد: إنه يحدّد سياستهم الخارجية. وفي كل مرة يقول لي الشيء ذاته: إسبانيا ستساعدكم فقط إن كنتم مفيدين لنا. وحينما أنظر إليكم ماذا أرى؟ جزيرة صغيرة تقع إستراتيجيا إلى الغرب من عدونا، إنجلترا. وجزء صغير من تلك الجزيرة، المنطقة الواقعة حول دبلن، تحت الحكم الإنجليزي.

وبعض الأسر الإنجليزية الجديدة تعيش في عزلة في أنحاء البلاد. ولكن الجزء الأعظم من جزيرتكم هو منطقة غالية Gaelic يحكمها زعماء غاليون إلى حد كبير. وكيف يتصرفون؟ إنهم في حالة حرب مستمرة، أحيانا مع الإنجليز، ولكن دائما في ما بينهم... دائما. وكيف يمكن لقبائل ممزقة متحاربة أن تكون ذات فائدة لنا؟

أودونيل: متحاربة باستمرار؟ يا إلهي، ليس لدي أي عدو في هذا العالم!

لومبارد: لكن ما يقوله ليرما حقيقة هو أننا إذا استطعنا أن نشكل من أنفسنا وحدة متماسكة، عندها، عندها يمكننا أن نعود إليه ونقول: إننا لسنا ممزقين، إننا لسنا متحاربين؛ إننا شعب متحد؛ والآن ساعدونا. والآن عودة إلى ما لدي من سجل الأحداث.

هي الوثيقة ذات الغلاف الأزرق، العنوان الكامل هو «سجل أحداث تمليك جزيرة أيرلندا قانونيا».

أودونيل: ليس لدي أي...

(يشير هاري إلى الوثيقة أمامه)

آه، أنا آسف.

لومبارد: أطروحتي هي ما يلي: إذا أردنا أن نفهم الوضع الأيرلندي فهما تاما، يجب أن نعود إلى الوراء أكثر من أربعمائة عام، إلى ذلك السابع عشر من أكتوبر الشهير، حينما نزل هنا هنري الثاني ملك إنجلترا، وفي يده نسخة من مرسوم البابا أدريان الرابع المجد، والذي جعل منه سيد أيرلندا.

أودونيل: أيا كان ما يعنيه هذا.

لومبارد: ملك أيرلندا. وكان لذلك المرسوم البابوي تبعتان...

أونيل: لقد تزوجتُ ليلة أمس.

(يخيم صمت طويل مليء بالدهشة).

أودونيل: ماذا؟

أونيل: تزوجت ليلة أمس.

أودونيل: أنت كاذب! (مخاطبا هاري) إنه كاذب! (مخاطبا أونيل) أيها التافه أنت لم تفعلها أبدا!

أونيل: نعم.

أودونـيـل: يا إلهي القدير! (مخاطبا هاري) أنتَ قلت إنه كان في دبلن يحضر اجتماعا للمجلس.

هـاري: كان في دبلن.

أودونـيـل: يا إلهي ياذا القدرة! السترة اللعينة... ألم أقل لك إن ذيلها كان مرتفعا!

لـومـبـارد: أنت ياهيو أبقيت الأمر في الخفاء.

أودونـيـل: تزوجت ممن، أنت أيها التافه؟ عرفت! تلك المرأة الضخمة ذات الشعر الأحمر التي مكثت معك هنا طيلة الشهر الماضي تلك المرأة الأسكتلندية آني ماكدونالد!

أونـيـل: لا.

لـومـبـارد: تهانينا.

أونـيـل: شكرا لك.

أودونـيـل: حزرت! ابنة برايان ماكسويني، من فاناد وييت، ما اسمها الحقيقي؟ سيسيليا؟ يا إلهي، ليس سيسيليا! (أونيل يهز رأسه). من إذن؟ انطق أيها الرجل! أخبرنا!

لـومـبـارد: هل قلت الليلة الماضية؟

أونـيـل: في الحقيقة، في الساعة الثانية هذا الصباح. خطفنا...

أودونـيـل: «خطف ـ»! مـا ألطفك يا إلهي العظيم! خطفنا! (يضرب الطاولة وهو في حالة استثارة) مددوني على الأرض وادفنوني معززا

مكرما! الساقط هرب معها! هو هو هو..!

(يضم أونيل) رائع يا رجل! تهانينا!

لومبارد: من الكونتيسة الجديدة يا هيو؟

أودونيل: يا إلهي، أتمنى أن يكون لدي الشهية نفسها للزواج حينما أبلغ سنك!

أونيل: كلاكما لا تعرفانها، إنها من نيوري.

أودونيل: ماجنس! سوبان ماجنس!

أونيل: لا. إنها...

أودونيل: الأخت الأخرى إذن، تلك التي لها أسنان... يالحوّاء!

أونيل: قابلتها لأول مرة قبل أشهر قليلة. في عيد ميلادها العشرين.

أودونيل: هي فقط؟! إنها فقط...؟!

أونيل: اسمها ميبل.

أودونيل: (بتعاظم) ميبل.

أونيل: إنها واحدة من الإنجليز الجدد الأثرياء. قدم جدها إلى هنا من نيوكاسل - أندر لايم في ستافوردشير. وأعطي ديرسيستيرشان وأراض حول نيوري وكارلنغفورد - وهذا ما جاء بهم إلى هنا.

(وقفة)

أودونيل: كفى يا هيو. تخل عن العبث. أخبرنا عن اسمها الحقيقي...

أونيل: إنها ميبل باجينال. إنها ابنة قيم مراسيم الملكة المتقاعد. وهي أخت السير هنري باجينال قيم مراسيم الملكة الحالي.
(صمت)

هاري: هل يرغب أحد بمزيد من الخمرة؟
(صمت)

لومبارد: أين تزوجتَ؟

أونيل: زوَّجنا مطران ميث في درمكوندرا في ضواحي دبلن.

لومبارد: أي مطران من مطارنة ميث؟

أونيل: توم جونز مطران البروتستانت. ميبل بروتستانتية.

أودونيل: على رسلك يا هيو - انتظر الآن... انتظر... انتظر... لا يمكنك الزواج من الأثرياء الجدد وأخت الجزار باجينال! بحق يسوع يارجل...

أونيل: سأطلب منها أن تأتي للقائكم.

أودونيل: أبقها معك شهرا يا هيو... مثل تلك المرأة التي كنيتها ماكدونالد... هذا أفضل شيء... أبقها معك شهرا ثم أطردها. ألست على حق يا هاري؟ (يتحدث إلى أونيل) لن تهتم يا هيو، أقسم بالله. ذلك ما ستتوقعه. هؤلاء الإنجليزيات الجدد هن جميعا نصف متسكعات. أعطها بعض الملابس، وبضعة

دراهم، وضع قدمك في ظهرها واطردها إلى
بلدها في ستافوردشير.

أونـــــيـــــل: نيوري هي بلدها.

أودونـــــيـــــل: أيا كـان بلدها (يتـحـدث إلى هـاري) أقـول
لك... هذا كل ما ستتوقعه.

أونـــــيـــــل: سأطلب منها أن تنضم إلينا.

أودونـــــيـــــل: ألست على حق يا بيتر؟

لـومـــبـــارد: علينا جميعا أن نقدر المضامين السياسية
والدينية لهذا الارتباط يا هيو.

أونـــــيـــــل: إنه زواج، أيها الأسقف.

لـومـــبـــارد: هل سترى إسبانيا الأمر هكذا؟ هل ستراه
روما؟

أونـــــيـــــل: (غاضبا جدا، يتحدث بلهجة أهالي تايرون)
هذا ما أعتقده. وهذا بلدي. (وبهدوء وبلهجته
المعتادة) لقد تزوجت شابة موهوبة جدا،
جريئة جدا، وجميلة جدا. لقد تركت أهلها
لتنضم إليَّ هنا. ولن يغفروا لها هذا أبدا.
إنها تحت هذا السقف الآن، بين أناس نشأت
على الاعتقاد بأنهم متوحشون وبرابرة.
سأحتفل في هذه الليلة حيث سأقدمها إلى
أهلي وشعبي. وأطلب منكما أنتما الاثنان
خصوصا أن ترحبا بها هنا. ولكن إن كان فوق
طاقتكما، أطلب منكما الكياسة على الأقل.

(يغادر، يخيم صمت. يبدأ لومبارد بجمع أوراقه. يساعده هاري. وبعد وقفة طويلة جدا).

أودونـيـل: لقد فقد التافه عقله! هذه هي النتيجة؛ لقد أدارت رأس هذا التافه.

هـاري: (إلى لومبارد) ابق حتى الصباح التالي. يمكننا الاجتماع ثانية غدا صباحا.

أودونـيـل: وتركني أتحدث بحماقة عن الإنجليز الذين يبنون حصونا جديدة! وهو طيلة الوقت يتغزل بقلعة نيوري، هذا نوع من الخيانة، يا هاري، هذا هو حقا.

هـاري: ما تقوله هراء يا هيو.

أودونـيـل: هل تعلم أين كان باجينال الجزار في الأسبوع الماضي؟ في وادي فين. يغزو وينهب مع سرية جديدة من الجنود من تشستر. بالطريقة التي تمرس بها الكلاب الفتية! ذبح وقطع رؤوس خمس عشرة أسرة كانت خارج بيوتها تجمع القش على طول ضفة النهر رجالا ونساء وأطفالا. والنتيجة هي أن هناك في هذه اللحظة ما يقارب مائة لاجئ في منزل والدتي في مدينة دونيجال.

هـاري: (إلى لومبارد) سأحصل على نسخ من هذه.

أودونـيـل: سأخبرك شيئا يا هاري هوفدن: ما دامت

تلك الكلبة الثرية الجديدة معه، فلن يرحب به أحد في تايركونيل!

(لومبارد على وشك أن يغادر مع أوراقه).

هـــاري: انتظر يا بيتر على الأقل لتقابلها. لأجل خاطره.

(يدخل أونيل يقود ميبل ممسكا بذراعها).

(تبلغ ميبل العشرين من عمرها، عاقدة العزم وواضحة. الآن هي عصبية جدا. في لهجتها آثار من لهجة ستافوردشير.

أونـيـل: ها نحن. أريدك أن تلتقي باثنين من أصدقائي يا ميبل. هيو أودونيل، السير هيو أودونيل، إيرل تايركونيل. زوجتي ميبل.

مـيـبـل: أنا مسرورة بلقائك

(تمد يدها. على أودونيل أن يصافحها. هو لا يتكلم. وقفة قصيرة).

أونـيـل: والدكتور بيتر لومبارد، حامل لقب مطران أرماغ، ورئيس أساقفة عموم أيرلندا.

مـيـبـل: أنا مسرورة بلقائك.

(مرة أخرى تمد يدها. وبعد هنيهة يصافحها لومبارد. لا يتكلم. وقفة قصيرة).

أونـيـل: علينا أن نبقى على علاقة جيدة مع بيتر: إنه يكتب تاريخنا.

لـومـبـارد: يبدو أن ذلك يقلقك لسبب ما.

أونـيـل: لا مادمت تقول الحقيقة.

لومبارد: لا تفتأ تؤكد على هذه «الحقيقة» يا هيو.

أونيل: ألا تؤمن بالحقيقة يا أسقف؟

لومبارد: لا أعتقد أن فترة من التاريخ، فضاء زمني معين، حياتي، حياتك، تحتوي في داخلها تفسيرا واحدا «صحيحا» ينتظر مجرد التنقيب عنه. بيد أنني أعتقد أنها ربما تحتوي في داخلها عددا من الحكايات المحتملة: إن حياة هيو أونيل يمكن قصُّها بطرق عديدة مختلفة. وتلك الطرق تحدّدها احتياجات، ومتطلبات، وتوقعات أناس مختلفين وفترات مختلفة. ما الذي يريدون سماعه؟ كيف يريدون أن تُحكى؟ وهكذا، فأنا بمعنى من المعاني لست مستقلا يا هيو. إنني إلى حد ما ألبي الاحتياجات بكل بساطة، وأشبع الرغبات... أليس هذا هو ما أفعله.

(يشيح لومبارد بوجهه)

هاري: تبدو عليك الراحة الآن.

أونيل: وهذا هاري هوفدن، كما تعرفين.

ميبل: آه، نعم، أعرف هاري.

هاري: هل تحبين الأزهار؟

ميبل: نعم إنها جميلة.

أونيل: رتم.

ميبل: أجل

أونـــــيـــــل: رتم إسباني.

مـــــيـــــبل: أجل

أونـــــيـــــل: وهي واحدة من فصيلة جينيستا.

مـــــيـــــبل: أوه، لم أكن لأعرف هذا.

أونـــــيـــــل: في الحقيقة هذا هو الرتم الإسباني... يجيء من إسبانيا. ويحتاج الكثير من المياه.

مـــــيـــــبل: الرتم؟ لا يحتاج إلى مياه كثيرة، إنه لا يحتاج الماء إطلاقا إلا فيما ندر.

(ينظر أونيل إلى هاري نظرة اتهام)

أودونـــــيـــــل: سأتناول جرعة أخرى من هذه الخمرة... إذا لم يكن لديك مانع يا هيو؟

أونـــــيـــــل: بالطبع، من يريد أيضا؟

(صمت)

هـــــــــاري: هل نلتِ قسطا من الراحة؟

مـــــيـــــبل: اضطجعت، لكنني لم أنم... كنت مستثارة... كل شيء بالغ الـ... وضوضاء تلك الأبقار! أعني، أنني نظرت من النافذة وكل ما استطعت رؤيته كان ملايين منها متناثرة وصولا إلى التلال. أعني أنني لم أر أبدا كل هذا العدد الكبير من الأبقار في مكان واحد طيلة حياتي. لا بد أن هناك ملايين منها. أبقار وخيول.

هـــــــــاري: سوف ننقلك إلى غرفة النوم التي فوقنا تماما. الوضع هناك أكثر هدوءا.

لومبارد: أستميحكم عذرا، علي أن أكتب بعض الرسائل.

أونيل: الاحتفال يبدأ في التاسعة يا بيتر.

(يخرج لومبارد)

هاري: (يمسك ذراع أودونيل) وهيو لم يأكل شيئا منذ هذا الصباح.

أودونيل: عم تتحدث؟ فقط أكلت...

هاري: سوف ننضم إليك لاحقا.

(يقود أودونيل أمامه إلى الخارج. يحتضن أونيل ميبل من الخلف ما إن يصبحا بمفردهما، ويدفن وجهه في عنقها وشعرها).

ميبل: أوه... يا إلهي.

أونيل: ضعي ذراعيك حولي.

ميبل: إنني أرتجف كليا.

أونيل: أريدك الآن.

ميبل: قلت «تعالي وقابلي صديقين».

أونيل: الآن!... الآن!... الآن!

ميبل: كان عليك أن تنذرني يا هيو.

أونيل: دعينا نصعد إلى الغرفة العليا.

ميبل: إنني ممزقة، أنا! هيو أودونيل وكاهن بابوي، كل هذا في غضون دقيقتين! ألم تر يدي؟ كانت ترتجف!

أونيل: أريد أن ألتهمك.

مــــــيــــــبــل: أخي هنري يدعوه الجـزار أودونيل. يقـول إنه يخنق خرافا صغيرة بيديه العاريتين.

أونــــــيــــــــل: هذا صحيح.

مــــــيــــــبــل: يا إلهي! هل أنت جاد؟

أونــــــيــــــــل: ويأكلها نيئة.

مــــــيــــــبــل: يا إلهي! لست جادا؟

أونــــــيــــــــل: نحن جميعا نفعل هذا هنا.

مــــــيــــــبــل: كفى يا هيـو. ويتـحـدث بصـورة هزليـة جـدا. لماذا لا يتكلم مثلك؟

أونــــــيــــــــل: كيف أتكلم أنا؟

مــــــيــــــبــل: «كيف أتكلم»؟ - مـثل الإنجليـز القـدمـاء ذوي المنزلة الرفيعة في دبلن.

أونــــــيــــــــل: (مـسـتـخـدمـا لهـجـة تـايرون) هذا هـو السـبب الذي من أجله تموتين في حبا.

مــــــيــــــبــل: وقـابلت كـاهنـا كـاثـوليـكيـا يا هيـو! هذه أول مـرة في حيـاتي أرى فـيـهـا واحـدا منهم! وقلت له «أنا سـعـيـدة بلقـائك»! يا إلهـي، انتظر حـتى تسمع أختي ماري بهذا الأمر!

أونــــــيــــــــل: وأخيك هنري.

مــــــيــــــبــل: أخي هنري سوف يطلق علي النار ويقتلني يا هيو!

أونــــــيــــــــل: أيفعل ذلك؟

مــــــيــــــبــل: أنت تعلم أنه سـيـفـعل! لقـد صـافـحت كـاهنـا كاثوليكيا!

أونـــــيـــــل: أسقفا.

مـــــيـــــبـل: هل ذلك أسوأ؟

أونـــــيـــــل: أسوأ بكثير. وانظري إليها.

مـــــيـــــبـل: إلى ماذا؟

أونـــــيـــــل: إلى يدك.

(تنظر إلى يدها)

إنها تتحول إلى سوداء.

مـــــيـــــبـل: إنها...؟!

(تدرك فجأة أن أونيل استحمقها. تصدر شهقة ضحك عالية وتلكمه). يا إلهي، لقد بدوت في الواقع! إنك وضيع يا هيو أونيل - هذا ما هو أنت فعلا - وضيع حقيقي! (تضحك مرة ثانية، وهذه المرة وهي على وشك البكاء) يا إلهي، إن المسألة زادت عن حدها قليلا، هيو... أعتقد أنني ربما، أعتقد أنني ربما على وشك البكاء، والأمر السخيف أنني لا أبكي مطلقا... كل هذه السرية، الهرب، حفلة العرس، كل الإثارة، وجودي هنا، لقائي بهؤلاء الناس... (الآن تبكي) لم يكونوا مرحبين جدا يا هيو... هل كانوا كذلك؟ أعني أنهم لم يستطيعوا الكلام معي... أيمكنهم؟

أونـــــيـــــل: امنحيهم الوقت.

مـــــيـــــبـل: مباشرة حينما كنت راحلة عن البيت التفت

فرأيت أبي ينظر من النافذة الأرضية. فتبسم ولوح لـي، لم يكن لـديه فكرة أنـني كنت هـاربة. ولن يفـهم أبدا لماذا فعلت هذا. إنه رجل طيب وعادل وسوف يحاول، ولكن المسألة لن تقنعه. وسوف يظل حائرا معذبا بقية حياته.

أونـــيـــل: اهدئي.

مـــيـــبـل: أنا بخيـر. فقط مـرتبـكة قليلا يا هيـو. فقط منفعلة قليلا. كل شيء مختلف جدا هنا. كنت أعلم أن الأمـر سيكون غـريبـا... كنت أعلم ذلك. لكنني لـم أعتقـد أنني سأكون في أرض أجنبية. إنني على بعد خمسين ميلا فقط من بيتي، بيد أنني أشعر أنني بعيدة جدا عن كل ما أعرفه.

أونـــيـــل: أعطني يدك.

مـــيـــبـل: إنها ليست سوداء. سأكون بخير يا هيو. فقط امنحنـي وقتـا. إننا سـلالـة صلبـة، نـحن أثرياء الحرب.

أونـــيـــل: عندي هدية لك.

مـــيـــبـل: صحيح؟

أونـــيـــل: إنهـا اختـراع جـديد... قطعت زمـن تـحـملينـهـا معك حيثما ذهبت. إنها تدعى ساعة.

مـــيـــبـل: ماذا؟

أونـــيـــل: ساعة. تلبسينها في إصبعك مثل خاتم تماما.

ميبل: من أين لك هذا الشيء؟

أونيل: طلبت أن يصنعوها لك في لندن، لك خاصة.

ميبل: أوه، هيو...

أونيل: الشخص الآخر الوحيد الذي أعرفه ولديه واحدة مثلها هي الملكة إليزابيث.

ميبل: إنها شيء جميل يا هيو، حقيقة جميل.

أونيل: تضعها إليزابيث في هذا الإصبع.

ميبل: الملكة لديها واحدة! وأنا لدي الثانية التي لا يوجد سواها!
الملكة إليزابيث والكونتيسة ميبل... لمَ لا؟

أونيل: حقا، لمَ لا؟
إنها جميلة حقا. شكرا لك. شكرا جزيلا لك.
(تقبله) أنا آسفة يا هيو. لن أبكي هكذا مرة ثانية أبدا. هذا وعد. أبدا. أبدا. نحن سلالة صلبة، آل أونيل.

(تهبط العتمة بسرعة على خشبة المسرح)

المشـــهد الثـــانـــي
(منـزل أونيل)

مضت سنة تقريبا. الغرفة ذاتها كما في المشهد الأول، بيد أن ميبل أضافت إلى الأثاث ما جعل الغرفة الآن تبدو مريحة أكثر وبألوان أكثر.

ميبل جالسة بمفردها تصنع تخريما معقدا صعبا. تعمل بصمت لبعض الوقت. ثم يأتي من خارج المسرح صوت صراخ صبية مفاجئ ومرعب. يتبع الصرخة مباشرة ضحك عاصف، وصياح،ومزاح ثقيل وتبادل حديث سريع باللغة الأيرلندية بين صبية وشاب.
الصرخة ترعب ميبل. تلقي بتخريمها. عيناها مغلقتان بإحكام. تجلس متجمدة رعبا بضع ثوان، حتى حين يتضح أن الصراخ عبارة عن مزاح ثقيل. ثم تقفز واقفة بصورة غاضبة مفاجئة ثم تذهب إلى المخرج جهة اليسار. بينما هي ذاهبة، تدخل أختها ماري من جهة اليمين، لكن ميبل لا تراها. ماري بيجنال أكبر سنا من ميبل بقليل. ومثل ميبل ثمة علامة من لهجة ستافوردشير لديها. ومثل ميبل هي شابة عاقدة العزم.

ميبل: (لدي المخرج) اخرسوا أنتم هناك! هل تسمعونني؟ اخرسوا وحسب! إذا أردتم التصرف كالمتوحشين عودوا إلى المستنقعات!
(فجأة تدرك أن ماري سمعت ثورانها، فتشعر بالارتباك)
مجرد سماجة. يحسب المرء أنهم كانوا يقتلون بعضهم بعضا، أليس كذلك؟
وأنا يتقطع نفسي لأنهم لا يفقهون كلمة إنجليزية واحدة.
(ثمة صمت مريك. تلتقط ميبل تخريمها)

ماري: إنهم يجهزون عربتي. مسافة العودة طويلة إلى نيوري.

ميبل: إنها فقط خمسون ميلا.

ماري: أعتقد أن هذا صحيح.

ميبل: (بصورة عفوية) امكثي هذه الليلة يا ماري.

ماري: لا أستطيع.

ميبل: أرجوك. من أجلي. أرجوك.

ماري: أرغب في البقاء يا ميبل ... تعلمين أنني أرغب ولكن...

ميبل: فقط لليلة واحدة.

ماري: إن لم أعد إلى المنزل قبل حلول الظلام، أنت تعرفين أخانا هنري، سوف يقلق جدا

ميبل: دعيه يقلق عليك من باب التغيير.

مـــــــاري: أنا فعلا لا أستطيع. ليس هذه المرة. وعلى أي حـال، أنا وأنت دومـا نتـشـاجـر بعـد بضع ساعات. .

مـــيـــبـل: هل نحن كذلك؟

مـــــــاري: حسنا... أحيانا.

مـــيـــبـل: في هذه الحالة...

مـــــــاري: في المرة القادمة ... ربما.

مـــيـــبـل: في المرة القادمة.

مـــــــاري: هذا وعد.

(يسـمع انفـجار صـراخ آخر ومـزاحـا ثقيـلا. تبتسم الأختان، إحداهما للأخرى بقلق. وقفة قصيرة)

تركت صندوقا من النكتـارين والسفـرجل في حجرة المؤن لديك. وبعض العسل. وأخشى أنه من عسل السنة الماضية. إذا ما تبلر اغمـري الجرار في ماء دافئ فقط.

مـــيـــبـل: شكرا لك.

(وقفة قصيرة)

مـــــــاري: ليس لديهم نحل هنا، هل لديهم؟

مـــيـــبـل: كلا، ليس لدينا.

مـــــــاري: أخيـرا أقنعت أخي هنري أن ينقل خـلايا نحله بعيـدا عن المنزل، والحمد لله. هل تذكرين ... بالضبط خلف حديقـة الخضـار؟ حيـث أنشـأ

والدنا بحيرة الأسماك؟ هي في ذلك المكان الآن، على شكل نصف دائرة حول البحيرة.

ميبل: نعم.

ماري: إنه يملك ما يزيد على مائة خلية الآن.

ميبل: صحيح؟

ماري: ربما أكثر.

ميبل: حقيقة؟

ماري: بعنا حوالي أربعة آلاف رطل من العسل السنة الماضية. معظمها إلى الجيش. كانوا على استعداد لشراء كل ما يمكنه إنتاجه، لكنهم لا يدفعون الثمن دوما.

(وقفة قصيرة).

وهل تذكرين تلك الأراضي المستنقعة البعيدة إلى اليسار من البحيرة؟ حسنا، إنك لن تعرفي تلك المنطقة الآن. جففناها وحرثناها وسورناها؛ ثم غرسنا ألف شجرة هناك في أربع مناطق منفصلة: أشجار تفاح وخوخ وبرقوق داكن وكمثرى. لقد طلب هنري أن ترسل له هذه الأشجار من كنت. إنها تنمو بصورة جيدة.

ميبل: جيد

ماري: إنهم لا يملكون بساتين هنا، أليس كذلك؟

ميبل: كلا، لا نملك.

ماري: معظمهم يزرعون الخضروات، أليس كذلك؟

ميبل: إننا نختص بالمزارع الرعوية، ليس الفلاحة؛ ماشية؛ أغنام، وخيول. نملك مائتي ألف رأس من الماشية هنا الآن، كما سمعت. هل قلت شيئا فيما يخص حديقة أعشاب؟

ماري: أوه... ذاك نجاح عظيم. تلك الساحة الصغيرة حيث كانت الأرجوحة، هل تذكرين تلك البقعة التي تطل عليها نافذة المطبخ؟

ميبل: لم يمر على مغادرتي البيت سنة يا ماري

ماري: آسفة. لقد أحضرت لك بعض البذور. (تخرج مغلفات من حقيبتها) لقد صنفتها لك. (تقرأ) حبة البركة، كاشم، طرخون، شبت، كزبرة حمحم. لدي حشيشة الشفاء أيضا، لكنني أخشى أنها ماتت معي، هل تذكرين أننا اعتدنا في كل عيد فصح أن نصنع كاتو من حشيشة الشفاء ونتركه... آسفة، لا تزرعي حبة البركة قرب الشبت وإلا فإنهما سيتهاجنان.

ميبل: هل هذا أمر سيئ؟

ماري: سوف تحصلين على بذرة لا هي حبة بركة ولا هي شبت، الحمحم يحب الشمس، لكنه ينمو أينما تزرعينه، إنه قوي جدا. سيكون لدي بعض من بذور الناردين في أواخر العام. سأرسل لك بعضها. أما زلت نؤومة سيئة؟

مـــــــيـــــــبـل: هل استفاق الوالد أخيرا؟

مــــــــــــــاري: الوالد؟ استفاق كان عليك أن تسميه! أنه يترك رسائل شخصية لكل شخص.

مـــــــيـــــــبـل: رسائل؟

مــــــــــــــاري: وتعليمات مفصلة بخصوص كل شيء. باب القلعة الغربي يحتاج إلى مفاصل جديدة. في زنادات شحنة بنادق المشاة الأخيرة خلل، لا تعتمدوا بصورة كاملة مطلقا على لندن، لأنهم (هناك) لا يفهمون حقيقة العمل الصعب الذي نقوم به هنا.

مـــــــيـــــــبـل: رسائل شخصية؟

مــــــــــــــاري: لم ينس أحدا. علي أن أتعلم تجليد الكتب إن لم يكن لديكم مانع! هنري يمضي وقتا طويلا جدا في أعماله الورقية، ولا يمضي الكفاية من الوقت في أمور الجيش، البستاني، توم العجوز، عليه أن يفرك مفاصله المصابة بالروماتيزم بشمة العسل. أعط نسختين من الكتاب المقدس للخادمتين من تاندريجي. وقبل موته بنصف ساعة سأل عن السعر الذي نبيع به بيضنا! رائع، أليس كذلك؟

مـــــــيـــــــبـل: نعم.

مــــــــــــــاري: إنني أفتقده كثيرا يا ميبل. أعلم أنه عاش حياة قاسية، لكنها كانت حياة ممتلئة جدا.

أنت تنسين أنه بمفرده تقريبا روض جميع أهالي كاونتي داون وكاونتي أرماغ وحقق لهم النظام والرخاء. وبارك الله مساعيه العظيمة؛ وعرف الوالد ذلك أيضا. وهذا ما كان عزاء عظيما له في النهاية. (وقفة قصيرة) ولنا جميعا. (وقفة قصيرة) إذا. (وقفة قصيرة) أفتقدك كثيرا جدا يا ميبل.

ميبل: وأنا أفتقدك أيضا.

ماري: أقفلت باب غرفة نومك في اليوم الذي غادرت فيه ولم يُفتح منذ ذلك اليوم. ولكن حتى المنزل يبدو أنه يصبح أكبر وفراغه أوسع.

ميبل: أنت تستمتعين بالحديقة، أليس كذلك؟

ماري: يقول هنري إن علي أن أخرج أكثر، ألتقي أناسا أكثر. أين يفترض بي أن أذهب؟ إننا محاطون بالأيرلنديين. وفي كل يوم ينبث المزيد والمزيد من أكواخهم على طول محيط أراضينا.

ميبل: أنت تزورين أسرة فريثس، أليس كذلك؟

ماري: غادروا. منذ شهور خلت. عادوا إلى كورنويل.

ميبل: لماذا؟

ماري: لم يعودوا قادرين على التحمل، على ما أعتقد. أقرب جار لنا الآن هو باتريك

بارنويل من راذفريلاند، وهو يبعد عنا خمسة عشر ميلا.

ميبل: لكن فكري بالحفاوة التي يستقبلك بها الشاب باتريك دوما! أتتذكرين اليوم الذي قال لك فيه: (تلثغ) «آنثة ماري، اهبطي معي إلى الطاحونة القديمة» يا إلهي، ضحكنا على ذلك طيلة أسابيع. هل تذكرين؟

ماري: أجل.

ميبل: أصبحت نوعا من الشعار عندما - «آنثة ماري» - هل تذكرين؟
(تبكي ماري بهدوء).
هيا. هيا. لا داعي لذلك.

ماري: بلغ الخامسة والستين في الأسبوع الماضي، باتريك بارنويل الشاب

ميبل: هل أنت على ما يرام، يا ماري؟.

ماري: يريد أن يتزوجني يا ميبل. أخبرته أنني سأفكر بالأمر.

ميبل: أوه، يا ماري، أنت...

ماري: أنا أفكر بالأمر بجدية.

ميبل: ماري، إنه مسن...!

ماري: وعدته أن يصله ردي في الشهر القادم. أخونا هنري يحترمه جدا.

ميبل: ماري، لا يمكنكِ أن تتزوجي باتريك بارنويل

ماري: سنرى. أنا لست متأكدة بعد. أعتقد أنني سأتزوجه.

ميبل: الرجل أحمق عجوز يا ماري! كان دوما أحمق! لقد كان طرفة لنا طيلة حياتنا.

ماري: إنه لا يزال واحدا منا يا ميبل. ومهما كان من شأن سنه، فهو رجل شريف جدا. (تبدو الآن رسمية ومترفعة) للمرة ثانية، حان وقت ذهابي، لم أترك شيئا خلفي، أليس كذلك؟ هل رأيت خيولي الجديدة؟ بالطبع رأيتها، أليست وسيمة؟ حصل عليها هنري من ويلز من أجل عيد ميلادي، إن سيرها متزن، وطاقتها هائلة، هل ستسلمين لي على هيو؟

ميبل: لا أدري إلى أين ذهب. سيشعر بالأسف لأنه لم يرك.

ماري: لا، لن يشعر بالأسف. في المرتين اللتين التقينا فيهما تشاجرنا شجارا مريرا سأحاول المجيء مرة... إن سنحت لي الفرصة، لكنك تعلمين كم هو غاضب هنري.

ميبل: ألا يزال غاضبا؟

ماري: إنه لا يزال يتحدث عن إعادتك إلى البيت بالقوة.

ميبل: هنا بيتي يا ماري.

(الصراخ المفاجئ نفسه ثانية. ماري تقترب

منها وتتكلم باهتمام ومحبة).

ماري: كلا، إنه ليس بيتك. هذا لا يمكن أن يكون بيتك أبدا. ارحلي معي الآن يا ميبل.

ميبل: من فضلك يا ماري...

ماري: أجل، أنا أعرف أن لديهم شعائرهم الملونة، وعاداتهم الشائقة، وقانونهم الخاص. لكنهم غير متحضرين يا ميبل. ولا يمكنك التقدم بهم أبدا... ينبغي أن تعرفي هذا الآن... كم هم مخادعون وخونة... وغارقون بالخرافات الدينية.

ميبل: هذا يكفي، يا ماري.

ماري: أنت تتكلمين عن «الزراعة الرعوية»، ما تقصدينه في الحقيقة ليس زراعة أبدا... ما تقصدينه في الحقيقة هو إهمال الأرض. وأي شعب متوحش يرفض زراعة الأرض التي وهبها لنا الله لا حق له بهذه الأرض.

ميبل: كفي عن هذا فورا، يا ماري.

ماري: أنا متأكدة أن بعضهم لطيف ومهذب ومحل ثقة. بالطبع هم كذلك، نعم، أنا أعلم، هيو مختلف. هيو تربى في إنجلترا. لكن شعبه مقضي عليه على رغم أصدقائه الأجانب وتآمرهم الكاثوليكي، لأن طريقتهم في الحياة محكوم عليها بالفناء. مقضي عليهم لا محالة

لأن التمدن طريق الله يا ميبل، ولأن الخرافات ينبغي أن تنهزم أمام العقل، أنت تعرفين بقلبك أن ما أقوله صحيح .

ميبل: أصبحت كاثوليكية رومانية قبل ستة شهور.

ماري: آه، يا إلهي، كيف يمكن يا ميبل...؟!

ميبل: على أساس الإخلاص لـ هيو وشعبه. أما عن التمدن، فأعتقد أن ثمة طرازا للحياة هنا هي على الأقل شريفة وغنية مثل الحياة التي هجرتها. وأتخيل أن رهبان سيستيرسيان في نيوري لم يعتبروا جدنا وكيلا للحضارة حينما طردهم من دارهم واحتلها وجعلها بيتا لنا.

ماري: عند هيو خليلتان!... هنا... الآن!... تحت هذا السقف! هل هذا جزء من دينه؟

ميبل: ذلك جزء من ثقافته.

ماري: كرامة لله! هل جزء من ثقافته أن ينحني ويتمسح بالأرض أمام وكيل اللوردات في دبلن ويعده بالطاعة والإخلاص طيلة حياته، وفي اليوم التالي مباشرة يتآمر على الخيانة مع إسبانيا؟

ميبل: هذه سياسة.

ماري: «سياسة» أصغي إلى نفسك. إنك تصبحين مراوغة مثلهم! بدأت تتحدثين مثلهم، تفكرين مثلهم! إن هيو خائن يا ميبل للملكة،

لوكيلها، لكل شيء نشأت أنا وأنت على الإيمان به. هل تعلمين ما يسميه شعبنا؟ لوسيفر الشمالي، الشيطان الكبير، بعل زبوب إن هيو أونيل هو الشر مجسدا يا ميبل! تقولين لي إن لديه عشرين بدلة مخمل مذهبة، ولكنني رأيته يأكل الطعام بيديه العاريتين! تقولين لي إنه يتحدث ثلاث أو أربع لغات، وأن كل زعيم في أوروبا يحترمه، ولكنني أستطيع أن أقول لك إنه...

(تتوقف عن الكلام لأن أونيل يدخل مع هاري)

هاري: وصلت شحنة الرصاص من إنجلترا.

أونيل: هل حصلت على رخصة الاستيراد؟

هاري: ها هي.

أونيل: قرأت نماذج الطلب مع أوراق الجمارك وتأكد أن... ماري!

ماري: مرحبا يا هيو.

أونيل: متى وصلت؟

ماري: قبل بضع ساعات.

أونيل: حسنا، هذه مفاجأة.

ماري: أنا على وشك المغادرة.

(يتصافحان)

أونيل: لم العجلة؟

مـــــــيـــــبـل: تريد الوصول إلى البيت قبل حلول الظلام.
مـــــــاري: مرحبا يا هاري.
هـــــــاري: أنت غريبة يا ماري. كيف حالك؟
(يتصافحان)
مـــــــاري: أنا بخير يا هاري، كيف حالك أنت؟
هـــــــاري: بخير، شكرا لك، بخير.
أونـــــيـــــل: حسنا، إن هذه الزيارة غير متوقعة.
مـــــــيـــــبـل: ألا تبدو بخير؟
أونـــــيـــــل: بالفعل. وهل تبادلت الأختان حديثا شائقا.
مـــــــيـــــبـل: انتهينا من الحديث تقريبا... أليس كذلك؟
أونـــــيـــــل: وكيف رئيس بلاط الملكة؟
مـــــــاري: هنري بخير، شكرا لك.
أونـــــيـــــل: هنري بخير؟
مـــــــاري: أجل.
أونـــــيـــــل: جيد.
مـــــــاري: أجل (وقفة قصيرة) إنه على ما يرام.
أونـــــيـــــل: رائع. لكنه قلق على ما أعتقد بسبب تلك الصعوبة الصغيرة مع ماجوير في فيرماناج؟
مـــــــاري: لا علم لي بذلك البتة يا هيو.
أونـــــيـــــل: بالطبع لا علم لك؛ طبيعي؛ هذه قضايا دولة، لكن لديه مشكلة هناك... أو على الأقل هذا ما سمعناه يا هاري، أليس كذلك؟
مـــــــاري: هنري لا يناقش تلك الأشياء معي

أونـيـل: المشكلة، كما نفهمها هي أن لندن طلبت من ماجوير أن يصدر تصريحا علنيا بخصوص إخلاصه وطاعته... أن «يستجيب» كما يصوغونها بخجل، كما لو أن الأمر خروج من الحالة البرية الغاليّة بالطبع. لم يطلب الإنجليز أكثر من إيماءة رمزية، إنهم على خلافنا لا يدفعون المبادئ إلى نتائج تورط صاحبها أبدا. بحق السماء، أنا نفسي أصدرت الإيماءة، أليس كذلك يا هاري؟ و«أدخلت» هيو أودونيل الشاب. وأنا أؤكد لك يا ماري أن هذا لا يعني شيئا، لا يعني شيئا. ولقاء تلك الانحناءة ... الرمزية، تقدم لك لندن اعترافا رسميا وعرفانا بما كنته من قبل... زعيما لشبعك! وهذا أمر طريف سياسيا، أليس كذلك؟

مـاري: وهكذا فإن قسمك المقدس بالإخلاص لجلالتها لا هو مقدس ولا هو ملزم لك يا هيو؟

أونـيـل: يا إلهي، لا! أنا مخلص اليوم... خائن غدا... تعلمين كم نحن الغاليّون متقلبون. على أي حال، ماذا كنت أقول؟ أجل، صديقنا ماجوير؛ يواجه ماجوير صعوبة في القيام بتلك الانحناءة، ولذلك تصبح لندن نكدة. ويجري

تبادل الرسائل الساخنة. وتطلق تهديدات رهيبة. ومن الذي يُزَج به لتنظيف الفوضى؟ بالطبع... هنري العجوز المسكين! إنهم دوما أمثال هنري، الخدم الوضيعون في الوسط، هم الذين من نصيبهم الركلات، أليس كذلك؟

ماري: أخونا هنري قادر تماما على التعامل مع العصاة أمثال ماجوير.

أونيل: «أخونا هنري»؟ لا يوجد أفضل منه، لا يمكن للندن أن يكون لديها خادم أكثر طاعة من أخينا هنري. كما تعرفين وأعرف جيدا... ولكن ما تتساه لندن دائما، أن أمثال هنري الكادحين في هذا العالم هم صناع الإمبراطورية الحقيقيون. لكن الفكرة التي أريد أن أصل إليها (مخاطبا هاري) أنا لست طائشا يا هاري أليس كذلك؟ السبب الذي جعلني أذكر المشكلة هو أن ماجوير قد رفع رأسه عاليا وقرر أن يحارب حتى الموت قبل أن تنبس شفتيه الطاهرتين بمقطع إخلاص لملكة غريبة! أعلم... أعلم، أنه أسير نماذج التفكير الغالية القديمة، هذا أمر مألوف جدا... وممل جدا، ولكن ما الذي يفعله عندئذ؟ يأتي إلي، أنا الذي قدمت الإيماءة الرمزية، أنا أونيل «المساوم» في نظره، يأتي

إلي ويتوسل إلي أن أقاتل إلى جانبه! الآن! انظري إلى المعضلة التي يضعني فيها يا ماري. أنت تفهمين معضلتي، أليس كذلك؟

ماري: لا أرغب في سماع شيء عن هذا الأمر يا هيو.

أونيل: أحاول أن أحيا بسلام مع زملائي الزعماء، ومع شعبك، ومع الإنجليز القدماء، ومع دبلن، ومع لندن، لأنني أعتقد، وأعرف، أن تيار التاريخ البطيء والأكيد هو معي يا ماري. كل ما علي أن أفعله هو... أن أجلس فقط... وأنتظر. ثم ينشأ وضع كهذا فكيف علي أن أتصرف؟

ميبل: حان وقت انصراف ماري.

أونيل: هل أبقى مخلصا لأعز أصدقائي وحلفائي ماجوير، وللحضارة الغالية، حقيقة، التي يمثلها هو؟ أم أنفر مع قوات جلالتها؟ ولقد نفرت معهم من قبل يا ماري. ألم تعرفي هذا؟ آه، أجل، لقد سرت خلف سلالة التيودور الحاكمة في بضع حملات ضد المتمردين المحليين. حتى أنني حاربت إلى جانب أخينا هنري في إحدى المناوشات الصغيرة... آه، منذ سنوات وسنوات خلت، حينما كنت أنت وميبل لا تزالان تلعبان بالدمى. أوه، نعم، ذلك تفصيل يختار

مؤرخونا بحكمتهم أن يتجاهلوه. لأنهم ربما يعتقدون، مثل بيتر لومبارد، أن الفن له أولوية على الدقة. لقد بدأت أتساءل فيما إذا كان علينا أن نثق بالمؤرخين بالمطلق!. على أي حال، لنعد إلى ماجوير... ومعضلتي. إنها حقيقة معادلة متوازنة برهافة. الإدارة القديمة الإدارة الجديدة. صديقي ماجوير الضحوك الساحر الفوضوي أو أخينا هنري. حافز وغريزة وعبقرية متقلبة وارتجال ذكي... أم حساب ونظام جيد وفطرة سليمة، تلك التي هي النفعية الباردة لعقل عصر النهضة، أو لأستعمل صورة محلية ربما تلفت نظرك: الرعي... الزراعة. بيد أنني بالطبع أكتب الآن بنفسي صيغة مبتذلة للتاريخ، أليس كذلك؟ لأن كلانا يعلم أن النزاع ليس بين أنماط قومية كاريكاتيرية، بل بين حضارتين متضادتين تضادا عميقا، أليس كذلك؟ إننا نتحدث بالفعل عن نزاع حياة أو موت، أليس كذلك؟واحدة منهما ستنجو. أنت لن تختلفي معي في هذا ... أليس كذلك؟

مـيـبـل: تريد ماري أن تغادر يا هيو.

أونـيـل: لا، لا إنها نقطة مهمة، وسأرحب حكمة ماري الواسعة. سأكون دقيقا جدا. هل أشد

على يد مارشال الملكة؟ مستخدما أخينا هنري كرمز للنظام الجديد الذي تمقته كل غريزة أرستقراطية في جسدي، لكن عقلي يتفهمه ويحترمه في الواقع على مضض... لأنني حينما كنت صبيا أمضيت تسع سنوات في إنجلترا حيث نُشِّئت على منبع ذلك النظام الجديد بالذات ... أفكر في كل تلك السنين التكوينية في منازل لايستر وسدني الرائعة وفي البلاط ذاته... من هنا اللكنة العظيمة يا ماري.

مـــــيـــــبـل: هيو، أعتقد...

أونـــــيـــــل: لا، اسمحي لي، أو... أو أشد على يد متمرد فيرماناج وبذلك أقدم شهادة علنية وطائشة على طريقة حياة يفهمها دمي ويحبها في الواقع، قديمة قدم كتاب روث. هذه هي معضلتي. ساعديني يا ماري. أي يد أشد عليها؟ لأنني في كلتا الحالين أصنع عدوا. في كلتا الحالين أتدخل في ذلك المد البطيء الأكيد للتاريخ. لا. هذا غير عادل. ينبغي ألا أحرجك. لنضع المسألة بطريقة أخرى. أي خيار سيقبله التاريخ؟ أو لنستعمل لغة الأسقف: إذا كان على المؤرخ في المستقبل أن يختار بين

الخيارين المتوافرين لدي، فأي منهما سيفضل لقصته المرجح قبولها؟ أخبريني.

ماري: أنا لا أعرف شيئا عن التاريخ يا هيو.

أونيل: حسنا؛ إذن أي يد أشدّ عليها؟

ماري: جعلتك الملكة إليزابيث إيرلا. وقبلت ذلك اللقب. وأنت تعلم أن ذلك اللقب يحمل معه واجبات ومسؤوليات معينة.

أونيل: لقد احترمت تلك الواجبات بإخلاص.

ماري: إذن مادمت بقيت تفعل هذا يا هيو، وإذا كنت مرتاح الضمير فلا معضلة لديك.

أونيل: (إلى هاري) إنها على حق، أتعلم. (إلى ماري) تلك إجابة حكيمة يا ماري. لديك عقل صغير منظم جدير بالإعجاب. ذلك هو ما سأفعله. وآمل أن يكون استحسان التاريخ وهداية ضميري متفقين (تجمع ماري حاجياتها. تعانق ميبل)

ماري: أنا مسرورة لرؤيتك على أحسن حال.

ميبل: اكتبي لي. (تقبل إحداهما الأخرى) شكرا لك على كل ما جلبته.

ماري: لن أنسى الناردين. إلى اللقاء يا هاري.

هاري: رحلة آمنة يا ماري.

(يتصافحان)

ماري: إلى اللقاء يا هيو.

(هيو يتفحص مغلفات البذور باهتمام متزايد).

أونيل: ماذا؟

ماري: إلى اللقاء.

أونيل: أوه... إلى اللقاء... ذكري بي أخانا هنري (تخرج المرأتان، وقفة طويلة).

هاري: سيصل كل ما قلته مباشرة إلى المارشال.

أونيل: عم تتحدث يا هاري؟

هاري: سيرسل كل ما قلته في تقرير إلى باجينال ثم إلى لندن.

أونيل: ذلك سبب أنني قلت لها ما قلته.

هاري: تريد أن يُعرف أنك وعدت ماجوير بتقديم المساعدة له؟

أونيل: لا أعتقد أنني أخبرتها بهذا، أليس كذلك؟ (يقرأ) «بذرة الكزبرة. راقبي هذه البذرة بعناية، وهي تنضج فجأة وسوف تسقط دون سابق إنذار» تبدو مثل ماجوير، أليس كذلك؟ ماجوير الكزبرة.

هاري: لأنك إذا نكثت ذلك الوعد فإنه سيسقط بالتأكيد.

أونيل: أي نوع من الأعشاب أنت يا هاري؟ ما رأيك بالشبت؟ «إن له تأثيرا مريحا ومهدئا» معقول جدا. وماذا يكون عشب لسان الثور؟«إنه ميال

لاستثارة شجاعة مفرطة، بل وتهور»، إنه أودونيل، أليس كذلك. أودونيل لسان الثور.

هاري: أم أنك تقصد بأنك ستنضم إلى الجانب الإنجليزي ضد ماجوير يا هيو؟
(يجمع أونيل مغلفات البذور معا).
هل ستخون صديقك القديم ماجوير؟

أونيل: (يزأر) «أخون صديقي...»! بحق المسيح لا تبدأ باستعمال مثل هذه اللغة معي يا هاري! (بهدوء) إن ماجوير مغفل. لقد صمم على أن ينتفض ولن يستطيع أحد إيقافه، وسوف يُمزِّق إربا إربا ويسحق أهله وشعبه ويزرع بلده بالأثرياء الجدد والناس المأمونين. لقد حدث هذا مع فيتزموريس، وماكديرموت، ونجنت، وأورايلي، وأوكونر، وأوكيلي. إن أرواحهم النبيلة لم تستطع أن تتنفس ثانية أخرى تحت نير «الحكم الاستبدادي». وأين هم الآن؟ أبيدوا. وماذا أنجزوا؟ لا شيء. ولكن بسبب نبلهم، فإن البقاء، البقاء اليومي الأساسي القاسي قد أصبح بالنسبة إلى من تبقى منا أكثر صعوبة إلى حد بالغ.

هاري: أنت غير عادل مع ماجوير يا هيو. إنه متهور لكنه ليس مغفلا.

أونيل: أعلم... أعلم... بالطبع أنا أعرف أن ماجوير

ليس مغفلا. ماجوير ليس لديه خيار. عليه أن ينتفض. فالتاريخ والغريزة وعاطفته الصادقة، وتكوين دمه، كلها لا تترك له خيارا. وهكذا فإنه سيتمم مصيره. وهو مصير لا هو بالمأساوي ولا بالبطولي، لكن احتضانه الكامل لمصيره فيه عناصر من كليهما باعتقادي. بالطبع أنا أعرف كل هذا، بحق المسيح...

(يدخل أودونيل مندفعا. إنه مقطوع الأنفاس مستثار).

أودونيل: أخبار يا أولاد! أخبار! أخبار! أخبار! انتظر حتى تسمع الأخبار يا هيو! أخبار كبيرة... أخبار ضخمة، أخبار هائلة! أنا آسف لدخولي عليكم باندفاع هكذا يا هاري. بيتر لومبارد معي. منذ الفجر ونحن على صهوة جيادنا. يا إلهي، إنني ظامئ جدا - أعطنا جرعة من تلك الخمرة يا هاري. هذه هي، أيها الولد هيو! إنني أخبرك... تم الأمر!

أونيل: أي أمر؟

أودونيل: لا تسألني. لا أستطيع إطلاعك. انتظر بيتر... لا أستطيع أن أفسد عليه المسألة. لكنني سأقول هذا القدر يا هيو أونيل: لم أفكر مطلقا أنني سأحيا لأرى اليوم! (يقبل كأسا) أنت رجل محترم يا هاري. يشرب

نخب المستقبل... مستقبل عظيم، عظيم...
نخبنا نحن الثلاثة - (يدخل لومبارد)...
نخبنا نحن الأربعة! (متحدثا مع لومبارد) لم
أفتح فمي، أليس كذلك؟
(لومبارد متحمس بالقدر نفسه ولكنه
متماسك. يصافح أونيل ثم هاري)

لومبارد: أنا سعيد لرؤيتك يا هيو.

أونيل: مرحبا يا بيتر.

لومبارد: هاري. (متحدثا إلى أونيل)، كنت سأبعث رسولا لكنني اعتقدت أن المسألة بالغة الأهمية.

أودونيل: اقذفها يا بيتر!

لومبارد: إنها أخبار مذهلة حقا يا هيو.

أونيل: من إسبانيا، أليس كذلك؟

أودونيل: يا لك من ساحر عريق. إنني لم أتفوه بكلمة واحدة.

لومبارد: إنها إسبانيا يا هيو. بعد كل هذه السنوات. الحمد لله ألف مرة. إنها حقا إسبانيا.

أودونيل: أيمكنك تصديقها؟

لومبارد: سنوات من التوسل والتملق، والجدل... سنوات من الأمل... سنوات من اليأس.

أودونيل: سنوات من الصلاة يا بيتر.

لومبارد: سنوات من الصلوات حقا. لكنه حافظ على

وعوده يا هيو. دون فرانشيسكو جوميز دوساندوفالي روخاس، الماركيز الخامس لدينيا، دوق ليرما، صديقي، صديق أيرلندا، لقد حافظ على وعده.

أودونيل: ليرما تحدد سياستهم الخارجية.

(يبتعد أونيل ويقف وحده على طرف المسرح)

هاري: ليست هذه هي المرة الأولى التي بذلت فيها ليرما وعودا.

لومبارد: لقد صدر القرار عن مجلس الدولة في يوم الخميس من الأسبوع الماضي. ووقعه الملك فيليب نفسه في الصباح التالي. هذا ليس وعدا. هذا أمر مؤكد، وثابت، ومهم.

أودونيل: رائع!

لومبارد: إنهم في هذه اللحظة يجمعون جيشا ويحشدون أسطولا.

أودونيل: هل ترى أولئك الجنود الإسبان الصغار في الحقل يا هاري؟ صيادو قوارض متوحشون! يا إلهي، إنهم على استعداد للدخول في جحر أرنب للإمساك بك!

هاري: ما مدى ثبات الأمر؟ وما مدى أهميته؟

لومبارد: على الأقل خمس وثلاثون سفينة، سفن شراعية ضخمة، بمحاربين وبعض المراكب ذوات حمولة ١٠٠ طن.

هـــــــــــاري: أين سترسو؟

لـومـــــبـــــارد: لا أدري. تلك مسألة عسكرية.

هـــــــــــاري: لكنها نقطة حاسمة. ينبغي أن يكون المكان في نقطة ما على طول الشاطئ الشمالي.

لـومـــــبـــــارد: أعتقد أنني سمعت بعض الحديث عن كينسيل.

أودونـــــيـــــل: أينما كان موقعها، فأنا لم أسمع بها أبدا.

هـــــــــــاري: كينسيل ليست موضع نقاش. علينا أن نسير بالجيش على طول البلاد حتى نتمكن من الانضمام إليهم. (إلى أونيل) لا يمكن أن تكون كينسيل يا هيو.

لـومـــــبـــــارد: إذن قولوا لهم إنها لا يمكن أن تكون كينسيل.

هـــــــــــاري: من القائد العام؟

لـومـــــبـــــارد: دون خوان ديل أجويلا.

أودونـــــيـــــل: بغض النظر عمن هو. دون هيو ديل باليشانون يرغب بمزيد من الخمرة يا أولاد!

هـــــــــــاري: أخبرني عن أجويلا.

لـومـــــبـــــارد: إنه من باراكوا في مقاطعة آفيلا. إنه ليس ذكيا، لكنه مؤهل جدا وذو خبرة عالية.

هـــــــــــاري: كم عدد الرجال؟

لـومـــــبـــــارد: على الأقل ستة آلاف.

هـــــــــــاري: هذا العدد غير كاف.

لـومـــــبـــــارد: سيكونون مدربين تدريبا تاما وبكامل عتادهم،

والأمر متروك لنا لكي نصل نحن إلى ذلك الرقم (إلى أونيل) عليكما أنت وهيو هنا أن تسافرا في عرض البلاد وطولها وتجبرا كل قائد غاليّ للاستعداد.

هاري: من أين يحشدون رجالهم؟

لومبارد: معظمهم من الإسبان، بيد أنهم يأملون أن يجندوا بضع فرق من الإيطاليين.

أودونيل: هل ترى أولئك الإيطاليين؟ متوحشون ودمويون. والمرة الوحيدة التي يبتسمون فيها على الإطلاق هي حينما يغمدون سيفا فيك! يا إلهي يا هيو، إننا سوف نحصد الإنجليز بأسرع مما يفعله الوباء (تدخل ميبل. يعانقها أودونيل بحرارة).
إننا ناهضون يا عزيزتي ميبل، إننا ناهضون، والإسبان إلى جانبنا! (تنظر إلى أونيل).

لومبارد: سامحينا يا ميبل، إننا مبتهجون قليلا.

ميبل: هل الإسبان قادمون؟

أودونيل: تشجعي، أيتها الوردة القاتمة!

لومبارد: الإسبان قادمون. بعد طول انتظار، وهناك المزيد يا هيو (أونيل) لا يزال هناك المزيد.

أودونيل: أفصح عن ذلك يا أسقف لومبارد.

لومبارد: هناك صك بابوي بالغفران من قداسة البابا كليمنت الثامن.

أودونيل: هدوء! هدوء! دعوا الكلب يرى الأرنب!

لومبارد: (يقرأ) «إلى رؤساء الأساقفة، والأساقفة، والمطارنة، والزعماء، والإيرلات والبارونات وشعب أيرلندا. لقد ناضلتم طويلا، مستمدين الشجاعة من نصائح أسلافنا ومنا، لاسترداد حريتكم والحفاظ عليها، ونبذ نير العبودية الذي فرضه عليكم الإنجليز المنشقون عن الكنيسة الرومانية المقدسة. الآن، إليكم جميعا، يا من تتبعون ابننا الحبيب هيو أونيل وتساعدونه، وتتبعون وتساعدون الجيش الكاثوليكي، إذا ما أعلنتم التوبة الحقة واعترفتم، وتلقيتم، إن أمكن، العشاء الرباني، فإننا نمنحكم عفوا مطلقا، ومغفرة لجميع الذنوب، كما يعطى هذا في العادة لأولئك الذين يخرجون للحرب ضد الأتراك من أجل استعادة الأراضي المقدسة. روما. السنة التاسعة من عهدنا البابوي».

أودونيل: يا إلهي، إنها كلمة عظيمة تلك «البابا».

لومبارد: مما يعني يا هيو أنك الآن لا تخوض مجرد حرب - إنك تخوض حربا صليبية مقدسة.

أودونيل: اللعنة، أنك على حق تماما، يا بيتر!

لومبارد: مما يعني أيضا أننا لم نعد تجمعا عرضيا من القبائل، بل دولة قومية موحدة تحت الألوان البابوية.

أودونيل: هل هذه أخبار مهمة لك يا رجل - ها؟
(الجميع ينظرون إلى أونيل. صمت. يمشي ببطء عبر الغرفة)
مرحبا! هيو!
(صمت)
(إلى الآخرين) ما خطب هذا التافه؟ (إلى أونيل) أونيل! سير هيو! تايرون! هل سمعت ما قاله الرجل للتو؟

أونيل: نعم، نعم، سمعت.

أودونيل: «نعم، سمعت»! ما مشكلة هذاالتافه بحق الجحيم؟
(صمت، ثم حينما يتحدث أونيل أخيرا، فإنه يتحدث بصوت خافت جدا، كما لو أنه كان يتحدث مع نفسه تقريبا).

أونيل: إنني أتذكر السير هنري سدني والليدي ماري يرحمهما الله. قضينا فصول الشتاء في قلعة لدلو العظيمة في شروبشاير. ولدي بعض الذكريات القليلة عن فصول الشتاء. أما ما أتذكره فهو فصول الصيف والخريف في كينت في مقر الأسرة في بينشيرست. البساتين وحديقة الظباء. وحقول القمح والشعير الشاسعة تلك. أرض ذهبية معطاءة. تلك أيام لم تشبها شائبة. ذكريات كل شاب.

وبعد العشاء من كل مساء كان السير هنري يقترح موضوعا للنقاش: كالسفر، والمسكنات والآلام، والحدائق، والصداقة والإخلاص، والأخلاق الحسنة، وزراعة البلدان الأجنبية. وكان على كل من يجلس حول الطاولة المستديرة أن يدلي بدلوه ... الأسرة، والضيوف، حتى أنا ذاتي، وحتى ولده فيليب الذي كان يصغرني سنا. كان السير هنري يثير الأفكار ويوجه المحادثة بصورة عفوية تقريبا ولكن بمهارة بالغة بحيث ما إن ننهض عن الطاولة حتى يكون قد صاغ الخطاب في مقالة رسمية وافية مهما كان موضوعها. كنت حينها ولدا غضا، لكنني كنت أدرك أن أفكارا ومفاهيم جديدة لم تكن تبحث وتصاغ فحسب، لكنني أنا الذي كنت أستكشف وأصاغ في الوقت ذاته. وكانت تلك المعرفة محل ثناء ومديح. أذكر أن دريك كان موجودا ذات مرة، وفوربشير وضباطه ليلة رحلتهم البحرية الأولى إلى جنوب أمريكا. رجال أفظاظ، ورجال فارغون. لكن كياسة السير هنري ولباقته كانت تحول كل تلك الوحشية الصريحة والجشع الإمبراطوري إلى إثارة صبيانية، ومغامرة رجولية. كان الأب الوحيد

الذي عرفته. كنت أكثر قربا إليه وإلى الليدي ماري مما كنت إلى أوهاغن الذي رباني. لقد أحببت كليهما حبا جما.

على أي حال، جاء الوقت لأعود إلى بلدي. كنت حينها في السابعة عشرة من عمري. وأقامت الليدي ماري حفل عشاء هائلا لي ليلة مغادرتي، حضرها مائة مدعو. وحينما انتهى الجميع من تناول الطعام نهض السير هنري واقفا - كنت أعلم أنه كان مخمورا، وربما أكثر مما عرفت... وقال: بحثنا الليلة سيستكشف مسألة ذات أهمية لإنجلترا ويحمل أهمية خاصة للسيد أونيل الذي سيغادر إلى بلده غدا ليصبح قائدا لشعبه.

والمسألة هي التالية، وأنا أقتبس من رسالة وصلتني توا من صديقي أندرو ترولوب . «أولئك الأيرلنديون الذين يعيشون كرعايا يلعبون مثل الثعلب الذي إذا ما قيدته بسلسلة بدا هادئا مروضا، بيد أنه إذا ما أفلت، فإنه يصبح متوحشا مرة ثانية» وهكذا، ما رأيك بهذا أيها الثعلب أونيل.

ثم ضحك، فانضم الجميع إليه يضحكون. وبعدها كان مائة شخص يضحكون علي... غادرت في الصباح التالي قبل أن يستيقظ

أهل البيت. ومنذ ذلك الوقت حتى هذه اللحظة، تلك الإهانة الصغيرة السخيفة، تلك الإهانة الوحيدة في سنوات من الاحترام والكرم قد نبضت بعناد في زاوية من قلبي. إلى الآن. أما الآن، ومن دون سبب فإن ذلك النبض هادئ، وكل محبتي للسير هنري تعود دون قيد. (وقفة) ولكن كل هذا لا يهم أحدا غيري.

أودونيل: صحيح لا يهم أحدا. النبض اللعين؟ - عمَّ يثرثر؟

(يصفق أونيل يديه، طاردا القصة برمتها. هو الآن بصورة مفاجئة نشيط ورشيق جدا).

أونيل: في الوقت الحاضر (إلى لومبارد) أنت على حق. سأسافر أنا وهيو في عرض البلاد وطولها لنجمع الدعم. وسوف ننطلق يوم الاثنين القادم (إلى أودونيل) لا تذلل نحن ذاهبون ومعنا السلطة والتصميم.

أودونيل: بالتأكيد سنفعل!

أونيل: (إلى هاري) ابعث رسالة اليوم إلى ليرما. كينسيل لا تصلح. فإذا أصروا على النزول في الجنوب، في أي مكان في الجنوب - أخبرهم أن يلغوا الحملة (إلى لومبارد) ما هو العتاد الذي سيحملونه؟

لومبارد: ست قطع بطاريات مدفعية وستمائة وزنة من البارود.

أونيل: (إلى هاري) سنحتاج إلى خمسمائة بندقية صغيرة على الأقل. أخبر ليرما أننا خبراء بحرب العصابات، لكن تعوزنا الخبرة بالمعركة النظامية.

لومبارد: وتأكد أن أوفيديو رئيس الأساقفة يحصل على نسخة منها. إن له تأثيرا كبيرا.

هاري: تمام.

لومبارد: (إلى أونيل) لقد أصدر البابا أمرا له بالإبحار في سفينة سان أندريا، بارجة الأميرال.

أودونيل: بارجة الأميرال! (تحيا) يا إلهي، تلك الكلمة «بارجة الأميرال» كالموسيقى بالنسبة إلي!

أونيل: هل سيجلبون معهم سروجهم الخاصة؟

لومبارد: أجل، لكنهم يتوقعون أن تزودهم بالجياد.

أونيل: (إلى هاري) ضريبة قدرها خمسة جياد على كل أسرة، ودقيق الشوفان، وزبدة.
(إلى لومبارد) صك غفران لا يكفي. ينبغي على كل من يعارضنا أن يشهر به على رؤوس الأشهاد. إنني أحتاج إلى صك عزل وحرمان.

لومبارد: لن تحصل على هذا يا هيو.

أونيل: حصلنا على واحد قبل ذلك.

لومبارد: قبل عشرين عاما.

أونـيـل: أريد صك عزل وحرمان يا بيتر.

لـومـبـارد: لقد حاولت. سأحاول ثانية. أوفيديو هو أملنا الوحيد.

أونـيـل: (إلى هاري) ابعث رسائل إلى جميع قادة أولستر: ادعهم للاجتماع هنا بعد غد ظهرا.

هـاري: ظهرا.

أونـيـل: أرسل برايان أوهاجان إلى إيرل أرجايل من أجل الجنود المرتزقة.

هـاري: كم العدد؟

أونـيـل: أي عدد يمكنه الحصول عليه. وادفع مقدما.

هـاري: كم سيحتاج من المال؟

أونـيـل: مهما طلب أرجايل (مخاطبا أودونيل) أنت الخبير في الجياد.

أودونـيـل: أنت على حق تماما.

أونـيـل: (إلى هاري) خذه معك إلى المروج العليا وأطلعه على القطيع الجديد.

(مخاطبا أودونيل) انتق فقط الجياد القوية بما فيه الكفاية لحملة طَويلة.

أودونـيـل: كم عدد الجياد هناك؟

أونـيـل: ما يربو على ثلاثة آلاف.

أودونـيـل: سألقي نظرة.

(يذهب هاري وأودونيل إلى الباب. يقف أودونيل هناك).

نسيت بسبب كل الإثارة أن أخبرك حول الإشاعة المنتشرة في أنحاء دبلن ومفادها أن رئيس البرلمان على وشك أن يصرح بأنك خائن.

أونيل: لن يكون هذا مؤذيا ألبتة. حسن. ممتاز.

أودونيل: وهل تعلم ما هي المكافأة التي يعرضونها لقاء رأسك؟ هيا أحزر أحزر.

أونيل: حسنا، أخبرني.

أودونيل: ألفا جنيه حيا، وألفا ميتا. وهو المبلغ نفسه الذي عرضوه قبل خمس سنوات من أجل أودوهيرتي الحقير!

(يصدر صوت استهجان عاليا ويخرج)

أونيل: (مخاطبا لومبارد) إن شبكتك من القساوسة يمكن أن تفيدنا. كم عدد الذين أنت على صلة بهم؟

لومبارد: عشرون، خمسة وعشرون.

أونيل: كل أسبوع؟ كل شهر؟

لومبارد: المسألة متنوعة. لقد وضعوا ثمنا لرؤوسهم، أيضا.

أونيل: اتصل بهم بأسرع ما تستطيع، وأخبرهم بأنني سأحتاج إليهم ليكونوا رسلا في كل أنحاء أوروبا.

لومبارد: سأفعل ما بوسعي.

(يمضي لومبارد إلى الباب)

أونيل: واطلب من أوفيدو العمل للحصول على صك العزل والحرمان.

لومبارد: لا يقدر أفيدو على طلبه يا هيو. إن القرار بهذا الشأن يرجع إلى البابا. الحرمان مسألة روحية.

أونيل: لا تقم بهذه الألعاب معي يا بيتر. إن الوضع «روحاني» الآن كما كان روحانيا قبل عشرين سنة. إنني أحتاج إلى صك الحرمان لتحقيق التضامن هنا، لتحقيق التضامن مع أوروبا. وأتوقع منك أن تحصل عليه.

لومبارد: كما قلت لك، لقد حاولت، وسوف أحاول ثانية. (يغادر. يذهب أونيل إلى الطاولة ويشغل نفسه بالأوراق. صمت. تراقبه ميبل لبرهة، ثم تذهب إليه).

ميبل: أوقفها يا هيو.

أونيل: أوقف ماذا؟

ميبل: هذه المسألة الإسبانية. لا تدعها تحدث.

أونيل: لماذا علي أن أفعل ذلك؟

ميبل: لأنك تعلم أن هذا ما لا تريده أن يحدث حقا.

أونيل: لقد أمضيت عشرين سنة أحاول أن أحقق هذا، أليس كذلك؟

ميبل: هذه ليست طريقتك.

أونـــــــيـــــــل: ولكنك تعرفين ما هي طريقتي.

مـــــــيـــــــبـل: الحساب، والتروي، والحذر. تسير خطوة إلى الأمام وتنسحب. تهجم وتتراجع. وتتحدى، وتخضع. لقد فكرت في كل تحرك مهم اتخذته حتى الآن عدة شهور.

أونـــــــيـــــــل: إنني كذلك.

مـــــــيـــــــبـل: وهذا ما يجعلك أقوى رجل في أيرلندا. إنك الزعيم الأيرلندي الوحيد الذي يفهم النهج السياسي. أودونيل ليس كذلك، ولا ماجوير، ولا مكماهون. ذلك سبب أن الملكة غير متأكدة أبدا كيف تتعامل معك، أنت أطروحة نقيضة لما تتوقعه من زعيم غالي. وهنا مكمن قوتك. وهذا هو الذي يفسر الآن لماذا شعورك الغريزي يجعلك لا تقامر بكل شيء في ضربة كبيرة هي أكثر من مخاطرة.

أونـــــــيـــــــل: هذه المرة إسبانيا معنا.

مـــــــيـــــــبـل: إسبانيا تستغلك.

أونـــــــيـــــــل: إننا نستغل بعضنا البعض. لقد تبادلنا الغزل طيلة سنوات.

مـــــــيـــــــبـل: وهذا ما منحك قوة تفاوضية صغيرة مع إنجلترا. بيد أن المناورات انتهت الآن. وأعدك يا هيو أن إنجلترا سوف تلقي بكل ثقلها في هذه الحرب.

أونـــــــيـــــــل: وهكذا ستفعل إسبانيا.

مــــيـــــبـل: كلا، لن تفعل. إنها ليست حرب إسبانيا. إنها حربك أنت. وأنت تواجه دولة قومية موحدة ومصممة وقوية وتقودها امرأة شجاعة جدا.

أونـــــيـــــل: هل فيما تقولين صدى من الشعور بالفخر؟

مــــيـــــبـل: لا تقل هذا يا هيو رجاء.

أونـــــيـــــل: ألا يوجد لنا أدنى اعتبار؟ نحن لا تعوزنا العزيمة. ولسنا متفرقين.

مــــيـــــبـل: فقط انظر بهدوء وروية على ما أنتم عليه.

أونـــــيـــــل: إنني أعرف تماما ما نحن عليه.

مــــيـــــبـل: أنتم لستم موحدين. ليس لكم قائد واحد. وليس لديكم تصميم مشترك. في أفضل الأحوال أنتم تشكلون حلفا مرتجلا من رجال قبائل متنازعين.

أونـــــيـــــل: راقبي ألفاظك!

مــــيـــــبـل: متمسكون بالدين كمادة مخثِّرة فقط لأنهم لا يملكون فكرة أخرى تعلمهم أو تمنحهم تماسكا.

(وقفة قصيرة)

أونـــــيـــــل: هل هذا ملخص معقول لكل التاريخ والحضارة الغالية يا ميبل؟ أم أنه ليس أكثر من حكمة ثري جديد سريعة وخيرة؟

(يشعر أونيل بالأسف فورا فيمسكها ويضمها بين ذراعيه)

أنا آسف يا ميبل. سامحيني. أنا آسف جدا. إنني منفعل قليلا. (يقبل قمة رأسها) أنت محقة طبعا. ليس لدينا تماسك حقيقي. وأنا قلق طبعا حتى أن حماس أودونيل يقلقني: فالأمر بالنسبة إليه مغامرة ضخمة... هجوم على قطيع على صعيد دولي.

(تبتعد ميبل).

وأنا أبدا لا أعرف تماما ما يفكر فيه رئيس الأساقفة.

ميبل: إنه يتحدث عن اتحاد كاثوليكي، جيش كاثوليكي. وعن قيادتك لأوروبا في حركة إصلاح كاثوليكي مضاد رائعة. ولكنني أشعر دوما أنه حينما يتحدث عنك وعن أيرلندا إنما يتحدث الحقيقة بصورة رمزية عن روما والسلطة الرومانية. هل هذا ظلم له؟

أونيل: لا أعرف.

ميبل: تماما كما أن مصلحة إسبانيا الوحيدة هي إسبانيا والسلطة الإسبانية. غير أن اهتمامي الوحيد الحقيقي هو أنت يا هيو. فالأمر لن يكون مجرد مناوشة أخرى على طرف غابة. إنها حرب على إنجلترا أن تكسبها، لأن بقاءها ذاته على المحك. وكل ما أنا واثقة منه حينما تنتهي الحرب مهما

كانت نتيجتها هو أن الأساقفة أمثال لومبارد وأفيدو لن يكونوا هنا، سيكونون قد انتقلوا إلى مناطق واعدة أكثر (وقفة قصيرة) كان عليَّ ألا أتكلم (وقفة قصيرة) لم أكن أقصد أن أتطفل (وقفة قصيرة)، أنا واثقة أنني لا أفهم حقا المسألة برمتها.

أونيل: المسألة برمتها.

ميبل: وهذا هو المهم في نهاية الأمر ,أليس كذلك؟

أونيل: المسألة برمتها. إننا لم نبدأ بعد بمعرفة ما تعنيه.

(صمت. تلملم ميبل قطع مخرماتها وتتجه إلى الباب)

ميبل: أخبرتني ماري شيئا، قالت إن نائب رئيس وزراء جديد على وشك أن يجري تعيينه، شخص يدعى اللورد ماونتجوي. يقول هنري إنه موسوس شديد التدقيق، ومحارب عنيد لا يرحم. بلاونت - هذا هو اسمه الحقيقي تشارلز بلاونت، تشارلز بلاونت. ذلك كل ما تعرفه عنه. آه صحيح... إنه يدخن كثيرا. كل هذا سري للغاية. وقد جعلتني ماري أقسم على ألا أخبرك.

(ميبل على وشك أن تخرج حينما توقفها لعاطفة في صوت أونيل المنضبطة).

أونـــــيـــــل: لقد أمضيت حياتي أحـاول فعل شيئين. لقد حـاولت أن أوحد شعبا مستباحـا وقلقـا من خلال محاولة ربطه بالحياة، التي كان يعرفها قبل أن يُستباح. لم تكن حياة رفاهية مادية، لكن كان لها طمأنينتها، وكان لها كرامتها. ولقد أنجزت ذلك من خلال اعترافي واحترامي حقا بالشعائر والاحتفالات والمعتقدات التي مارسها هؤلاء الناس منذ ما قبل التاريخ، وقبل أن يسمع بإله المسيحية بفترة طويلة. ولقد حاولت في الوقت ذاته أن أقدم هؤلاء الناس إلى الطرق الجديدة الغربية لأوروبا، أن أعرض عليهم بسهولة التقييم الجديد للأشياء، أن أدفعهم نحو التقديرات والمعتقدات المتغيرة. هاتان مهمتان يندر اتباعهما في الوقت ذاته. هدفان يلغيان أحدهما الآخر. لكن كان لا بد من تجريبهما، ذلك لأن تشكل الأمم والحضارات عملا إراديا، وليس نتاجا للقدر أو المصادفة. أما أن تقترحي أنت أن الدين هو المخثر الوحيد الذي يجمع بيننا فمعناه أن تغضي الطرف بفظاظة وجهل عن حضارة عريقة القدم. أنت محقة في جزئية واحدة، وهي أنه ليس من طبيعتي أن أقامر بكل شيء في ضربة واحدة كبيرة.

ميـــــبـل: إذن فلتخض حربك.

أونــــيـــــل: لكنني إذا لم أتحرك الآن، فإن هذه الحضارة سيكون مقضيا عليها.

ميـــــبـل: لذلك اذهب وحارب. فهذا ما أمضيت عمرك وأنت تفعله. هذا ما تحسن فعله على أتم وجه. الحرب من أجل الحفاظ على مجتمع محارب. أنا لم أعد أهتم أبدا.

أونــــيـــــل: لأنك لست متأكدة في جانب من أنت.

ميـــــبـل: لماذا تنبذني دائما يا هيو؟

أونــــيـــــل: إنني أستطيع أن أرى أن قلبك لن ينفطر لرؤية النظام الغالي يُقضى عليه. لكن لننظر ما هو البديل، مدونة القرصنة المبتذلة والمادية للمستعمرين الجدد.

ميـــــبـل: (مغادرة) المعذرة.

أونــــيـــــل: لقد قيل لنا إن «التمدن» الجديد صادق عليه الله ذاته. أليس هذا مخترعكم... الله؟ كلا، بل الأفضل، الله والتجارة. والآن ها هنا توليف. (تستدير ميبل مكانها وتحدق فيه بكراهية. يتجاهلها ويتظاهر بانشغاله بها على الطاولة).

ميـــــبـل: أريد خروج خليلاتك من هذا المنزل حالا.

أونــــيـــــل: (بلهجة أهل تايرون) آو، هنا أنا آسف يا سيدتي.

ميـــــبـل: ماذا تعني آسف؟

أونـــــيـــــل: أن خليلاتي سيبقين.
مـــــيـــــبـل: لن أعيش في المنزل ذاته مثل أولئك... أولئك المتسكعات! أخرج أولئك المتسكعات من هنا!
أونـــــيـــــل: لا.
مـــــيـــــبـل: إذن أذهب أنا.
أونـــــيـــــل: هذا اختيارك أنت.
(وقفة قصيرة. تحاول ألا تبكي)
مـــــيـــــبـل: أنا حامل يا هيو.
(يذهب أونيل إلى المخرج)
أونـــــيـــــل: (ينادي) هاري! هل لديك لحظة؟
مـــــيـــــبـل: هل سمعت ما قلته؟
(يعود إلى الطاولة).
أونـــــيـــــل: قلت إنك حامل؟ نعم سمعت. وهكذا إذا سارت الأمور على ما يرام... أليس هذا هو التعبير؟ إذا سارت الأمور على ما يرام فسيكون لدي عشرة أولاد شرعيين أنجبتهم، وحوالي... كم؟ ربما ثلاثون طفلا غير شرعي.
مـــــيـــــبـل: أوه، هيو...
أونـــــيـــــل: أو هكذا يتفاخر قومي. وهي صفة محببة تعزوها كل أمة إلى أبطالها.
(مرة ثانية يشعر بالندم فورا. وعندما تركض نحو الباب يركض خلفها).
ميبل! ميبل! أنا...

(يندفع أودونيل داخلا).

أودونيل: ثمة رسول من إسبانيا ينتظر في الخارج يا هيو! (مخاطبا ميبل) إن المسألة تتحسن كل دقيقة! (مخاطبا أونيل) الأسطول الإسباني سيبحر في الثالث من سبتمبر (أيلول)! (مخاطبا ميبل) ربما تتحدثين الإسبانية؟ ينبغي أن تسمعي ما يقول ذلك الرجل في الخارج: «أسطول كباير... سفن كباير»!

أونيل: من أين سيبحرون؟

أودونيل: من لشبونة مع أول مد.

أونيل: وأين يهبطون على اليابسة؟

(يدخل هاري)

هاري: هل ناديتني؟

أونيل: أين يهبطون على اليابسة؟

أودونيل: كين سال.

أونيل: أين... أين؟

أودونيل: «كين - سال» أعتقد كينسيل.

أونيل: آه، يا إلهي، لا.

أودونيل: بغض النظر عن مكان كينسيل. هذه هي المسألة يا عزيزتي ميبل! هذه هي! يا .. هيي!

(تعتيم سريع)

الفصـــل الثـاني

بعد موقعة كينسيل

المشهد الأول
(جبال سبيرنز)

بعد حوالي ثمانية عشر شهرا. على طرف الأجمة في مكان ما بالقرب من جبال سبيرنز. أونيل جاثيا على ركبتيه. وهو يستعمل صندوقا خشبيا كطاولة، ويكتب، ويحذف، ويكتب بسرعة بتركيز كامل بصورة عصبية تقريبا. صفحات متنوعة متفرقة على الأرض بالقرب منه. يبدو متعبا وقلقا ومرهقا. وتركيزه شديد جدا في كتابته بحيث لا يشعر بدخول أودونيل. ثم حينما يعي دخوله يبحث بحكم العادة عن الخنجر على جانبه. أودونيل أيضا يبدو متعبا وقلقا. كما أنه ملطخ بالطين وجزمته يغطيها التراب والأعشاب.

أودونيل: هذا أنا وحسب. أعتقد أنك ظننت أن أمرا ما قد وقع لي.

أونيل: تأخرت أكثر مما كنت تعتقد.

أودونيل: كان عليَّ أن أقوم بانعطافات في الذهاب والمجيء... الريف يغص بالجنود، وثم هناك أشياء كثيرة عليَّ الاهتمام بها في البلد... نزاعات... وثائق... كالعادة. أنظر إلى قدمي. جبال سبيرنز هذه ليست جبالا، إنها

مستنقعات لعينة! اعتقد أنك لا تملك حذاء احتياطيا؟

أونـــيـــل: ما تراه هو كل ما أملك.

أودونـــيـــل: كنت أخشى أنه ربما كان عليك الانتقال إلى مكان جديد.

أونـــيـــل: الحالة هادئة جدا هنا.

أودونـــيـــل: يا إلهي أنا مرهق جدا.

(يرمي بنفسه على الأرض ويتمدد متعبا وعيناه مغلقتان. يتابع أونيل الكتابة. صمت)

أونـــيـــل: هل لديك أي طعام.

(يفتح أودونيل حقيبته الجلدية ويخرج كعكة خبز. يذهب أونيل إليه، فيأخذ الخبز ويأكله بنهم الجائع).

أودونـــيـــل: صنعت لي أمي نصف دزينة من هذا الخبز، لكنني قابلت أسرة تتسول على جانب الطريق قرب رافو. حيثما ذهبت تجد أناسا يبحثون عن الطعام في الحقول، يقتلعون شيئا من الجذور، ويأكلون حفنات من بقلة الماء. إنهم يبدون كالهياكل العظمية. أين ميبل؟

أونـــيـــل: أخذها هاري إلى أقارب، رودهير دال أوكاثين بالقرب من دنجفن. لم تعد تقوى على التنقل.

أودونـــيـــل: الأمر طبيعي، أيضا. متى موعد الوضع؟

أونـــيـــل: ربما الأسبوع القادم.

أودونيل: لقد كانت رائعة يا هيو. لم تصدر عنها أي شكوى طيلة تلك الشهور، ونحن ننتقل من مكان إلى آخر مثل المتشردين.

أونيل: أعلم.

أودونيل: الأسبوع القادم، عظيم. على الأقل سيكون ذلك شيئا يحتفى به. أنا ظامئ جدا هل لديك ماء؟

(يناوله أونيل زجاجة).

أونيل: حسنا... ماذا وراءك؟

أودونيل: إنني أكره مياه تايرون البنية القديمة هذه... مع كل احترامي. كيف تشربونها؟

أونيل: ماذا تناهى إليك من أخبار؟

أودونيل: لم أصل أبدا إلى باليشانون. كان جنود دوكرا ينتظرونني هناك. لم أصل إلا إلى مدينة دونيجال. قالت لي أمي أن أخبرك بأنها كانت تسأل عنك.

أونيل: وأيضا.

أودونيل: حسنا، تقول إنه انهيار كامل. المناطق الريفية في فوضى كما تقول: ذبح، ومجاعة، ومرض. لا بد أن هناك ثمانية آلاف إنسان تجمعوا في مدينة دونيغال بحثا عن الطعام.

أونيل: أين ماونتجوي؟

أودونيل: ماونتجوي على صهوة جواده يجوب البلاد

طولا وعـرضـا يقطع رأس كل شـيء يتـحـرك أقل حـركـة. وكل أسـبـوع يسـتـسلم شـخص جـديد، أمـا أولئك الصـامـدون فـإنه يجـري التقـاطهم الواحد تلو الآخر. لكن هل تعلم مـا سـمـعت؟ يـا إلهي، انتظـر حـتى تسـمـع هذا يا هيو. لقد خدعنا في كينسيل. علموا أننا كنا سنهاجـمـهم في ذلك الصـبـاح، كـانوا جـالسين في انتظارنا. وهل تعلم كيف عـرفـوا؟ برايان هوج مكمـاهون سـرّب إليـهم النبـأ! أخـبـرهم بالوقت، والمكان، وعـدد الرجـال، وكل شـيء. وهل تعلم كـيف اشـتـروه؟ بزجـاجـة ويسكي! يا إلهي، ألن ينفطر قلبك لذلك؟ هذا ما يقولونه كلهم فـي البلد. ولو كـان هـنـاك عشـرة مـلايين جنـدي إسـبـاني، فلن نربـح مع ذلك لأن أحـد قادتنا وشى بنا بصورة لعينة.

أونـــــيـــــل: هـراء.

أودونـــــيـــــل: ماذا تعني... هـراء؟

أونـــــيـــــل: كلها أكاذيب

أودونـــــيـــــل: ألا تصدقنـي؟

أونـــــيـــــل: أنت ذاتك لا تصدقها.

أودونـــــيـــــل: إن ذلك مـا يقـوله الجـمـيع في بلدنا... لا أدري... ربما... لكن تتفق معي أن أولئك من أسرة مكماهون كانوا دوما حقراء متقلبين.

أونــــــيـــــــل: ما حجم الانهيار؟

أودونـــــيـــــل: إنه شامل. انتهى الأمر يا هيو.

أونــــــيـــــــل: من الذي استسلم؟ اعطني أسماء.

أودونـــــيـــــل: تقـول أمي إنهم يسـتـسلمـون زاحـفين على أيديهم وركبهم ويقدمون رهائن ونقودا وأشياء أخــرى. من الأسـهل أن نـعـد الحفنة الـتي لا تزال تقاوم.

أونــــــيـــــــل: أعطني أسماء.

أودونـــــيـــــل: أسـمـاء.. أين تبـدأ؟... حسنا، أسـمـاء... يا إلهي، إنني أكره ذكرها. تيرلو ماك هنري من فيوز. الأخوان أنترم أونيل. أومالي من مايو، وأوفـــلا هيـــرتي من أنالي. ومـــاغـــواير من فيرماناغ.

أونــــــيـــــــل: كوشوناشت؟

أودونـــــيـــــل: يا إلهي، لا! الـصـــغـــيـــر كـــونور رو هـو الذي يستـسلم. وحق الله يا رجل، إن كـوشـوناشت العجوز لا يزال يراوغ حول منطقة ليسناسكيا مع خمسة عشر رجلا منتقين، ويضرب كلما سنحت له الفـــرصـــة! كل أعـــضــــاء أســــرة ماكديفيتس من بالبيغ، من كل فرع من فروع الأسرة، أعضاء أسرة ماكسويني من فاناد. ألا يجعلك ذلك تشعر بالاشمئزاز؟ أعضاء أسرة ماكسويني الملعونين الذين قدمت لهم أسرتنا

الحماية على مدى أجيال، ثم حينما يخونك الحظ (يبتهج فجأة) ولكن هل تعلم من هو صامد؟ لن تحزر أبدا! ولا يزال ذات الدودة الصغيرة كما كان دوما، ولكنه على الأقل لم يستسلم بعد. لص الأغنام!... القذر أودوهيرتي من إينيشوين! يا إلهي، ألم يكن حسنا أننا لم نمرر له ذلك الشراب من بوردو تلك المرة؟

أونيل: تابع.

أودونيل: أوكيلي من كيلكونيل. شجاع ما فيه الكفاية، صمد إلى يوم الأحد الماضي، ثم هل تعلم ما فعل؟ العجوز الأحمق، يا إلهي، المتفاخر دوما. كانت لديه لمة (شعر مستعار) شقراء كانت قد جلبتها عمة عجوز من باريس. على أي حال ألصق اللمة الشقراء على رأسه، وارتدى معطفا قرمزي اللون، وسار إلى مدينة غالاوي وهناك عرض استسلامه... باللغة الفرنسية! ياله من عجوز معتوه فقير... يحاول أن يلفت الانتباه قليلا من وراء ذلك... على أي حال، كان ثمة رمية فأس واحدة وتدحرج على إثرها الرأس الأشقر العجوز في الشارع...

أونيل: تابع.

أودونيل: من غيرهم؟... أورايلي من بريفني الشرقية،

وماك وليم بيرك من كونوت، وأوكين.

أونـــــيـــــل: أي أوكين؟

أودونـــــيـــــل: زوج ابنتك روز. بالتأكيد كنت تعلم على الدوام أنه كان شخصا ضارا. وفيتزموريس من كيري، ودونيل مكارثي من باندن. أستطيع أن استمر بذكر الأسماء إلى الأبد، وأودود، وأودوير من كيلناماناج. يا إلهي يا هيو، إنني أخبرك... المسألة لا نهاية لها.

(يلتقط أونيل أوراقه ويرتبها. صمت).

أونـــــيـــــل: أين تشستر؟

أودونـــــيـــــل: لقد سيطر على مكانك في دونجانون.

أونـــــيـــــل: هاه!

أودونـــــيـــــل: إنه يسيطر على كامل شرقي أولستر. ودوكرا يسيطر على كامل غرب أولستر. وكاريو يسيطر على كامل مونستر. وماونتجوي يسيطر على كل البلاد (وقفة قصيرة) لقد فعل ماونتجوي شيئا قذرا الأسبوع الماضي.

(يتوقف أونيل وينظر إليه).

حطم تمثال أونيل الحجري المتوج في توليهونج. لم يكن ثمة داع لهذا، أليس كذلك؟ (وقفة قصيرة) ماذا هناك أيضا؟ كتب ملك فرنسا إلى الملكة إليزابيث داعيا إياها إلى مفاوضتنا. إنه يضيع وقته اللعين. كل

أراضـيك في ديري أعطيت إلى الأسـقف مونتجمري، وأراضيك في أرماغ إلى الأسقف البروتستانتي الجديد هناك... لا أعتقد أنني سمعت أي شيء آخر... لقد استولوا على حقوقك في صيد السمك في بان وفويل... وأنا قد استقلت يا هيو.

أونيل: ماذا تقصد؟

أودونيل: تنازلت لأخي روري

أونيل: اوه، هيو.

أودونيل: وسأغادر في نهاية الأسبوع.

أونيل: إلى أين؟

أودونيل: لا أعرف. إلى حيث تأخذني السفينة. ربما إلى إسبانيا.

(وقفة قصيرة يبتسم أودونيل بشجاعة وتردد).

كلا، لم يكن هذا قرارا مفاجئا. لقد كنت أفكر فيه منذ شهور، منذ كينسيل وسيكون روي قائدا حسنا، إنه رجل صلب، هادئ جدا ومتزن جدا، ليس لديه أسلوبي أو نزعتي بالطبع. ولكن عندي نقيصة أو اثنتان كما تعلم. دمي يغلي بسرعة كبيرة، كما أنني كنت دوما عديم الجدوى في تعاملي مع الموظفين ورؤساء الوزراء وأناس من هذا النوع. ليس

مـثلك. حـتى مع أهلي وناسي بحق الله، فأعضاء أسرة ماكسويني من فاناد كانوا تواقين ليبسطوا سيطرتهم علي. على أي حال شيخ القبيلة ليس له أهمية كبيرة أليس هذا ما يقوله لنا منشدونا؟. الأرض هي الإلهة التي يتداول الزواج بها كل الحكام. نحن نأتي ونذهب، لكنها تبقى كما هي. وإلهة تايروكونيل تحصل الآن على رجل جديد. المشكلة هي أنها بغض النظر عمن تتزوج، فإنني سأبقى دوما عاشقا لها... (يأخذ جرعة ماء) يا إلهي، هذه الأشياء يمكن أن ترهق فيلا!

أونيل: متى ستغادر؟

أودونيل: في الجمعة القادمة.

أونيل: من أين؟

أودونيل: سأستقل سفينة من مكان يدعى كاسل هيفن... أينما كان هذا.

أونيل: قرب سكيبيرين

أودونيل: أينما كانت سكيبيرين هذه.

أونيل: سوف تقفل راجعا يا هيو.

أودونيل: نعم. في لمة شقراء مستعارة معطف قرمزي اللون وأنا أقود مائة ألف من الإسبان! وفي المرة القادمة سنهبط في ديري... والأفضل

حتى في راثمولان، وسوف تحصل والدتي على أجور النزول إلى اليابسة من الأغبياء... أليس كذلك؟ (يضحك) لا، المسألة.انتهت يا هيو. انتهت إلى الأبد. مسكين بيتر لومبارد العجوز، إنها نهاية قاتمة مرعبة لتاريخه، أليس كذلك. أقصد، يا إلهي، كيف يمكن للمسكين أن يشكل قصة شائقة من هزيمة كهذه... ها؟ لو أن لديه ذرة عقل لألغى المسألة برمتها. أجل، ثمة شيء واحد يمكن أن يعيدني إلى بلدي ذات مرة، لأستعيد أغنامي من القذر أودوهيرتي. آه، يا رجل... (يلقي بذراعيه، وهو على وشك الانهيار، باندفاع حول أونيل؛ يتعانقان عدة ثوان. ثم يذهب أودونيل إلى حقيبته للحصول على منديل) وماذا بشأنك؟ ماذا ستفعل؟

أونيل: ليس لدي خيارات عديدة، وأنا لست شابا مثلك.

أودونيل: صحيح تماما... على الأقل تكبرني بعشرين عاما.

أونيل: شعوري هو أن أغادر مثلك.

أودونيل: ما رأي ميبل؟

أونيل: إنها تلح علي أن أبقى، وألملم الشتات، وأبدأ من جديد. الإنجليز الجدد عنيدون جدا.

أودونيل: ربما تكون على حق. إنها فتاة صغيرة مخلصة جدا.

أونيل: ورأيها هو بما أن البلاد في مثل هذه الفوضى، فإن ماونتجوي ليس لديه القدرة ولا الموارد لفرض النظام؛ ولكنني إذا ما أصدرت تصريحا علنيا بالولاء والإخلاص للملكة، وإذا ما أعادت الملكة تنصيبي...

أودونيل: هل فقدت...؟

أونيل: ومنحتني سلطة اسمية من دون قدرة سياسية أو عسكرية إطلاقا، تقول ميبل إن علي حينها أن أقبل أي شروط تقريبا، بغض النظر عن كم هي مذلة، مادمت سأعود إلى قاعدتي ثانية وإلى شعبي.

أودونيل: ولماذا بحق الله ستعيدك الملكة إليزابيث؟

أونيل: لأنها تعلم أن الطريقة الوحيدة التي تتمكن من خلالها حكم أيرلندا في هذه المرحلة هي استعمال شخص مثلي. إنها تكرهني... لكن يمكنها أن تحكم من خلالي، شرط أن تكون لها السيطرة علي. على الأقل هذه هي حجة ميبل. أعتقد أنني أستطيع الحصول على ما يكفي من شعبي خلفي، وهي تعتقد أن بعض الإنجليز الجدد سيدعمون هذا... أولئك المتقززون من إنجلترا.

أودونيل: وهكذا فأنت تكتب استسلامك؟

أونيل: ما البديل؟ حياة مهاجر نكد يحبك ويدبر المكائد في عواصم أوروبا.

أودونيل: مثلي.

أونيل: لم أعن هذا يا هيو.

أودونيل: أرني ذلك. أتعلم، إنك تافه عنيد أيضا. أنت وميبل تناسبان بعضكما.

(في البداية يقرأ أودونيل أجزاء من وثيقة استسلامه بصوت ساخر مبالغ فيه. إنه لا يعلم أن أونيل جاد تماما. لكن مع استمرارهما في قراءة الوثيقة، أودونيل يقرأ أجزاءه، وأونيل يقول أجزاءه غيبا، يتضاءل حس الفكاهة الجيد لدى أودونيل ليصبح رسميا وجادا مثل أونيل).

(يقرأ) أنا، هيو أونيل الذي جرى تنصيبي على إيرل تايرون من قبل ملكة إنجلترا، وفرنسا وأيرلندا ومعروفها العظيم أسجد بتوبة نصوح صادقة على قدميها الملكيتين.

(يقع أودونيل على ركبتيه) وأضع نفسي بصورة مطلقة تحت رحمتها. (لا يقرأ) الرحمة أيتها الملكة، الرحمة!

أونيل: وأتوسل وأنا في غاية الحزن إلى عطفها الرحيم وأخاطب فقط عفوها الأميري، من

دون اللجوء إلى تبرير أفعالي العدوانية ضد جلالتها المقدسة.

أودونيل: (يقرأ) أرجو أن يسعد جلالتها أن تخفف من استيائها العادل ضدي بسبب عصياني غير الطبيعي الذي لا يستحق العفو والذي لا يمكن أن أكفر عنه حتى بحياتي، (لا يقرأ) يا إلهي، أنت محتال عظيم يا أونيل.

أونيل: أنا أتوسل بكل تواضع إلى جلالتها أن تعيدني إلى حياتي وكرامتي السابقتين حيث أقسم كمواطن مطيع أن أستمر منذ الآن مخلصا لشخصها الملكي، ولتاجها، وحقوقها، وقوانينها الإنجليزية.

أودونيل: الإنجليزية؟! هيه، ثابر يا رجل ثابر!

أونيل: إنني أرفض وأشجب كل القوى الأجنبية مهما كان نوعها وجميع أشكال الاتكال على أي ملك آخر سوى جلالتها: ملكة إنجلترا وفرنسا وأيرلندا...

أودونيل: (يقرأ) وأقسم أن أخدمها بإخلاص ضد أي قوة أجنبية تغزو مملكتها، وبصورة خاصة أشجب وأرفض كل أشكال الاعتماد على ملك إسبانيا، وسوف أكون مستعدا بكل ما أوتيت من قوة لأخدم جلالتها ضده أو ضد أي من قواته أو حلفائه.

أونـيـل: إنني أتنازل عن جميع المطالب والألقاب فيما يتعلق بأي أرض سوى ما سوف يمنح لي، وأخيرا أقدم للملكة وأعيانها هنا مساعدتي الكاملة في أي شيء يمكن أن يسهم في تحسين خدمتها وحكم هذه المملكة بصورة سلمية.

أودونـيـل: (يقرأ) وسوف أساعد بوجه خاص في القضاء على كل التقاليد الغالية البربرية التي تعتبر بذور كل ما هو ضد المدنية.

أونـيـل: وفي إزالة كل الممرات والأماكن الصعبة...

أودونـيـل: (يقرأ) التي تعتبر مواطن...

أونـيـل: التي تعتبر مواطن مغذية للعصيان وسوف أحاول إنشاء مساكن...

أودونـيـل: (يقرأ) مساكن مدنية.

أونـيـل: مساكن مدنية لنفسي ولأهل بلدي لتحمينا ضد أي قوة سوى قوة الدولة...

أودونـيـل: القوة التي تجعلنا...

أونـيـل: القوة التي تجعلنا نطمئن أنه ستجري حمايتنا مادمنا بقينا نقوم بواجباتنا المخلصة الصادقة تجاه جلالتها.

أودونـيـل: (يقرأ) الأرحم...

أونـيـل: تجاه جلالتها الأرحم والأعطف والأنبل والأسمح.

أودونـيـل: (يقرأ) التي أقدم إليها الآن بطواعية تامة

وذل تام خدماتي... وفي الحقيقة...
حياتي...
(صمت ثم يبتعد أونيل كما لو أنه يرغب إبعاد نفسه عما قاله توا. أودونيل لا يزال جاثيا على ركبتيه) هذه نهاية الأمر كله يا هيو، أليس كذلك؟ (وقفة قصيرة) يا إلهي. (ينهض واقفا على قدميه مبتهجا) ومع ذلك يقولون إنها امرأة مميزة، هذه الملكة. اللعنة. ألن يكون أمرا جيدا لو صدقتك... ها؟

أونيل: إنها لن تصدقني.

أودونيل: ولكن لو صدقتك! اللعنة! سوف أعلن خضوعي لها بنفسي!

أونيل: التصديق لا علاقة له بالأمر. كما تقول ميبل، إنها ستستعملني إذا راق لها هذا وكان في مصلحتها.

أودونيل: وشعبك؟

أونيل: إنهم أكثر نقاء، «شعبي». آه، لا، لن يصدقوني أيضا. لكنهم سيتظاهرون أنهم يصدقونني، ثم من خلال منطق غالي صارم سوف يصلبونني لأنني خنتهم. (يدخل هاري. ينظر بسرعة إلى أونيل أولا ثم إلى أودونيل... لم يلحظا وصوله. ثم يحييهم بحرارة واضحة مقصودة).

هــــــــــــاري: لن يكون من الصعب مفاجأتكما.

أودونــــيــــل: هاري، كيف أنت يا رجل؟

هــــــــــــاري: متى عدت؟

أودونــــيــــل: وصلت للتو.

هــــــــــــاري: ظننا أننا قد فقدناك... (مخاطبا أونيل) أليس كذلك؟

أودونــــيــــل: حاولت الاستسلام إلى دوكرا لكنه رفض قبولي.

أونــــيــــل: كيف كانت الرحلة؟

هــــــــــــاري: الرحلة كانت حسنة لقد قمنا برحلة جيدة.

أونــــيــــل: وهل كان أفراد أسرة أوكاثين يتوقعون قدومها؟

هــــــــــــاري: أقاموا حفلة استقبال كبيرة. كل شيء هادئ هنا؟

أونــــيــــل: هل كانت على هيئة حسنة حينما غادرتها؟

هــــــــــــاري: إن لديهم مكانا عظيما هناك (مخاطبا أودونيل) إيثا أوكاثين وأمك بنات عم، أليس كذلك؟

أودونــــيــــل: بنات عم من الدرجة الثانية.

هــــــــــــاري: أجل، ذكرت ذلك (يبحث في حقيبته) وأرسلت لكما بعض الطعام: بعض خبز الشوفان والحليب وما هذا... والبسكوت... بسكوت غريب المنظر.

أونــــيــــل: هل يعرفون بالضبط أين أنا؟

هــــــــــــاري: بالطبع يعرفون، زبيب وطحين...

أونــــيــــل: وسوف يتصلون بي مباشرة؟

هـــــــــاري: أجل، وأرسلت هذه خصيصا لك يا هيو.
(يناول أودونيل زجاجة)

أودونــــيـــل: هل هي ويسكي؟

هـــــــــاري: عمرها عشرة أعوام.

أودونــــيـــل: إيثا امرأة محترمة. وحمدا لله أنني لم أضع فيها ماء.

هـــــــــاري: هل من أحد آخر جائع؟

أونــــيـــل: لا، شكرا.

أودونــــيـــل: (يشرب) حظا سعيدا، يا هيو.

أونــــيـــل: ليس لي.

أودونــــيـــل: ما الأخبار بخصوص دنجفن يا هاري؟

هـــــــــاري: (يأكل) دعني أرى. لا شيء مهما جدا. رئيس الأسقف لومبارد ذهب إلى روما.

أودونــــيـــل: بصورة نهائية؟

هـــــــــاري: لقد اخترعوا له نوعا من العمل هناك.

أودونــــيـــل: تأكد أن بيتر العجوز سوف يحط دائما على قدميه.

هـــــــــاري: وذهب الاسقف أوفيديو إلى إنجلترا. وفي الصباح التالي على موقعة كينسيل توجه مباشرة إلى لندن ليطيب قلوب السلطات هناك... في حال حصل وفعل ضد الكاثوليك في إنجلترا.

أودونــــيـــل: أولئك الأولاد لا يدعون شيئا يفوتهم، أليس

كذلك؟ هذا شراب لذيذ. أأنت متأكد أنك لا ترغب بقليل منه يا هيو؟

هـــــاري: أترك قليلا لبقيتنا.

أونـــــيـــــل: لدى أسرة أوكاثين اطباؤها الخاصون، أليس كذلك؟

هـــــاري: شين أوكيون. قابلته هناك. وبدا ذا كفاءة عالية، هل من جديد آخر؟ آه، نعم، السير جاريت مور يريد أن يتصل بك... أتصور بحافز من ماونتجوي. إنه يريد استكشاف أي أرضية لمصلحة ربما لا تزال موجودة بينك وبين التاج. والذريعة في نزولك إلى بوين هو الهجرة الأولى لـ سلمون البحر المرقط. ولئن ذهبت، فإنني متأكد أنه سيكون لديه بعض الموظفين هناك.

أودونـــــيـــــل: إذا هم يريدون التحدث معك يا هيو. كانت ميبل على حق.

هـــــاري: ماذا أيضا؟... ثمة إشاعة أن ماونتجوي نفسه ربما يواجه مشكلة بسبب امرأة في إنجلترا... الليدي بينيلوبي ريتش؟ هل هذا هو اسمها؟ على أي حال يقولون إذا ما أصبحت الفضيحة علنية، فربما يستدعى ماونتجوي. ماذا كان هناك أيضا...؟ شين نا بونتا لا يزال يتجول بهدوء في البلاد بحقيبته الجلدية

البنية يجمع ريع إيجاراتك كما لو أن المكان ليس في حالة فوضى!... تادج أوسيانين يكتب كتابا عن السنين العشر الماضية.

أودونيل: تاريخ آخر! يا إلهي، لو أن لدينا كعكا من الخبز قدر ما لدينا من المؤرخين!

هاري: تادج سيقدم عملا دقيقا جدا... وهناك أجزاء من كتاب آخر يجري تداولها، ويبدو أن الحكومة الإنجليزية تعيره اهتماما كبيرا. كتبه رجل إنجليزي يدعى سبنسر كان يملك مكانا قرب جبال باليهوراس... من يدري أن تقع... إنني أصبح مثلك يا هيو... إنها في مقاطعة كورك، اليس كذلك؟ على أي حال سبنسر هذا أحرق في حوادث الشغب بعد معركة بلوفورد (ينهار فجأة ولكنه يواصل الحديث بلا توقف). آه يا إلهي يا هيو، لا أدري كيف أنقل إليك الخبر... لا أدري كيف أخبرك... لم نكد نصل إلى بيت أو كاثين...

أودونيل: هاري...؟

هاري: وكانت الرحلة جيدة كانت تبدو في هيئة رائعة... غنينا أغنيات معظم الطريق، علمتها أغنية «تابهير دوم دو لامه» وهي أغنية رودهير دال، ذلك لأن أفراد أسرة أوكاثين هم أقرباؤه وبإمكانها أن تتفاخر أمامهم،

وضحكنا على الطريقة التي لفظت بها الكلمات الإيرلندية حتى شعرنا بالألم، وعلمتني هي أغنية من ستافوردشاير تدعى «اللورد براند كان سيدا لطيفا»، وحاولت أن أغنيها بلهجة ستافوردشاير... ولم يكن لأحد أن يعنى بها أفضل مما فعلت، كانوا جميعا بانتظارها، إيثنا، والدكتور أوكوين، وقابلتان وستة من الخدم. وبدا كل شيء عاديا، كل شيء كان حسنا. قالت إذا كان المولود صبيا فسوف تسميه نيكولاس على اسم والدها، وإذا كان المولود بنتا فسوف تسميها جوان على اسم والدتك، وعندما سألتها إيثنا فيما إذا كنت تفكر بالذهاب إلى المنفى شعرت بالقلق البالغ وقالت «هيو؟» ثم قالت «هيو لن يخون شعبه أبدا». وبعد ذلك مباشرة بصورة عادية، وطبيعية تماما جاءها المخاض، ولا أدري ما حدث، ما زلت لا أعلم في الحقيقة، وأيا كان ما حدث... هناك مجرد شيء لم يكن صحيحا يا هيو. عاش الطفل حوالي ساعة... كان صبيا لكنها لم تعرف مطلقا أنه كان قد مات... وبعد ذلك بقليل كانت إيثنا جالسة على كرسي بالقرب من سريرها تماما، أقرب مما أنا إليك... وكانت تنام

بسلام تام، ثم أصدرت تنهدة طويلة كما لو أنها كانت متعبة جدا وحينما وضعت إيثنا يدها على خدها. لم يكن بالإمكان إخبارك... لقد حصل كل شيء بسرعة كبيرة... هي والطفل في غضون ساعتين... قال الدكتور شيئا يتعلق بتسمم الدم... اوه، يا إلهي، أنا آسف أسفاً بالغا من أجلك... آسف من أجل جميعنا... لقد أحببتها أنا أيضا، أنت تعلم ذلك، منذ اليوم الأول الذي التقيناها فيه... أتذكر ذلك اليوم في مايو؟... عيد ميلادها العشرين؟... كانت ترتدي فستانا أزرق اللون وياقة بيضاء وقفازين أبيضين... لو كنت قد رأيتها وهي مسجاة، بدت مثل فتاة في الرابعة عشرة من عمرها، كانت جميلة جدا، رحمة الله عليها.. رحمة الله علينا جميعا.

(صمت طويل)

أونيل: (بصوت يقارب الهمس) أجل، أعتقد أنني سأشرب القليل من ذلك الويسكي الآن يا هيو. قدر صغير فقط، من فضلك من دون ماء. آه، يا إلهي العزيز...

(تعتيم سريع)

المشهد الثاني
(شقة أونيل في روما بعد سنين عديدة)

حينما ترتفع الستارة، الضوء الوحيد على خشبة المسرح يصدر عن شمعة على مكتب واسع. هذا مكتب لومبارد؛ مملوء بالأوراق؛ وفي الوسط كتاب ضخم... إنه كتاب التاريخ. الغرفة مؤثثة بصورة غير كافية، ثمة طاولة صغيرة، وبعض المقاعد، ومقعد قدمين، وأريكة.

أونيل الآن في أوائل الستينيات. نظره بدأ يتعبه، وهو يحمل عكازا. ويفرط في الشراب. نسمع في البداية صراخه الأجش. وحينما يدخل نرى أنه مخمور قليلا. مزاجه متقلب، ونزق، وخطر. إنه يحمل شمعة رفيعة مضاءة.
أونيل (من بعيد): هل من أحد في البيت؟ يا هاري؟ لماذا لا توجد أضواء لعينة هنا في الخارج؟ (الآن يتابع): كاتريونا؟ زوجك المخمور قليلا قد عاد! في الحقيقة كان ينبغي ألا أشرب تلك الزجاجة الأخيرة من... (يصطدم بمقعد القدمين فيقلبه، وبينما هو يعيده كما كان) سامحني. إنني أستميحك عذرا. ربما تستطيع أن تساعدني يا سيد.

هل أنا في البناية الصحيحة؟ كما ترى، أنا أجنبي في مدينتكم، مهاجر من أيرلندا في الحقيقة... نعم، نعم، ارلندا. آه! هل زرتها؟ جميلة حقا، حقا جميلة جدا. أنت لطيف جدا. ماذا تقول؟ آه، نعم، ذلك صحيح تماما... الجميع يحبوننا. وسأخبرك لماذا يا صديقي: لأننا أكثر الشعوب جاذبية وإخلاصا. والآن، من فضلك، إنني أحاول أن أجد طريقي إلى بالاتسو ديل بنتنشيري الواقع بين شارعي كونسلياشوني وبورجوسانتوسبيريتو حيث أعيش مع...
(يتوقف فجأة لأنه يجد نفسه، وهو يحمل شمعته عاليا، واقفا أمام المكتب وينظر إلى الكتاب. يحدق بالكتاب لثوان قليلة).
(وبرقة بالغة): البناية الصحيحة حقا. البيت. كل شيء في مكانه... (يبتعد بضع خطوات عن المكتب. ينادي) يا أيها الأسقف؟ يا هاري؟ (لا يتلقى جوابا. يعود إلى الكتاب ويديره بحيث يستطيع قراءته. ينحني فوق الصفحة، وجهه قريب منها، يقرأ): «بسم الله: بهذا أبدأ بيدي تسجيل تاريخ حياة هيو أونيل، إيرل تايرون، ابن فيردورشا، ابن كون باكاج، ابن كون مور، أنبل ولد لسلالة نبيلة، الذي غذاه

وأنشأه نبلاء قبيلته طيبو المحتد من أسرتي أوهاجان وأوكوين، والذي استمر يكبر تهذيبا ووسامة، وكياسة وفصاحة، وحكمة ومعرفة، وبسطة في الجسم والأعمال النبيلة، بحيث انتشر اسمه وانتشرت شهرته في أرجاء مقاطعات أيرلندا الخمس وما وراءها...» (فجأة يبتعد بصورة عنيفة غاضبة عن المكتب، ويجأر) أين الجميع بحق الجحيم؟ يا كاتريونا؟ إن إيرلك المخلص في البيت! (يصغي. فلا يسمع صوتا) لا شك أنها في الصلاة.

(يذهب إلى الطاولة الصغيرة وينير الشموع هناك. ثم يفرغ البقايا من زجاجتين فارغتين في كأس خمر. وبينما هو يقوم بهذا يواصل): كونتيستي ذات شهرة عريضة في هذه المدينة. بالطبع هي لا تزال جذابة، حقيقة أضحت أكثر جاذبية بكثير منذ أن بدأت تشيخ بصورة طفيفة جدا، وبحكمة تقريبا. لا شك أن هذا استجابة حدسية لتفضيل الرومان للزيادة في النضوج. هؤلاء الرومانيون شعب غريب، لدرجة أنهم يجدون لهجتها الاسكتلندية المبتذلة ساحرة. من حسن حظهم أنهم لا يفهمون كلمة واحدة مما...

(يندفع عائدا إلى الكتاب المفتوح، لا يستطيع مقاومة جاذبيته، وينحني مرة أخرى عليه انحناءة قصير البصر، ويقرأ): «وفكر الناس أنه حينما يبلغ مرحلة الرجولة فلن يكون له مثيل بين الأيرلنديين ليثأر لما حل بهم من ظلم ويعاقب صور النهب والسلب التي تعرض لها عرقه. لأنه جاء في نبوءات الأنبياء والمتنبئين بالمستقبل أنه سيظهر واحد مثله.

رجل عظيم ونقي ومخلص فوق الجميع
ذلك الذي سيسبب النحيب في كل أرض
وسيكون أميرا
وسيكون ملكا طيلة...

(يطبق الكتاب بغضب شديد)
اللعنة عليك أيها الأسقف!. ولكن هذه واحدة من المعارك لن أخسرها! (يبتعد عن الطاولة ويجأر صارخا) أين الجميع بحق الجحيم؟ أنت يا كاتريونا، أيتها الكلبة أين أنت؟ يا هااااري ي ي ي!

(يستدير. يجد هاري قريبا منه... يفاجأ): آه، أنت هنا. لماذا تختبئون مني دوما؟ أين الجميع بحق الجحيم؟

هـــــــــــاري: كاتريونا خرجت، إنها تقول...

أونـــــيـــــل: (بغضب شديد ثانية) خرجت! خرجت! أخبرني بحق الجحيم متى كانت زوجتي اللطيفة في البيت على الإطلاق! (بصوت رقيق) آسف.

هـــــــــــاري: والأسقف في الطابق العلوي. كان عليك قضاء فترة العصر معه.

أونـــــيـــــل: ولماذا كان علي أن أفعل هذا؟

هـــــــــــاري: كان يريد تأكيدا على بعض التفاصيل.

أونـــــيـــــل: عم تتحدث؟

هـــــــــــاري: من أجل تاريخه.

أونـــــيـــــل: «تاريخه»! اللعنة على تاريخه! إنني لم أتناول طعاما طيلة النهار يا هاري، وأفترض أنني يجب أن أكون جائعا.

هـــــــــــاري: دعني أحضر لك...

أونـــــيـــــل: كلا، لا أريد طعاما. ماذا حدث هنا منذ الصباح؟

هـــــــــــاري: وصل جواب من ملك إسبانيا.

أونـــــيـــــل: رائع!

هـــــــــــاري: في النتيجة، يشكرك على رسائلك الثلاث الأخيرة...

أونـــــيـــــل: ولكن...

هـــــــــــاري: ولكنه يذكرك مرة ثانية أن إنجلترا وإسبانيا

وقعتا معاهدة سلام. إنها هشة ولكنها صامدة.

أونيل: ملك إسبانيا خاننا يا هاري.

هاري: إنه يعتقد أن مصالح إسبانيا وأيرلندا... يمكن خدمتها أفضل عن طريق «عدم فعل شيء».

أونيل: عدم فعل شيء.

هاري: ويحثك على البقاء في روما في الوقت الراهن.

أونيل: لقد مكثت في روما في الوقت الراهن بناء على إصراره طيلة السنوات الثماني الماضية!

هاري: يقول إنه يقدر لك صبرك المسيحي.

أونيل: (يصرخ) يقدر... المسيحي...! (برقة) سأموت في هذه المدينة اللعينة يا هاري. أنت تعلم هذا، أليس كذلك؟ وأدفن هنا بالقرب من ولدي في كنيسة سان بيترو. (يضحك) إن الشراب يجعل الأمراء جياشي العاطفة.

هاري: ألم يكن اليوم جيدا؟

أونيل: آه، رائع! منشط! النشاط السياسي المحموم المعتاد، والإثارة الفكرية. سرت أولا إلى قمة تل جانيكولوم. ثم هبطت ثانية. ثم وقفت في الطابور في مكتب سكرتير البابا، والتقطت مخصصي البابوي الهزيل وانحنيت وقلت (بالإيطالية) «شكرا، شكرا جزيلا» ثم وقفت

في الطابور في السفارة الإسبانية والتقطت مخصصي الإسباني الهزيل وانحنيت وقلت (بالإسبانية)، «شكرا، شكرا جزيلا» ثم...
(يقطع حديثه، ويشير إلى السقف): هل الأسقف هناك؟
(يومئ هاري بالإيجاب)
(يهمس) ثم أمضيت أروع ساعة مع ماريا النيابوليتانية.

هاري: ذلك اسم جديد.

أونيل: أجل، ماريا فتاة رائعة. مشبعة بالأساطير الإغريقية وتتحدث ست لغات. على أي حال تركت بعض نقودي معها، نقود إسبانية بالطبع. وحينما كنت أغادر هل تعلم ماذا قالت لي يا هاري؟ (بالإيطالية) «شكرا سنيور. شكرا جزيلا» (يضحك هاري) قالت ذلك. وأعتقد أنها كانت تعنيه. أنا رجل عجوز... وجدت من يمتدحني للحظات.

هاري: ثم التقيت نيشتن أو دامهانيل وكريستوفر بلنكيت.

أونيل: هل كنت تتجسس علي؟

هاري: كانا هنا هذا الصباح يبحثان عنك.

أونيل: وأمضينا العصر معا... كما ترى.

هاري: أو دومهانيل كان ثملا عندما كان هنا.

أونيل: ومرة أخرى استعرضنا الخطة الكبرى لتكوين جيش واسترداد أيرلندا. ستقدم إسبانيا الرجال، وفرنسا ستزودنا بالمدافع، وسيدفع البابا تكاليف النقل، وبالطبع سيقود أونيل تايرون حشد التحرير. ولكن لأن بصري غير كامل فإن بلنكيت سيسير راكبا بضع خطوات أمامي. ولأن سمع بلنكيت ليس على ما يرام، فإن أودومهانيل سيسير بضع خطوات أمامه. ينبغي علينا أن نتغاضى عن هذيانه الارتعاشي، لأنه هو ذاته يرفض الاعتراف به. تقديرنا أن سحق الإنجليز ربما يستغرق معظم اليوم، وربما يومين إذا قرروا القتال. تاريخ البدء هو ١٩ مايو: تعلم أن الثامن عشر هو يوم المنحة الحكومية.

هاري: في أي خمارة كنتم؟

أونيل: خمارة بيدرو بلانكو كانت ملأى كالعادة. أصر بلنكيت على أن الزبائن كانوا جميعا إنجليزا متخفين كالرومان، يتجسسون علينا ولذلك لأسباب أمنية، فقد منحنا خطتنا الكبرى اسما رمزيا، كان هذا إبداع أودومهانيل الوحيد، «عملية أرض المرج»... لا أستطيع الصبر فترة أطول بكثير يا هاري أعتقد أن عقلي بدأ... ربما علي أن آكل شيئا.

هـــــــــاري: حسنا، سأحضر لك...

أونــــــيــــــل: ليس الآن، فيما بعد، لو سمحت...

(يمد الكأس نحو هاري كي يملأها)

هـــــــــاري: آسف يا هيو. لم يبق عندنا خمرة. لا توجد خمرة في البيت.

أونــــــيــــــل: لماذا؟

هـــــــــاري: (مترددا) ردني البائع عصر هذا اليوم. أخشى أننا فقدنا اعتمادنا.

أونــــــيــــــل: من هذا البائع؟

هـــــــــاري: اسمه كارلو كذا. لقد تعاملنا معه باستمرار. دكانه خلف...

أونــــــيــــــل: ورفضك؟

هـــــــــاري: إننا مدينون له بثمانمائة دوقية.

أونــــــيــــــل: رفضك؟

هـــــــــاري: إنه رجل طيب، لكن لديه ستة أطفال صغار.

أونــــــيــــــل: (يصرخ) لا تكن مراوغا لعينا يا هاري. (برقة) هل رفضك هذا الرجل؟

هـــــــــاري: نعم، رفضني.

أونــــــيــــــل: وهل علم لأجل من كانت الخمرة؟

هـــــــــاري: أنا متأكد أنه كان يعلم.

أونــــــيــــــل: هل قلت له إن الخمرة كانت لأجل هيو أونيل؟

هـــــــــاري: ما زلت أذهب إليه منذ أن كنا...

هل قلت له بالضبط إن الخمرة كانت لأجل هيو أونيل؟

هـــــاري: أجل، بالطبع كان يعلم أن الخمرة كانت لأجل هيو أونيل، والذي قاله إن اعتماد هيو أونيل قد انتهى... لا دفع، لا خمرة. وربما ينبغي أن تعلم أيضا أننا مدينون بنقود لخياط كاتريونا وللخباز، ولم يدفع إيجار هذا البيت منذ ستة شهور.

أونـــيـــل: (ببرود) أنت تصرخ في وجهي يا هاري.

هـــــاري: آسف، لم أعد أيضا أحتمل أطول يا هيو.

أونـــيـــل: وربما يكون هذا وقتا جيدا لتلقي نظرة على كيفية تبذيرك للنقود التي أضعها في عهدتك لتدير شؤوني، أو ربما الأكثر أهمية هو لماذا تبذر ذلك المال. لأن ظني أن هذا ليس مجرد عدم براعتك المعتادة في مسائل النقود (يذهب هاري إلى الباب).

هـــــاري: سنتحدث غدا يا هيو.

أونـــيـــل: ما أظنه هو أن الفخر الذي عبرت عنه ذات مرة في أن تكون خادما لأونيل قد ولى منذ زمن، وأفترض أن هذا يمكن فهمه: لم أعد أستطع أن أكون ذا فائدة كبيرة لك، أليس كذلك؟

هـــــاري: أنت تشك في كل شخص و...

أونـــيـــل: ولأن ذلك الفخر قد ولى فظني هو أن

عنصراً شاذاً في طبيعتك غير مستاءً إطلاقاً لرؤيتك هيو أونيل يهينه بائع خمرة مغمور في شارع خلفي.

هاري: هيو...

أونيل: لكن يؤلمني أن أراك نكدا جدا بحيث يسرك في الحقيقة أن ترى مساعدو الشريف وهم يرمون بي إلى الشارع. ما الذي يضايقك يا هاري؟ بعض المرارة؟ استياء عميق؟ إحساس أكال بالخيانة؟

هاري: نكد؟ أنت من يحدثني عن كوني نكدا، عن الخيانة؟ (يضبط نفسه). اترك الباب مفتوحا للكونتيسة.

أونيل: ماذا دعوتك ذات مرة يا هاري؟ أكان لسان الثور(*) لا، كان ذلك أودونيل يرحمه الله، هيو المخلص الصادق. لا، أنت كنت... الشبت! الرجل ذو التأثير المهدئ المريح. والأمر الشيق هو أنني اخترت هاري هوفدين ليكون سكرتيري الخاص بالضبط لأنه لم يكن غاليا. تعلم، فكرت أن الغاليّ ربما يضعف أمام الضغوطات القبلية الصغيرة، أمام ولاءات محلية صغيرة، وهي نقيصة إنسانية جذابة تقريبا حينما تفكر بها. وهكذا اخترت بدل ذلك أحد الإنجليز القدماء لأنه سيكون

(*) لسان الثور: هو عشب أوروبي أزرق اللون (المترجم).

فوق ذلك النوع من الفساد التافه. وهكذا اخترت هاري هوفدين لأنه ادعى أنه معجب بهيو أونيل وكل ما كان هيو أونيل يحاول القيام به تجاه شعبه. ولأنه حينما ترك الإنجليز القدماء وانضم إلينا احتج على مثل هذا الولاء والإخلاص ليس فقط إلى هيو أونيل بل إلى الأمة الغالية بأسرها.

هاري: لو لم تكن مخمورا جدا يا هيو...

(يتوقف لأن لومبارد يدخل)

أونيل: الغلطة غلطتي بالطبع. أعتقد أن ذلك الرفض السهل لولاءاته القديمة وإظهار الولاء المبالغ فيه تقريبا لنا كان ينبغي أن ينبهني. بالتأكيد لم تخدع ميبل بذلك.

هاري: أنا حزين لأجلك يا هيو. لقد أصبحت تثير الشفقة.

أونيل: ألم تعد تؤمن بالإخلاص يا هاري؟ بالإيمان؟ بالولاء؟

(يقيم لومبارد الوضع مباشرة وبدقة، واستجابة لذلك يتبنى أسلوبا نشطا ومرحا يحتفظ به خلال المشهد كله. يرفع زجاجة وهو يدخل عاليا، وفورا يندم أونيل على هيجانه لكنه عاجز عن الاعتذار ويسقط فجأة متجهما على أحد المقاعد).

لومبارد: لقد جئت في وقت سيئ، أليس كذلك؟ لا؟ جيد، انظر ما لدي هنا. لن تحزر أبدا ما هذا يا هاري.

هاري: زجاجة.

لومبارد: ذكي. أليس كذلك ياهيو؟

أونيل: أجل.

لومبارد: وصلت هذا اليوم بالذات من البلاد. لكنها زجاجة من نوع خاص جدا يا هاري. إنها بواتين من ووترفورد. لم أكن ذا فائدة كبيرة أبدا لرفاهية حياتهم الروحية لكنهم بالتأكيد لا يتجاهلون مكانة روحي! (يضحك) هل لديكم بعض الكؤوس؟ (مخاطبا أونيل) تقول كاتريونا إنها ستتأخر فلا تنتظرها. قالت شيئا عن خياط وقياس فستان. (مخاطبا هاري) رجل طيب. أؤكد لك أن هذا شراب لذيذ.

هاري: ليس لي يا بيتر. لكنه بحاجة ماسة إلى القليل.

(وعندما يغادر هاري ينادي لومبارد خلفه)

لومبارد: سأضع هذا جانبا لك، وإذا أحببت الانضمام إلينا فيما بعد... وللإيرل ذاته، نقطة فقط. إنه رحيق نقي يا هيو (يأخذ رشفة ويتذوقها) إنها من أبرشيتي

الخاصة، وهي مكان ناء جدا يدعي آفين، تبعد حوالي عشرة أميال عن دانجارفن. وكان يصنع هذه الخمرة هناك طيلة عقود رجل عجوز يدعي أنه أحد أولاد الحرام لأورموند.

(يأخذ رشفة أخرى) رائعة، أليس كذلك؟ ينبغي أن تكون آفين إما قطعة من الجنة... أو...

(يضع أونيل شرابه الذي لم يلمسه جانبا)

أونيل: سأجربها فيما بعد يا بيتر.

لومبارد: طبعا. والآن. (يذهب إلى مكتبه) أنت لست بالغ التعب بحيث لا تستطيع مساعدتي في مراجعة بعض التفاصيل... أليس كذلك؟ رائع. (يرى أن الكتاب قد أُغلق) أتعلم يا هيو، كنت مشاغبا جدا اليوم.

أونيل: حقا..؟

لومبارد: كان ينبغي علينا أنا وأنت أن نمضي العصر في هذا.

أونيل: في أي شيء؟

لومبارد: تاريخي (يضحك) «تاريخي»! ستظن أنني كنت ثيوسيدويس، أليس كذلك؟ ولو أردت الحقيقة، فأنا مشوش جدا، إنني أكاد لا

أستطيع وضع كل هذه المعلومات في تسلسل زمني، ناهيك عن فهمها. ولكن إن كان علي أن أكتب عن حياة وعصر هيو أونيل، فإن تعاون الرجل ذاته سيساعد في ذلك، أليس كذلك؟

أونــيــل: آسف يا بيتر.

لــومــبــارد: لا داعي للأسف، ها قد وصلنا... دعني أعلمك بالخطوط العريضة.

أونــيــل: أمضيت يوما سيئا.

لــومــبــارد: أعلم. إنه يوم تسلم نقود التقاعد. هذا يمكن تفهمه.

أونــيــل: كان يوما مخمورا وغبيا مع بلنكيت وأودونيل وأودوهامنيل.

لــومــبــارد: رأيتهما هذا الصباح. مشهد حزين. كانا رجلين عظيمين ذات يوم.

أونــيــل: وكنت قاسيا مع هاري قبل برهة.

لــومــبــارد: أحسست أن شيئا كان خطأ.

أونــيــل: أخبرته أن ميبل لم تثق به. كانت تلك كذبة لعينة. ميبل أحبت هاري.

لــومــبــارد: أعلم أنها أحبته. وهاري يتفهم الأمر. نحن جميعا نقدر الأمر. لقد كان وقتا عصيبا بالنسبة إليك يا هيو. من هنا تنبع أهمية هذا التاريخ... إنه مهم، مهمة حيوية. هذه

السنوات الأخيرة كانت بصورة خاصة تبعث على الشعور بالإحباط. لكن ما ينبغي أن نتذكره، ما يجب أن أسجله وأحتفي به، هو الحياة بأكملها، منذ البداية مرورا بتلك السنوات العظيمة حينما التقى الطموح والإنجاز، وكان أونيل اسما مألوفا عبر أوروبا لأنها كانت سنوات عظيمة يا هيو، وهي ليست مدعاة لاحتفالنا فحسب، بل لاحتفال الأجيال التي تلينا. الآن (يجد مخططه) أعتقد أن هذا هو... أليس كذلك؟

أجل، إنه هو.

أونيل: هل ستكون ميبل في التاريخ يابيتر؟

لومبارد: ميبل؟ أي نوع من الأسئلة هذا السؤال؟ بالطبع ستكون ميبل في التاريخ.

أونيل: ذات دور مركزي يابيتر.

لومبارد: وكذلك ستكون زوجتك الأولى، ابنة برايان ماك فيلم. وكذلك ستكون زوجتك الثانية، الفاتنة سيوبهان، وكذلك ميبل. وكذلك ستكون كاتريونا الجميلة. تقول لا تبق ساهرا بانتظارها. جميعهن سيذكرن. يا له من سؤال غريب (سرا) لكن علي أن أعترف بقلق سري يا هيو. واقعة أن هيو أونيل العظيم كان لديه أربع زوجات، وكانت هناك إشاعات حول

زوجة خامسة قبل سنوات وسنوات، أليس كذلك؟ قبل أن نلتقي أنا وأنت بزمن طويل. ولكن واقعة أن أونيل كان لديه أربع زوجات أنقول معترف بهن، أتعتقد أن هذا يمكن أن يبدو لقراء المستقبل... ربما على أنه إفراط؟ أنا متأكد أنه لن يبدو كذلك. ومتأكد أنني حساس جدا. على أي حال لا يمكننا عن قصد طمس ما نعلم أنه حدث، أليس كذلك. لذلك، لنعد إلى إطاري العام.

أونيل: هذه معركتي الأخيرة يا بيتر.

لومبارد: معركة؟ أي معركة؟

أونيل: ذاك (الكتاب)

لومبارد: عم تتحدث؟

أونيل: ذلك الشيء هناك.

لومبارد: تاريخك؟

أونيل: تاريخك أنت. أنا رجل عجوز لا أملك مركزا، ولا سلطة، ولا نقودا. لا... أنا لا أستجدي، لا أتوسل. لكنني أخبرك أنني سأحاربك على ذلك وسوف أربح.

لومبارد: تحارب... بحق الله عمّ يتحدث الرجل؟

أونيل: أنا لا أثق بك. لا أثق أنك ستقول الحقيقة.

لومبارد: لقول الحقيقة في...؟ أتعتقد حقا أنني سوف...؟

أونـــــيــــــل: أعـتـقـد أنك لست جـديرا بالـثـقـة. وذلك (الكتاب) هو كل ما تبقى لي.

لـومـــــبـــــارد: أنت جاد! يا هيو، بحق السماء!
(ينفجر لومبارد ضاحكا)

أونـــــيــــــل: تابع. اضحك. لكنني سأربح هذه المعركة يا بيتر.

لـومـــــبـــــارد: انتظر الآن... انتظر... انتظر... انتظر. فقط أخبرني بشيء واحد.
هل هذا الكتاب يمثل نوعا من مؤامرة حقود؟
هل أفعل شيئا مقيتا؟

أونـــــيــــــل: سوف تحنطني في... في... في كذبة منمقة.

لـومـــــبـــــارد: هل سأكذب يا هيو؟

أونـــــيــــــل: أنا بحاجة إلى الحقيقة يا بيتر. هذا كل ما تبقى. المخطط، القائد، الكاذب، رجل الدولة، الفاسق، الوطني، المخمور، النكد، المهاجر، المتهور. ضع كل هذا فيه يا بيتر.
سجّل الحياة كلها... هذا ما قلته أنت ذاتك.

لـومـــــبـــــارد: أصغ إليَّ يا هيو.

أونـــــيــــــل: إنني أطلب منك يا رجل. أجل، اللعنة، إنني أرجوك. لا تحنطني في أشكال من التقوى.

لـومـــــبـــــارد: دعني أخبرك بما أفعله.

أونـــــيــــــل: قلت إن ميبل سيكون لها مكانها. ذلك المكان أساسي بالنسبة إلي.

لومبارد: هلا أصغيت لي؟

أونيل: هل أثق بك في أن تجعل ميبل محورية؟

لومبارد: دعني أشرح ما هو مخططي. أيمكنني؟ من فضلك؟ وإذا اعترضت عليه، أو على أي تفصيل فيه، فإنني سأعيد كتابة المخطط كله بالطريقة التي تريدها. هذا وعد قاطع. أيمكن أن أكون أكثر عدلا من هذا؟ الآن. أنا أبدأ بميلادك وسلسلة نسبك النبيل وأنظر باختصار إلى تلك السنوات التكوينية حينما نشأت مع أسرتي أو كوين وأوهاجان، وتلقيت تعليمك المبكر على يد المنشدين والشعراء. ثم أنتقل...

أونيل: إلى إنجلترا.

لومبارد: ماذا قلت؟

أونيل: قضيت تسع سنوات في إنجلترا مع ليستير وسيدني.

لومبارد: فعلت هذا حقا. لدي كل هذه المادة هنا. ثم ننظر إلى السنوات التي ثبتَّ فيها مكانتك كحاكم غالي مرموق في البلاد، وهذا يقود إلى تلك المشاعر المبكرة التي ينبغي أن تكون قد أحسست بها فيما يتعلق بدولة قومية ناشئة. والآن نأتي إلى أول الحوادث الرئيسية في شهر سبتمبر ذاك حينما قدم كل أهالي أولستر معا إلى حجر التاج في تاليهوج خارج

دونجانون والخف الذهبي ألقي فوق رأسك وربط إلى قدمك، ووضعت العصا البيضاء في يدك اليمنى، وجرس القديس باتريك الحقيقي يجلجل برنينه عبر الأرض، ثم رسمت باسم... الأونيل.

أونيل: كانت تلك حيلة سياسية.

لومبارد: ربما كانت كما تقول أيضا.

أونيل: في الشهر التالي مباشرة رجوت إليزابيث أن تعذرني وتعفو عني.

لومبارد: لكنها مناسبة ذات أهمية رمزية عظيمة لشعبك تمثل ستمائة وثلاثين سنة مستمرة من هيمنة أونيل. حسنا، ثم أنتقل إلى تلك العلاقة الخاصة بينك وبين هيو أودونيل، والتشكيل الهادئ للروابط مع إسبانيا وروما، وتوحيد كل أولستر تحت لواء سلالة واحدة حاكمة ألهمت في النهاية جميع شيوخ القبائل الغاليين الانصياع تحت لوائك. وفجأة أصبحت الدولة القومية حقيقة. وبمناسبة الحديث عن هيو أودونيل... (يفتش خلال كومة أوراق) سيروقك هذا. نعم ربما سيريح هذا الأمر عقلك. لودهايد أوكليري كتب حياة هيو، وإليك كيف يصفه. أصغ إلى هذا «كان حمامة في خنوعه ورقته وأسدا في قوته وقدرته. كان بوقا عذب الصوت».

أونيل: «عذب الصوت»!

لومبارد: أصغ! «– مع قدرة على الكلام والفصاحة، والعقل والمشورة، وطلعة ودودة في وجهه أدهشت كل شخص من النظرة الأولى».

(يضحك أونيل).

أونيل: «حمامة في خنوعه»!

لومبارد: لكن عليك أن تعترف أن لها وقعا. ربما أنا وأنت نتذكر هيو مختلفا. ولكن ربما ليست هذه هي المسألة.

أونيل: ما هي المسألة؟ تلك بالتأكيد كذبة لعينة.

لومبارد: ليست كذبة يا هيو. مجرد تقليد. وسأصل إلى المسألة لاحقا. الآن، الحدث الرئيسي الثاني هو حرب السنوات التسع بينك وبين إنجلترا، التي توجت بمعركة كينسيل الأسطورية وسحق أعظم جيش غالي تم تشكيله على الإطلاق.

أونيل: سحقونا في أقل من ساعة يا بيتر. أليست هذه هي مسألة كينسيل؟

لومبارد: خسرت معركة. ينبغي أن يقال هذا. لكن كيفية قوله يمكن أن يكون انتصارا أيضا.

أونيل: كينسيل كانت عارا. ماونتجوي سحقنا. هربنا مثل الجرذان.

لومبارد: ومرة أخرى ليست هذه هي المسألة.

أونيل: إنك لا تستمع إلي الآن. لقد ألحقنا بأنفسنا العار في كينسيل.

لومبارد: ثم أصل إلى نقطتي الثالثة الأخيرة والرئيسية؛ وأنا أدعو هذا الجزء، وأنا فخور بالعنوان، لقد سميته «فرار الإيرلات»، هذا له وقع أيضا أليس كذلك؟ ذلك الخروج المأساوي ولكن الرائع للأرستقراطية الغالية...

أونيل: بيتر...

لومبارد: حينما ركب قادة الحضارة القديمة القارب من راثمولان في تلك الأمسية من شهر سبتمبر، وأبحروا نحو أوروبا.

أونيل: وبينما كنا نبحر من راثمولان قذفنا أعضاء أسرة ماكسويني بالحجارة من الشاطئ!

لومبارد: ثم رحلتهم عبر أوروبا حينما رحب بهم كل رأس عليه تاج وأكرمهم بمهرجان. ثم المجيء الأخير للاستراحة هنا في روما.

أونيل: والسنوات الست بعد كينسيل... قبل فرار الإيرلات، ألن تُسجل؟ حينما عشت مثل مجرم أهيم في أرجاء الريف... ريفي! مختبئا من الإنجليز، من الأثرياء الجدد(*) من الإنجليز القدماء، ولكن الأصعب كان اختبائي من إخوتي الغاليين الذين كانوا تواقين

(*) الأثرياء الجدد: يقصد بها في المسرحية المستعمرون الإنجليز في أيرلندا (المترجم).

ليجردوني من كل نصل عشب ملكته ذات مرة. ثم إنني هربت حينما لم أعد أقو على تحمل تلك الإهانة فترة أطول! إذا كان هؤلاء «شعبي»، إذن فليذهب شعبي إلى الجحيم! فرار الإيرلات... إنك تجعل الأمر يبدو مثل مهد الشرف. فررنا تماما كما فررنا في كينسيل. كنا ننوي الاهتمام بجلودنا! وهو سبب أننا «ركبنا القارب» من راثمولان! وهذا هو سبب وجود أونيل العظيم هنا... في استراحة... هنا في روما. لأننا فررنا.

لومبارد: ذاك هو مخططي. سأعيد كتابته بالطريقة التي تريدها.

أونيل: تلك هي الحقيقة. ذاك ما وقع.

لومبارد: كيف ينبغي أن أعيد كتابته؟

أونيل: تلك هي الحقائق. لا يمكنك جعل الحقائق غير المستساغة مستساغة. ومسألتك... ما هي مسألتك يا بيتر بالضبط؟

لومبارد: أنا لست مؤرخا ولكن...

أونيل: إذن لا تكتب تاريخي. أو ربما يمكنك أن تثق بي لأكتبه بنفسي. إن إحدى ميزات البصر المتلاشي هي أنه يعطي الخيال حافة تطل على الواقع.

لومبارد: هل يمكنني أن أحاول شرح شيء لك يا هيو؟

هل يمكنني أن أقول لك ما هي مسألتي؟

أونيل: إنني قلق بشأن هذا كله.

لومبارد: الناس يرغبون بمعرفة الماضي. لديهم حب استطلاع أصيل نحوه.

أونيل: إذا، أخبرهم بالحقيقة كاملة.

لومبارد: تلك بالضبط هي مسألتي. الناس يعتقدون أنهم يريدون فقط معرفة «الحقائق»؛ يعتقدون أنهم يؤمنون بنوع معين من الحقيقة العملية، ولكن ما يريدون في الحقيقة هو قصة. وذاك ما سيكون عليه الأمر: أحداث حياتك تفرز وتصنف ثم تُبنى كما تبنى أي قصة. لا، لا، أنا لا أتكلم حول التزييف، حول الكذب، بحق السماء. أنا أتحدث ببساطة عن صناعة نسق. وهذا ما أفعله بكل هذه الأشياء، أقدم اتساقا لكل هذه القائمة العشوائية من الإنجازات المقصودة والمصادفات المجردة التي تشكل حياتك. وذلك الاتساق سيكون قصة يقرأها الناس ويقتنعون بها. وتلك القصة ستكون صحيحة وموضوعية بقدر ما في وسعي أن أجعلها كذلك.... هل سيكون كفرا إذا اقترحت أن ذلك كان المنهج الذي استخدمه رسل الأناجيل الأربعة؟ أخذوا الأحداث العشوائية في حياة

المسيح، وصاغوها في قصة، في أربع قصص تكمل بعضها. وتلك القصص قصص صحيحة. ونحن نؤمن بها، وندعوها الإنجيل، يا هيو، أليس كذلك؟ (يضحك فجأة بسعادة) هلا نظرتم إلى هذا الرجل! ما الذي يجعلك بائسا هكذا؟ فكر في هذا (الكتاب) كفعل تقوى. أيرلندا صغرت كما لم تصغر كذلك من قبل قط... إننا نتحدث عن شعب مستعمر على حافة الانقراض. هذا ليس وقت تقييم نقدي «لحيلك» و«مخازيك» و«خيانتك»... تلك مادة تاريخ آخر لزمن آخر. أما الآن فالزمن زمن لبطل. الآن زمن أدب بطولي. ولهذا أنا أقدم لأيرلندا الغالية شيئين. إنني أقدم لهم هذه القصة التي فيها عناصر أسطورة. وأنا أقدم لهم هيو أونيل كبطل قومي. بطل وقصة بطل (وقفة قصيرة) إنه لأمر بالغ الدنيوية أن يقترح رجل دين علاجا... أليس كذلك. أعتقد أنني لوكنت رجل قداسة، وليس نوعا من نصف كاهن، ونصف مخطط، اعتقد أنني كنت سأقدم لهم أشياء خيرة. ولكن ثمة أزمنة يكون فيها البطل مهما بالنسبة لشعب مثلما هو مهم عند الله. ثم أليس الله... أو هكذا أجد عذرا

لخيانتي... أليس الله هو الإله الكامل؟
(صمت طويل جدا. يلم لومبارد أوراقه ويطبق الكتاب. يستوعب أونيل ما سمعه)

أونيل: كيف تكتب حول هاري؟

لومبارد: ما هي «الحقيقة» فيما يتعلق بهاري؟ حسنا، نحن نعلم مثلا أن أسرته الإنجليزية القديمة طردته، وأنه كان فقيرا مدقعا، وأنه لما قدمت له عملا، أي عمل، تشبث به. نحن نعرف على سبيل المثال أنه كان ذات مرة مخلصا بصدق للملكة، ولكنه حين انضم إليك لم يبد أن لديه مشكلة في خيانة ذلك الإخلاص. أو ببساطة، ببساطة جدا، نحن نعرف على سبيل المثال أن هاري هوفدن كان رجلا أعجب بك وأحبك من دون تحفظ، وأنه كرس حياته كلها لك. ومع كل ما أعرفه، ربما هناك «حقائق» أخرى حول هاري.

أونيل: أيها ستسجل؟

لومبارد: إنني أعرف أي حقيقة يفضلها التاريخ. كما قلت لك دوما التواريخ قصص يا هيو، والقصص تفضل الأصدقاء الأوفياء، أليس كذلك؟ ثم أليست هذه هي «الحقيقة» المطلقة حول هاري، أليس هاري هوفدين أعظم صديق وفي؟

(صمت طويل آخر).

أونـــيـــل: وميبل؟

لـومـــبـــارد: ماذا؟

أونـــيـــل: (يصرخ) لا تلعب معي ألعابا لعينة أيها الأسقف. أنت تعرف جيدا بدقة ما أسألك عنه!

لـومـــبـــارد: أنت تسألني كيف سيتم تصوير ميبل؟

أونـــيـــل: (بصوت خافت) أجل، أنا أسألك كيف سيتم تصوير ميبل.

لـومـــبـــارد: لقد حاولت أن أشرح أنه في هذا الزمن تحتاج البلاد إلى... (وقفة قصيرة).

أونـــيـــل: كيف... سيتم... تصوير... ميبل؟ (وقفة قصيرة)

لـومـــبـــارد: قصة حياتك ذات مدى واسع، ولكنه مدى محدد إلى حد بالغ يا هيو...

أونـــيـــل: بيتر، فقط...!

لـومـــبـــارد: وكل تلك السيدات اللاتي اخترتهن زوجات لك، مع انهن كن دون ريب رائعات وجميلات ومخلصات، حسنا، إنهن لم يسهمن بصورة كبيرة في... ماذا اعتادت ميبل ذاتها على تسميته؟... الأمر برمته... أليس ذلك ما قالته؟ أعني أنهن لم يغيرن مجرى التاريخ، هل فعلن؟ إذن علي أن أكون منصفا قدر استطاعتي لكل أولئك السيدات من دون

الحط من قيمتهن أو تضخيمهن إلى شيء لم يكنّه، ودون الكذب بشأنهن. أعني أن كاتريونا، كاتريونا الجميلة ستكون آخر من يطالب بسمو تاريخي، أليس كذلك؟ لكنهن جميعا كن يملكن وزنهن الخاص؛ وأدركن طبيعة تلك الأبعاد. ومن أجل انصافهن علينا أن نعترف بتلك الأبعاد بدقة.

أونيل: وهكذا فإن ميبل...؟

لومبارد: (يتظاهر بالغيظ) أنت عنيد يا هيو أونيل. أنت تعرف هذا، أليس كذلك؟ أنت لا تستسلم أبدا. كل ما كتبته على الورق هو مخطط عام، وصفحتان افتتاحيتان، ويستمر الرجل بمضايقتي بشأن تفاصيل ضئيلة!

أونيل: وهكذا فإن ميبل...؟

لومبارد: دعني أطرح عليك سؤالا. في القماشة الكبيرة للوحة الأحداث القومية، في مراسلاتك مع البابوات والملوك والملكات، هل فكرت ميبل ذاتها أن قيمتها وأهميتها استقرتا؟ هل تلك كيفية رؤيتها لنفسها؟ لكن كان لها قيمتها الخاصة، أهميتها الخاصة. وفي زمن مستقبلي، وبأسلوب لا نستطيع تصوره الآن، ليس لدي شك أن تلك القصة ستروى كاملة بصورة لا تنافر فيها. ستكون

قصة منزلية يا هيو، قصة حب، وستكون قصة حب جميلة جدا. لكن في مجمل الأمر يا هيو... كم عدد الأبطال الذين يمكن أن يستوعبهم التاريخ؟ وكيف سأبدو أنا نفسي بحق السماء؟ في أفضل الأحوال شخصية في حبكة ثانوية. ثم أليس هذا مناسبا لأناس ثانويي من أمثالنا؟ والآن، أخبرني يا هيو، كيف تريد إعادة كتابة مخططي.

أونيل: مجمل الأمر... أجل... ذلك كان تعبيرها.

لومبارد: وعدتك وعدا قاطعا. سأعيد كتابته بأي طريقة تريد. ما هي التغييرات التي تريدني أن أحدثها؟

(وقفة قصيرة)

ليس بالضرورة أي شيء رئيسي. (وقفة قصيرة) حتى التعديلات الصغيرة (وقفة قصيرة) فقط قل الكلمة.

(وقفة قصيرة).

الآن أنا أضايقك... أليس كذلك؟ سامحني. وإذا ما خطرت لك أي فكرة أو اقتراح على مدى الأسابيع أو الأشهر التالية، فسأكون هنا بالتأكيد، أليس كذلك؟ لا أحد منا سيذهب إلى أي مكان... إلا إذا جندنا بلنكيت وأودومهانيل في حملتهما التالية. والآن حان

وقت الشرب. نحن نستحق ذلك بجهدنا. إن فمي المسكين جاف من الثرثرة. آفين... أين أنت؟

أونيل: شرك هلاك... هل هذه تسميتك لها؟

لومبارد: مذاق مبكر للخلود. إنها رائعة حقا. على رسلك، على رسلك... لا تبتلعها. ارشفها ببطء. تذوقها.

(يدخل هاري حاملا زجاجة)

آه، هاري! كنا على وشك أن نقتل هذه الزجاجة من البوتين. لكن، كما يقول المرء، لن تموت من دون القسيس. هلا ضربني أحد من فضلكم كل مرة أقول فيه واحدة من تلك الطرائف الكنسية الشائنة؟ ماذا لديك؟

هاري: زجاجة نبيذ.

لومبارد: من أين جاءت؟

هاري: حصلت عليها قبل عشر دقائق.

أونيل: اعتقدت أنه لا مال لدينا؟

هاري: إنها مجرد كيانتي رخيصة.

أونيل: من أين جاءت النقود؟

هاري: كان لدي زوج من الأحذية القديمة لا أرغب فيه. وكان لدى البواب بعض الزجاجات الإضافية. من يرغب بكأس؟

لومبارد: هل تعرف ماذا أنت يا هاري؟ رجل مخلص

صادق. الآن هذه حقيقة!

(يقف لومبارد إلى جانب هيو وهو ذاهب إلى الطاولة)

(سرا) ثق بذلك يا هيو، ثق به. (بصوت عال) لنا جميعا. فلنعش إلى الأبد، بشكل أو بآخر. والآن سأقدم أول قراءة علنية لتاريخ هيو أونيل. باسم الله... أنا أحفظ الافتتاحية عن ظهر قلب! (حينما يتكلم أونيل يتكلم تقريبا بهمس في طباق مع قراءة لومبارد العلنية. تتلاشى لهجته الإنجليزية تدريجيا حتى تصبح لهجته في النهاية لهجة تايرون نقية) باسم الله. أشرع من هنا بيدي أؤرخ حياة هيو أونيل...

أونيل: بوساطة ملكة إنجلترا وفرنسا وأيرلندا ومعروفها الأرحم صنعت إيرل تايرون.

لومبارد: ابن فيردورشا، ابن كون باكاه، ابن كون مور، أنبل ولد لنسب نبيل، الذي رباه وأنشأه نبلاء قبيلته الأشراف.

أونيل: اقدم نفسي بكل تواضع إليك وانصاع بصورة مطلقة إلى أوامرك، أرجو وأنا بأعمق الحزن أن أنال رضاك.

لومبارد: استمر يكبر ويزداد وسامة وتهذيبا، وكياسة

وفصاحة، وحكمة ومعرفة، وقدا مليحا وأفعالا نبيلة بحيث انتشر اسمه وشهرته خلال مقاطعات أيرلندا الخمس وما وراءها.

أونيل: أرجو أن يسعدك تخفيفك من استيائك العادل ضدي بسبب خيانتي لك التي لا تستحق صفحا، والتي لا يمكن أن أكفر عنها حتى بحياتي...

لومبارد: وفكر الناس بعقولهم أنه حينما يبلغ مرحلة الرجولة لن يكون له مثيل بين الأيرلنديين لينتقم للإساءات التي نزلت بهم ويعاقب على أنواع النهب التي تعرض لها عرقه...

أونيل: أنا آسف يا ميبل... سامحيني من فضلك يا ميبل.

لومبارد: لأنه ورد في نبوءات الأنبياء والمتنبئين بالمستقبل أنه سيظهر واحد مثله...
رجل، ماجد ونقي ومخلص فوق الجميع.
سيكون سبب نحيب المحزونين في كل أرض.
سيكون أميرا.
وسيكون ملكا طيلة حياته.

(أونيل يبكي الآن. وتنطفئ الأضواء ببطء)

مسرحية
«ترجمات»

مقدمة

يسلط فريل الضوء في هذه المسرحية على أسرة في منطقة بايلي بيج في أيرلندا، أعضاؤها هم مانوس وأوين، وهما أخوان، وهيو والدهما. والوالد هيو يدير مدرسة متواضعة يعلم فيها اللغة اللاتينية، ويساعده فيها مانوس. أما أوين فقد غادر البلدة، لكنه يعود إليها مع قدوم الجيش البريطاني، الذي يرغب في صناعة خريطة لأيرلندا كلها. ويعمل أوين أو رولاند - كما يسميه الضابط لانسي - مترجما لحساب الجيش البريطاني. ومن الطلاب الذين يرتادون مدرسة هيو نجد مائير، وسارة، ودوالتي وبريجيت وجيمي جاك.

يصور فريل مجتمع بايلي بيج وثقافته على أنه مجتمع يمر بمرحلة خطيرة في تاريخه. فالمدرسة المتواضعة تفقد مكانتها يوما بعد يوم، والبريطانيون بدأوا يفتتحون المدارس الوطنية التي تدرس باللغة الإنجليزية.

ونحن نلاحظ أن أعضاء المدرسة أنفسهم مصابون بعاهات، فالمدير هيو مدمن خمرة، ومانوس أعرج، وسارة صماء، ومائير تريد أن تتعلم اللغة الإنجليزية كي تهاجر إلى أمريكا، ودوالتي شبه معاق عقليا، وليس لديه قدرة على الاستيعاب.

وأوين خائن لوطنه يحول الأسماء الأيرلندية إلى اللغة الإنجليزية.

هذا المجتمع الذي جل أعضائه معاقون، لا يقوى على الصمود أمام الغزو البريطاني. فالمسرحية إذن تدور حول اللغة، وبوجه خاص حول موت اللغة الأيرلندية، وبموتها تضيع الهوية الثقافية والقومية لأيرلندا. أيرلندا التي تعيش في ظل آفة البطاطس والتشريد والهجرة.

تذكر المسرحية ثورة سنة ١٩٩٨، التي ذهب هيو وجيمي للانضمام إليها، والتي كانت بقيادة محام أيرلندي اسمه وولف تون. وقامت هذه الثورة على غرار الثورة الفرنسية للتوحيد بين البروتستانت والكاثوليك، وتطوير البرلمان في دبلن، وإخراج البريطانيين. لكن بريطانيا أخمدت الثورة بعنف شديد وهزمت الثوار في موقعة فينيجار هيل. ومارست السلطات البريطانية أشكالا من العنف من شنق وحرق وجلد لم تشهدها البلاد من قبل. وألقت القبض على وولف تون وزجت به في السجن، لكنه انتحر قبل أن يصدر الحكم بحقه. إضافة إلى ذلك فإن دوالتي يشير إلى العقوبات التي أنزلها البريطانيون بشعب أيرلندا في حياة جده.

أما الآن فيأتي دور لانسي الضابط الإمبراطوري، الذي بدأ يهدد أهالي بايلي بيج بالقتل والتشريد وتدمير الممتلكات إذا لم يظهر الضابط يولاند، الذي اختفى فجأة.

كما أسلفنا، فإن لانسي ويولاند جاءا ضمن مجموعة من المهندسين الملكيين، وذلك لصناعة خريطة لأيرلندا وإعادة تسمية كل الأماكن الأيرلندية بأسماء إنجليزية. ووصف لانسي هذا الإجراء بأنه لأغراض مدنية تصب لمصلحة الأيرلنديين، لكن هذا لا ينفي أن الإمبراطورية سوف تستفيد من تلك الخريطة. «لقد تم التصدي لهذا العمل حتى يتم تزويد السلطات العسكرية بمعلومات دقيقة وحديثة حول كل زاوية في هذا الجزء من الإمبراطورية». ويقول لانسي أيضا «أيرلندا مميزة... لذلك فإن هذا المسح لا يمكن إلا الترحيب به كبرهان على حرص هذه الحكومة على تطوير مصالح أيرلندا».

إن ما يقوم به لانسي ومجموعته هو مصادرة الأماكن الأيرلندية من خلال ترجمة أسمائها إلى اللغة الإنجليزية. وإذا علمنا أن المكان هو في الأساس لغة، فإن أيرلندا كلها تصبح إنجليزية من خلال إلباس أماكنها أسماء إنجليزية. التسمية إذن تصبح عملية استعمارية رئيسية لأنها تغير، وتعرف، وتحدد، وتأسر المكان باللغة. إن تسمية المكان في أي لغة معناها خلق ذلك المكان في تلك اللغة، إذ إن المكان يقفز إلى الوجود حالما تتم تسميته. لذلك فإن توالي أشكال الاستعمار على مكان ما بحد ذاته يؤدي إلى كتابة فوق كتابة فوق كتابة تمت على مدى أجيال. وعندما يرى هيو ما قام به

ابنه أوين (أو رولاند إذ إن اسمه الأيرلندي قد اختفى وحل محله اسم إنجليزي يخاطبه به لانسي ويولاند)، فإنه يقول ساخرا إن على المرء تعريف أسماء الأماكن حتى يعرف أين موقعه.

الترجمة هي الموضوع الأساسي في المسرحية، وثمة أنواع كثيرة منها. فـ هيو وجيمي جاك منغمسان في الأدب الإغريقي، وهما يترجمان العبارات التي يقولانها في المدرسة إلى اللغة الغالية القديمة، وهي لغة أهل أيرلندا الأصلية. ومع أن لغة المسرحية هي الإنجليزية، إلا أن على الشخصيات والمشاهدين أن يتخيلوا أن اللغة المستخدمة هي الأيرلندية. وهناك ترجمة أسماء الأماكن الأيرلندية إلى اللغة الإنجليزية، وترجمة اسم المترجم أوين إلى رولاند، وترجمة تاريخ أيرلندا ذاته إلى الحاضر المعيش. إن كل شخصية من شخصيات المسرحية منغمسة في شكل من أشكال الترجمة. مثلا مائير تحاول ترجمة ذاتها من خلال علاقتها مع يولاند كي تخرج من أيرلندا، ويولاند يحاول ترجمة ذاته من خلال علاقته مع مائير، كي يبقى في أيرلندا التي أحبها. لكن علاقة الحب بينهما، والتي تعبر عن الثقافتين المختلفتين، تفشل لأن لكل من طرفيها هدفا مختلفا. وجيمي جاك يترجم واقعه الصعب الذي يتصف بالوحدة والعزلة إلى عالم آخر متخيل، لدرجة أنه يتخيل أن إحدى إلهات الإغريق

خطبته لذاتها. كذلك محاولة أوين تقديم لانسي ويولاند في أول قدوم لهما إلى المدرسة التي يريدها والده. المدرسة المتواضعة ذاتها تترجم إلى مدرسة وطنية.

سوف يلاحظ القارئ أنه على الرغم من أن المسرحية تدور حول موت اللغة، فاللغة كما يقول هيو ليست خالدة، إلا أن لغة المسرحية ذاتها تنبض بالحياة.

المترجم

د. محمود عبدالغني غنوم

شخصيات المسرحية

مانوس
سارة
جيمي جاك
مائير
دوالتي
بريجيت
هيو
أوين
كابتن لانسي
الضابط يولاند

تجري الأحداث في مدرسة متواضعة في أرض مدينة بايلي بيج/باليبيج، وهي مجتمع يتحدث اللغة الأيرلندية في مقاطعة دونيجال.

الفصل الأول
(عصر يوم في من أواخر شهر أغسطس)

المدرسة المتواضعة مقامة في حظيرة مهجورة أو سقيفة قش، أو زريبة أبقار. على طول الحائط الخلفي ثمة بقايا خمسة أو ستة مرابط أبقار - سلاسل ودعائم خشبية - حيث كانت الأبقار تحلب وتنام. باب مزدوج إلى اليسار، واسع بما يكفي لدخول عربة. نافذة إلى اليمين. سُلّم خشبي ليس له عمود درابزين يؤدي إلى أجزاء المعيشة العلوية «البعيدة» لمدير المدرسة وولده. في أرجاء الغرفة أدوات محطمة ومهملة: عجلة عربة، بعض أواني الجمبري، أدوات زراعة، كومة قش، ممخضة اللبن... إلخ. يوجد أيضا مقاعد الأقدام والمقاعد التي يستعملها الطلاب وطاولة وكرسي المدير. عند الباب ثمة دلو ماء ومنشفة متسخة. الغرفة غير مريحة، ومغبرة، وعملية ولا أثر ليد إمرأة.

حينما يرتفع الستار، نرى مانوس يعلّم سارة النطق. يركع قربها. وهي تجلس على مقعد أقدام منخفض، مطأطئة الرأس، متوترة جدا، تتشبث بلوح كتابة على ركبتيها. هو يتملقها بلطف وثبات، ومثل كل شيء يفعله، بنوع من الحماس.

مـانوس في نهـاية العـشـرينيـات/ بداية الثلاثينيات من عمـره؛ وهو ابن المدير الأكبر. شاحب الوجه، ضـعيف البنية، متـوتر ويعمل مـسـاعـدا لوالده من دون أجـر، كـمـشـرف. ملابسه رثة، وعندما يتحرك نرى أنه أعرج.

عيب سـارة في الحـديث سـيئ جـدا، بحـيث اعتبرها السكان المحليون طيلة حياتها غبية وقـد قـبلت بهـذا؛ وعندمـا ترغب بالتـواصل تتخر وتصـدر أصواتا أنفية غير مفهومة. لها مظهر فتاة متشردة، ويمكن أن يتراوح عمرها بين السابعة عشرة والخامسة والثلاثين.

جيمي جاك كيسي، المعروف بالطفل العبقري، يجلس وحـيـدا، يقـرأ بسـعـادة هومـر باللغة اليونانيـة، ويبتسم لنفسـه. غيـر مـتزوج وفي الستينيـات من عمـره، ويعيش وحيـدا، ويأتي إلى هذه الدروس المسائيـة بحثـا عن الصحبة من جـانب، وعن التـحـفـز الفكري من جـانب آخر. هو طليق باللغتين اللاتينية واليـونانية، لكنه غـيـر مـتـحـذلق أبدا. الحـديث بهـذين اللسـانين أمـر طبيعي بالنسبة إليه تماما. لا يغتسل أبدا. ملابسه المؤلفة من معطف ثقيل، وقبعة، وقفـازين يلبسهمـا الآن متسخة جدا وهو يرتديهـا صيفـا وشتـاء، ليـلا ونهـارا. هو

يقـرأ الآن بصـوت هـادئ ويبـتـسم بسـعـادة غـامـرة. بالنسـبـة إلى جيـمي عـالم الآلهـة والأسـاطير القـديمة حقيقي وفي المتناول مثل الحيـاة اليـوميـة في أراضي بايلي بيج. يمسك مـانوس يد سـارة بين يديه، ويتلفظ بكلمـاته ببطء ووضوح وهو ينظر في وجهها.

مـانـوس: إننا نقوم بعمل ناجح جدا. وسوف نحاول ذلك مرة أخرى، فقط مرة أخرى. والآن استرخي وخذي نفسا عميقا... ثم زفيرا... شهيقا... ثم زفيرا...

(تهز سارة رأسها بقوة وعناد)

هيا يا سارة. هذا هو سرُّنا

(مرة أخرى رأس سارة يهتز بقوة وعناد)

لا أحد يصغي. لا أحد يسمعك

جـيـمـي: لكن الإلهـة أثينا صـاحبـة العينين الرمـاديتين أجابته عندئذ.

مـانـوس: حـركي لسـانك وشـفـتيك. «اسـمـي...» هيـا، مـحـاولة أخـرى. «اسـمـي هو...» أنت فـتـاة طيبة.

سـارة: اسـ

مـانـوس: عظيم. «اسمي...».

سـارة: اسـ... اسـ...

مـانـوس: ارفعي رأسك. قوليه بصوت عالٍ. لا أحد يصغي.

جيمي: «لكنه يجلس مرتاحا في قاعات أبناء أثينا...».

مانوس: جيمي، توقف من فضلك. مرة أخرى... فقط مرة أخرى... «اسمي»... أنت فتاة طيبة. هيا الآن. ارفعي رأسك. افتحي فمك.

سارة: اسـ...

مانوس: جيد

سارة: اسـ...

مانوس: عظيم

سارة: اسمي...

مانوس: نعم؟

سارة: اسمي هو...

مانوس: نعم؟

(تتوقف سارة قليلا ثم باندفاع)

سارة: اسمي هو سارة

مانوس: رائع! رائع جدا

(يعانق مانوس سارة. تبتسم هي بسعادة خجولة ومرتبكة)

هل سمعت هذا يا جيمي؟... «اسمي هو سارة»... واضح مثل رنين جرس (مخاطبا سارة) إن الطفل العبقري لا يعلم ما نقوم به. تضحك سارة لهذا. يعانقها مانوس ثانية وينهض واقفا.

لقد بدأنا الآن حقا! لا شيء سيوقفنا الآن! لا شيء في العالم كله!

(يقترب جيمي منهما وهو يضحك بينه وبين نفسه حول أمر في نصه).

جيمي: أصغ إلى هذا يا مانوس.

مانوس: قريبا سوف تخبريني بكل تلك الأسرار التي كانت قابعة في رأسك طيلة تلك السنوات.

نعم يا جيمس... ما الأمر؟

(مخاطبا سارة) هلا نظمت مقاعد الأقدام؟

(يركض مانوس إلى الطابق العلوي)

جيمي: انتظر حتى تسمع هذا يا مانوس.

مانوس: تابع، سأنزل فورا.

جيمي: وما إن تحدثت أثينا بهذا حتى لمسته بعصاها السحرية.

وجعّدت جلد أعضائه اللينة الجميل، وخربت شعره الكتاني وأزالته من على رأسه، وألبست أعضاءه جلد رجل عجوز...»! الشيطانة! الشيطانة!

(ظهر مانوس ثانية يحمل سلطانية من الحليب وقطعة خبز)

وانتظر حتى تسمع! إنها لم تنته منه بعد!

(يومئ مانوس إلى سارة أنه يشرب نخبها بسلطانية، وهو يهبط الدرج) «وأضعفت بصر

عينيه اللتين كانتا بالغتي الجمال» وألبسته
عباءة رثة تافهة ملوثة بالسخام القذر...! هل
ترى! السخام! السخام! هل ترى! بالتأكيد
انظر إلى ما فعله سخام الطبقة العليا من
التربة لي! (يرفع قبعته بسرعة ليظهر رأسه
الأصلع) هل ستسمي هذا شعرا كتانيا؟

مانوس: بالطبع سأسميه كذلك.

جيمي: «وألقت حوله جلدا واسعا لأنثى أُيَّل قذرة،
منزوع الشعر، ورمت في يده عصى وحقيبة
سفر»! ها... ها ها! أثينا فعلت ذلك
بيوليسيس! حولته إلى متشرد! أليست هي
البارعة؟

مانوس: ليس بإمكانك أن تنظر إليها يا جيمي.

جيمي: أتعلم ما يدعونها؟

مانوس: أثينا... ذات العينين البراقتين.

جيمي: هو ذاك! أثينا ذات العينين البراقتين!
بالله، يا سيد مانوس، لو كان عندك في
المنزل امرأة كهذه، فلن تفكر في تعرية ضفة
مرج ها؟

مانوس: كانت إلهة يا جيمي.

جيمي: بل وأفضل. بالتأكيد أليست غرانيا خاصتنا
نوعا من آلهة و...

مانوس: من؟

جيمي: غرانيا... غرانيا... غرانيا داير مويد.

مانوس: آه.

جيمي: ولا ريب أنها تحب الرجال.

مانوس: جيمي، إنك امرؤ لا يطاق.

جيمي: في الليلة الماضية، كنت أقول لنفسي فحسب: لو قدِّر لك أن تختار بين أثينا وأرتيمس وهيلانة طروادة وثلاثتهن بنات زيوس... تصور ثلاث بنات قويات مثلهن في أبرشية أثينا!... والآن لو أعطيت الخيار بينهن فأيهن كنت ستختار؟

مانوس: (مخاطبا سارة) من سأختار يا سارة؟

جيمي: لا إساءة إلى هيلانة، ولا إساءة لأرتيمس، وفي الحق لا إساءة إلى غرانيا خاصتنا يا مانوس. بيد أنني أعتقد أن لا خيار لي سوى الذهاب مباشرة كثور إلى أثينا. أقسم بالله يا سيدي أن هاتين العينين البراقتين تستطيعان بسهولة أن تبقيا الرجُل يهتز باستمرار!

يقف جيمي فجأة وفورا، كما لو أنه في فورة نشاط، بانتباه، ووجهه مرفوع بنشوة متألمة. يضحك مانوس، وكذلك سارة. يعود جيمس إلى مقعده وقراءته.

مانوس: أنت رجل خطير جدا يا جيمي جاك.

جيمي: «ذات العينين البراقتين» هاه! هومر يعرف

بالتأكيد المسألة كلها يا ولد. هومر يعرف المسألة كلها.

يذهب مانوس إلى النافذة وينظر إلى الخارج.

مانوس: إلى أين ذهب بحق الجحيم؟

تذهب سارة إلى مانوس وتلمس كوعه. وتقلد هزّ طفل.

نعم، أعلم أنه في حفلة تعميد، ولكن تسمية ولد لا تستغرق نهارا كاملا، أليس كذلك؟

تقلد سارة حركة صبِّ الشراب ثم تشرب بسرعة.

ربما أنتِ على حق. في أي حانة؟

تشير سارة

حانة غراسي؟

لا، أبعد

حانة كون كوني تيم؟

لا. إلى يمينها.

حانة آنا نامبر يغز؟

نعم. تلك هي.

عظيم. سوف تملأه شرابا. أعتقد أنه عليَّ أن أبدأ الدرس إذن.

يبدأ مانوس بتوزيع بعض الكتب وألواح الكتابة والطبشور والنصوص... إلخ، إلى جانب المقاعد. تذهب سارة إلى كومة القش وتخرج

باقة أزهار كانت قد خبأتها هناك. في هذه الأثناء.

جيمي: ولكنه مضى قدما من الميناء... ولكنه مضى قدما من الميناء، ثم عبر الغابة إلى المكان الذي كانت قد أخبرته عنه أثينا، والذي يمكنه أن يجد فيه مربي الخنازير الطيب الذي كان الأكثر عناية بثروته... ما معنى هذا يا مانوس؟

مانوس: «الذي كان الأكثر عناية بممتلكاته».

جيمي: هذا صحيح! «مربي الخنازير الطيب الذي كان الأكثر عناية بممتلكاته من كل العبيد الذين كان يملكهم يوليسيس».

تقدم سارة الأزهار إلى مانوس

مانوس: هذه أزهار جميلة يا سارة.

لكن سارة تفر إلى مقعدها محرجة وتخفي وجهها وراء كتاب. يذهب مانوس نحوها.

أز... هار

وقفة قصيرة. سارة لا ترفع عينيها عن الكتاب.

سارة: قولي الكلمة: أز... هار. هيا... أز... هار.

مانوس: أزهار.

أترين؟... لقد انطلقت!

ينحني مانوس ويقبل قمة رأس سارة.

وهي أزهار جميلة. شكرا لك

تدخل مائير، وهي امرأة قوية العقل والجسم في العشرينيات من عمرها، رأسها أجعد الشعر، حاملة علبة حليب صغيرة.

مائير: أين الباقون؟ ألا توجد مدرسة في هذا المساء؟

مانوس: إذا لم يعد والدي فسوف أتولى أنا الأمر.

يقف مانوس على نحو أخرق بعد أن ضُبط وهو يقبِّل سارة، حاملا الأزهار قريبة من صدره في وقفة رسمية.

مائير: حسنا... والآن أليس هذا مشهدا جميلا. هذا حليبك. كيف سارة؟

تجيب سارة بنخرة

مانوس: رأيتك في الخارج عند القش.

تتجاهل مائير هذه الإشارة، وتمضي نحو جيمي.

مائير: وكيف حال جيمي جاك كيسي؟

جيمي: اجلسي بالقرب مني يا مائير.

مائير: هل سأكون في مأمن؟

جيمي: لا يوجد رجلٌ في دونيجال أكثر أمانا مني.

تجلس مائير فجأة على كرسي أقدام بجانب جيمي.

مائير: أوووه. يقولون إنه أفضل موسم حصاد في

الذاكرة الحية، لكنني لا أريد أن أرى موسما آخر مثله (تريه يديها) انظر إلى البثور.

جيمي: هل أنت متعبة؟

مائير: أنا متعبة جدا؟

جيمي: جيد! ممتاز!

مائير: هذا كل ما لدي من اللغة اللاتينية. يناسبني الأمر أكثر، لو كان لدي من الإنجليزية، مثل هذا المقدار.

جيمي: اللغة الإنجليزية؟ ظننت أنك تعرفين القليل منها؟

مائير: أعرف ثلاث كلمات. انتظر. ثمة قول مأثور كنت أعرفه عن ظهر قلب. ماذا كان ذلك القول؟
لهجتها غريبة لأنها تتحدث لغة أجنبية، ولأنها لا تفهم ما تقول.
«في نورفولك نتريض حول سارية مايو» ما رأيك بهذا؟

مانوس: (يصحح لها) سارية عيد أول مايو.
مرة أخرى تتجاهل مائير مانوس

مائير: رحم الله عمتي ماري، لقد علمتني هذه العبارة حينما كنت في حوالي الرابعة من عمري، أيا كان معناها. هل تعرف ما تعنيه يا جيمي؟

جيمي: أنت تعرفين بالتأكيد أن لغتي هي الأيرلندية مثلك فقط.

مـــــــائيـــــــر: واللاتينية واليونانية.

جـــــيـــــمي: أنا أكذب عليك. إنني أعرف كلمة إنجليزية واحدة.

مـــــــائيـــــــر: ما هي؟

جـــــيـــــمي: صدر

مـــــــائيـــــــر: ماذا تعني صـ... در؟

جـــــيـــــمي: تعلمين (يشير إلى المعنى بيديه) صـ... در... صـ... در... تعلمين... ديانا الصيادة، لها نهدان كبيران.

مـــــــائيـــــــر: من المؤكد أن هذه هي الكلمة الإنجليزية التي تحرص على معرفتها (تنهض) هل ثمة نقطة ماء هنا؟

يقدم مانوس سلطانية حليبه إلى مائير.

مـــــــانـــوس: أنا آسف أنني لم أتمكن من النهوض ليلة أمس.

مـــــــائيـــــــر: لا يهم.

مـــــــانـــوس: أرسلت إلى هانا لأكتب رسالة إلى أختها في نوفاسكوشيا. كل مايدور في الأبرشية: «جلبت البقرة إلى الثور ثلاث مرات الأسبوع الماضي دون جدوى. لم يبق شيء فيما يخص ذلك سوى بيج نيد فرانك».

مـــــــائيـــــــر: (تشرب) ذلك أفضل.

مـــــــانـــوس: واستغرقها الأمر تماما بحيث نسيت على من

كانت تملي: «مدير المدرسة السكير العجوز وابنه الأعرج لا يزالان يمشيان على أقدامهما في المدرسة المتواضعة يضيعان أوقات الناس الثمينة ونقودهم».

ينبغي على مائير أن تضحك لهذا

مائير: لم تقل هذا!

مانوس: وأنا أدون كل هذا: «حمدا لله أن واحدة من المدارس الوطنية الجديدة تبنى الآن في الأعلى في بول ناجكوراش» ولم أعد إلا بعد منتصف الليل.

مائير: أمر عظيم أن تكون رجلا مشغولا.

تبتعد مائير ويتبعها مانوس

مانوس: سمعت الموسيقى وأنا في طريق عودتي بالقرب منكم لكنني اعتقدت أن الوقت متأخر لأعرِّج صوبكم.

مائير: (تخاطب سارة) ألم يكن صوت أبيك عظيما ليلة أمس؟

تومئ سارة وتبتسم.

لا بدَّ أن الوقت كان يقارب الساعة الثالثة حينما عدتم إلى البيت؟

ترفع سارة أربعة أصابع.

هل كانت الرابعة؟ لا غرابة أننا متفرقون ممزقون.

مـــــــانـوس: يمكنني مساعدتك في حزم القش غدا.

مــــائيــــر: ذلك هو اسم الرقصة المزمارية، أليس كذلك؟ «الأستاذ في حقل القش» أم هل هي رقصة أسكتلندية؟

مـــــــانـوس: إذا كان اليوم جيدا.

مــــائيــــر: أنت وشأنك. الجنود الإنجليز في الأسفل في الخيام، شبان الألغام، سيأتون لمساعدتنا. لا أفقه كلمة مما يقولون، ولا هم يفهمونني، لكن هذا لا أهمية له، أليس كذلك؟

مـــــــانـوس: بحق الجحيم لم أنت نكدة المزاج هكذا؟

يدخل دوالتي وبريجيت دخولا صاخبا. كلاهما في العشرينيات من العمر.

دوالتي يلوِّح بسارية المسَّاح. إنه شاب متفتح الذهن طيب القلب سمين قليلا.

بريجيت صبية سمينة غضة مستعدة للضحك، مختالة، ولديها دهاء المرأة الريفية الفطري.

يدخل دوالتي وهو يقلد مدير المدرسة.

دوالـــــتـــــي: تحية مسائية لكم جيمعا.

بـريـجـــــيـت: إنه قادم مارا بكاريج ناري، وهو ممتلئ مثل خنزير.

دوالـــــتـــــي: جهلة، حمقى، فلاحون سقاة. وفلاحون وضيعون شبه أميين وأبناء حرام.

بريجيت: إنه لا يزال على مخيض اللبن والبيض منذ هذا الصباح، لقد أرسل الصغار إلى البيت في الساعة الحادية عشرة.

دوالتي: ثلاثة أسئلة. السؤال أ: هل أنا مخمور؟ السؤال ب: هل أنا صاح؟ (يحدق في وجه مائير) أجيبي... أجيبي!

بريجيت: السؤال ج يا مدير... آخر مرة كنت صاحيا فيها متى؟

مائير: ما هو السلاح يا دوالتي.

بريجيت: لقد حذرته، سيعتقل في يوم ما من هذه الأيام.

دوالتي: في أعلى المستنقع مع بريجيت وفلاحها العجوز، وكانت المعاطف الحمراء قبالتنا تماما على سفح كنوك نا مونا، يجرون سلاسلهم العتيقة، ويتلصصون من خلال تلك الآلة الكبيرة التي يجرونها معهم إلى كل مكان... هل تعرف اسمها يا مانوس؟

مائير: مزواة(*).

بريجيت: كيف تعرفين اسمها؟

مائير: إنهم يتركونها أحيانا في زريبتنا ليلا إذا تساقط المطر.

جيمي: مزواة؟ Theodolite مانوس ما أصل هذه الكلمة؟

(*) أداة لقياس الزوايا (المترجم)

مانوس: ليس لدي أدنى فكرة.

بريجيت: تابع القصة.

جيمي: ثيو... ثيوس... أمر ذو علاقة بإله. ربما بثيا... إلهة! ما شكل ذلك النير؟

دوالتي: «شكل!» هلا أغلقت فمك أيها الرجل العجوزالأخرق أنت! على أي حال، كلما نصبوا واحدا من هذه الأعمدة في الأرض وانتقلوا عبر المستنقع، كنت أزحف وأنقله عشرين أو ثلاثين خطوة جانبا.

بريجيت: يا إلهي!

دوالتي: ثم يعودون ويحدقون به وينظرون في حساباتهم ثم يحدقون به ثانية ويحكّون رؤوسهم، ثم وحق المسيح هل تعرفون ما توصلوا إلى فعله في النهاية؟

بريجيت: انتظروا حتى تسمعوا!

دوالتي: فككوا الآلة اللعينة! (ويتكلم فورا برطانة غير مفهومة، محاكيا اثنين من مهندسي الألغام هائجين ومرتبكين يتبادلان الحديث بسرعة).

بريجيت: هذه هي صورتهم!

مائير: ينبغي أن تكون فخورا بنفسك يا دوالتي.

دوالتي: ماذا تعنين؟

مائير: كان ذلك عملا ذكيا جدا.

مانوس: كان إيماءة.

مــــــــائيـــــــر: أي نوع من الإيماءات؟

مـــــــــانـوس: فقط للإشارة... إلى حضور.

مــــــــائيــــــر: هاه!

بـريـجــــــيت: ها أنا أقول لك... سيتم اعتقالك.

حينما يكون دوالتي مرتبكا، أو مسرورا، يكون رد فعله جسديا. إنه يحيط خصر بريجيت بذراعيه الآن.

دوالــــــتــــــي: أي أداة يمكنك أن تجعلي من تلك الآلة يا بريجيت؟ ألا تصلح أن تكون رمحا عتيقا عظيما لمخضتك.

بـريـجــــــيت: اتركني أيها الفاسق القذر! لدي ترويسة اكتبها قبل أن يأتي بيج هيوي.

مـــــــــانـوس: لا أظن أننا سننتظره. دعونا نبدأ.

يبدأون بالتحرك نحو مقاعدهم ومهماتهم المحددة ببطء وتردد. يذهب دوالتي إلى دلو الماء لدى الباب ويغسل يديه، وتضع بريجيت أمامها مرآة يد وتمشط شعرها.

بـريـجــــــيت: كان من المفترض تعميد ابن نيللي صاحبة الشعر الأحمر هذا الصباح. هل سمع أي منكم بالاسم الذي أطلقته عليه؟ هل سمعت يا سارة؟

ســـــــــــارة: تتخر: لا

بـريـجــــــيت: هل سمعت يا مائير؟

مـــــائيـــــر: لا
بـريـجـــــيت: يقول أخونا شيموس إنها كانت تهدد بتسميته باسم أبيه.
دوالــــتـــي: من هو الأب؟
بـريـجـــــيت: تلك هي القضية، أنت أيها الحمار أنت!
دوالــــتـــي: آه.
بـريـجـــــيت: إذن هناك عدد كبير من الوعول المضطربة حول بايلي بيج هذا اليوم.
دوالــــتـــي: أخبرتني من الأحد الماضي أنها ستدعوه جيمي.
بـريـجـــــيت: أنت كاذب يا دوالتي.
دوالــــتـــي: أأكذب عليك؟ مرحبا، جيمي، إن فلاح نيللي رودا العجوز يبحث عنك.
جـــيـــمـي: عني؟
مـــــائيـــــر: دوالتي، كفى.
دوالــــتـــي: أخبره أحدهم...
مـــــائيـــــر: دوالتي!
دوالــــتـــي: سمع أنك تحفظ الكتاب الأول من هجائيات هوراس عن ظهر قلب...
جـــيـــمـي: ذلك صحيح
دوالــــتـــي: ... ويريدك أن تتلوه عليه.
جـــيـــمـي: سأفعل ذلك لأجله، بالتأكيد، بالتأكيد.
دوالــــتـــي: إنه يتحرق لسماعه.

يبحث جيمي عن شيء ما في جيوبه.

جيمي: صادفت هذا ليلة أمس... سيروقك هذا... في الكتاب الثاني من عمل فيرجل «جورجيكس».

دوالتي: أحلف بالله، هذه منطقتي... هيا قل ماعندك.

بريدجيت: أنت أيها المهرج أنت! (تخاطب سارة)، أمسكي هذه عني، هلا أمسكتها (تقصد مرآتها).

جيمي: أصغ إلى هذا يا مانوس، «تلك الأرض السوداء والخصبة تحت ضغط المحراث...»

دوالتي: والآن أثبت... على رسلكم، يا أولاد، على رسلكم... لا تستعجلوني، يا أولاد (يحاكي وضع من يقوم بتركيز ذهني عميق).

جيمي: مانوس؟

مانوس: «تلك الأرض السوداء الخصبة تحت ضغط المحراث...»

دوالتي: أعطني فرصة!

جيمي: ومع تربة هشة ... ومع تربة هشة هي الأفضل لزراعة الذرة...

دوالتي: هذه هي.

جيمي: «ولن تروا من أي أرض أخرى المزيد من العربات تتجه نحو البيت خلف ثيران مخصية

بطيئة» فيرجل! ها هو!

دوالــــــتـــــي: «ثيران مخصية بطيئة».

جـــيـــمي: أليس هذا ما أقوله لك دوما؟ الأرض السوداء للذرة. ذلك مـا ينبـغي عليك أن تزرع في حقلك العلوي ذاك... ذرة وليس بطاطس.

دوالــــــتـــــي: هلا استمعتم إلى هذا الفلاح! والله إنه لأكسل من أن يستحم، ثم ها هو يلقي عليّ محاضرة حول الزراعة! هلا ذهبت وأخذت درسا في سباق الركض يا جيمي جاك كيسي! (يمسك سارة)، سارة، اخرجي من هذا معي، وسنزرع شيئا من الذرة معا.

مـــــانـوس: حسنا... حسنا. دعونا نهدأ وننجز بعض العمل. أعرف أن شين بيج غير قادم... إنه يصطاد سمك السلمون. ماذا بشأن التوأم دونيللي؟ (مخاطبا دوالتي) ألن يأتي التوأم دونيللي إطلاقا؟

يهز دوالتي كتفيه استهجانا ويعرض جانبا.

هل سألتهما؟

دوالــــــتـــــي: لم أرهما، وبخاصة في هذه الأيام.

يبدأ دوالتي الصفير خلال أسنانه. وفجأة يصبح الجو صامتا مشوبا بالحذر.

مـــــانـوس: أليسا هما في البيت؟

دوالــــــتـــــي: نعم، ليسا في البيت.

مـــــــانـوس: إذن أين هما؟

دوالـــــتـــي: أنّى لي أن أعرف؟

بـريـجـــــيـت: أخـونا شـيـمـوس يقـول إن اثنين من خـيـول الجنود وجدا ليلة أمس على سفح المنحدرات في مـشـاير بيـودي و... (تتوقف فجأة وتبدأ تكتب بطبشورتها على لوحها) هل تسمعون صـرير هـذا اللوح القـديم؟ لا ريب أن أحـدا يمكنه الكتابة على شيء زلق قديم مثل هذا.

مـــــــانـوس: ما هي الترويسة التي كلفك بها والدي؟

بـريـجـــــيـت: «قمع التعليم أسهل من تذكّره».

جــــيـــمـي: الكتاب الثالث الأجريكولا، لتاسيتويس.

بـريـجـــــيـت: يا إلهي، ولكنك سارق.

مـــــــانـوس: هل بإمكانك كتابتها؟

بـريـجـــــيـت: ها هي. هل هي سيئة؟ هل سيغضب مني؟

مـــــــانـوس: ممتـاز. ابق كـوعك أقـرب إلى جـانبك وأنت تكتبين. دوالتي؟

دوالـــــتـــي: أنا في جدول ضرب السبعة. أنا ممتاز. أيها الفتى الغر.

ينتقل مانوس إلى سارة.

مـــــــانـوس: هل تفهمين تلك المقادير؟

تومئ سارة: نعم. ينحني مانوس نحو أذنها.

اسمي سارة.

يمضي مـانوس إلى مـائير. وبينما هو يحدثها

يتبادل الآخرون الكتب ويتحدثون بهدوء... إلخ.

هل يمكنني مساعدتك؟ ماذا تفعلين.

مـــــائيـــــر: خريطة أمريكا (وقفة قصيرة) وصلت نقود الرحلة يوم الجمعة الماضية.

مـــــانـوس: لم تخبريني بهذا أبدا.

مـــــائيـــــر: لأنني لم أرك منذ ذلك الوقت، أليس كذلك؟

مـــــانـوس: أنت لا ترغبين في الذهاب. قلت هذا بنفسك.

مـــــائيـــــر: ثمة عشرة أصغر مني يحتاجون إلى الرعاية، ولا يوجد رجل في المنزل. ماذا تقترح؟

مـــــانـوس: هل ترغبين في الذهاب؟

مـــــائيـــــر: هل قدمت طلبا للعمل في المدرسة القومية الجديدة؟

مـــــانـوس: لا.

مـــــائيـــــر: قلت إنك ستفعل.

مـــــانـوس: قلت ربما أفعل.

مـــــائيـــــر: حينما تفتح أبوابها، فإن هذه ستنتهي: لن يدفع أحد للالتحاق بمدرسة متواضعة في الهواء الطلق.

مـــــانـوس: أعرف ذلك، وأنا...

يتوقف لأنه يرى سارة تصغي على ما يبدو من وراء ظهره،. تبتعد عنه ثانية.

كنت أفكر أنه ربما يمكنني...

مـــــائيـــــر: إنك تضيع ستة وخمسين جنيها في السنة.

مـــانـوس: لا أستطيع التقدم لهذا العمل.

مـــائيـــر: وعدتني أنك ستفعل.

مـــانـوس: والدي تقدم بطلب للحصول على هذا العمل.

مـــائيـــر: هو لم يتقدم!

مـــانـوس: أمس الأول.

مـــائيـــر: بحق الله، لا ريب أنك تعلم أنه أبدا لن...

مـــانـوس: لا أستطيع... لا أستطيع الوقوف ضده.

تنظر مائير إليه لحظة ثم:

مـــائيـــر: أنت وشأنك (مخاطبة بريجيت) رأيت أخاك شيموس متجها إلى مهرجان بورت مبكرا في هذا الصباح.

بـريـجـــيت: وانتظري حتى تسمعي هذا... نسيت أن أخبرك به. قال إنه حالما عبر فوق الهوة عند كنوك نا مونا مباشرة وراء المكان الذي يقوم فيه الجنود برسم الخرائط، كانت الرائحة العذبة منتشرة في كل مكان.

دوالـــتـــي: لم تخبريني بهذا أبدا.

بـريـجـــيت: طار من رأسي.

دوالـــتـــي: هل شاهد المحاصيل في بورت؟

بـريـجـــيت: بعضها.

دوالـــتـــي: كيف بدت رؤوسها؟

بـريـجـــيت: جيدة... على ما أعتقد.

دوالـــتـــي: مزهرة؟

بـريـجـــــــــيت: لا أعلم. أظن ذلك. هو لم يقل شيئا عن هذا.

مـــــــــــانـوس: الرائحة العذبة فقط... أهذا كل شيء؟

بـريـجـــــــــيت: يقـولون «إن هذه هـي الطريقـة تتسلل فيهـا داخلة»، ألم يقـولوا هذا؟ الرائحـة أولا، ثم في إحدى الصباحات تكون السويقات كلها سوداء ورخوة.

دوالـــــــتــــــي: هل أنت غبية؟ إكراما لله، السويقات المتعفنة هـي التي تصـدر الـرائحـة الـعـذبة. تلك هـي الـرائحة... سويقات متعفنة.

مـــــــائيـــــــر: رائحـة عـذبة! رائحـة عـذبة! فـي مـثل هذا الوقت من كل عام يرجع أحدهم بقصص عن الرائحـة الـعذبة. يا إلهي الحبيب، هل فشل مـوسم البطاطا في يوم من الأيام في بايلي بيج؟ حـــسنا، هل حــدث هـذا فـي يوم مـن الأيام؟ لـم يحـــدث أبدا! لم تقـع هـنا آفـــة زراعيـة أبدا. أبدا. ولكننا دومـا نـتشـمم هـنا وهناك بحثا عنها، أليس كذلك؟... بحثا عن كـارثة. الإيجـارات سـتـرتفـع مـرة أخـرى... سيضيع المحصول... سمك الرنكة هرب إلى الأبد... سـيكون هـنـاك طرد للمسـتـأجـرين. أقسم بالله أن بعضكم أيها الناس لن يسـعـد مـا لـم تحل به التـعـاسـة، ولن ترضـوا حـتى يواريكم الثرى.

دوالتي: أنت محقة يا مائير، ولا ريب أن القديس كولموسيل تنبأ بأنه لن تحدث أي مصيبة هنا. لقد قال: ستزهر البطاطس في بايلي بيج إلى أن تنمو للأرانب آذان إضافية. وبالتأكيد فإن هذا لن يحدث مطلقا. إذن فنحن بخير، ثلاث سبعات هي واحد وعشرون، وأربع سبعات هي ثمان وعشرون، وسبع سبعات هي تسع وأربعون... مرحبا جيمي، هل تتخيل حظوظي كمدير للمدرسة الوطنية الجديدة؟

جيمي: ما ذلك؟ ما ذلك؟

دوالتي: آغ، أقفل عائدا إلى اليونان وطنك يا ولدي.

مائير: ينبغي أن تقدم طلبا يا دوالتي.

دوالتي: أتعتقدين ذلك؟ والله، سأفعل ربما. هاه!

بريجيت: هل تعلم أن عليك أن تبدأ في سن السادسة، وعليك أن تظل فيها مكرها حتى تبلغ الثانية عشرة على الأقل... بغض النظر عن مستوى ذكائك وكمية معلوماتك.

دوالتي: من أخبرك بهذا الحديث؟

بريجيت: وينبغي على كل طفل من كل منزل الذهاب إلى المدرسة طوال النهار كل يوم، سواء في الصيف أو الشتاء، هذا هو القانون.

دوالتي: سأقول لك شيئا... لن يقترب منهم أحد...

لأنهم لن ينجحوا... بقانون أو بغير القانون.

بريجيت: وكل شيء في هذه المدارس سيكون مجانا، لا تدفع لقاء شيء سوى الكتب التي تستعملها، هذا ما يقوله أخونا شيموس.

دوالتي: «أخونا شيموس». بالتأكيد لن يدفع أخوك شيموس على أي حال. إنها تختلق هذا كله.

بريجيت: أليس هذا صحيحا يا مانوس؟

مانوس: أعتقد أن هذا صحيح.

بريجيت: ومنذ اليوم الأول الذي تذهب فيه، لن تسمع كلمة واحدة تنطق باللغة الأيرلندية. سيتم تعليمك الحديث بالإنجليزية وستدرس كل مادة باللغة الإنجليزية، وسيصبح الكل أذكياء مثل شعب بنكرانا.

تنخر سارة فجأة وتشير محذرة بأن المدير قادم. يتغير الجو. الرؤوس منحنية، والكل مشغول فجأة.

دوالتي: إنه هنا يا أولاد. والله سيجعل مني وجبة حساء بسبب تلك الجداول اللعينة.

بريجيت: هل لديك ثمة طبشور زيادة يا مانوس؟

مائير: ولي الأطلس.

يذهب دوالتي إلى مائير التي تجلس على كرسي أقدام في الخلف.

دوالتي: استبدلي مقعدك.

مــــــائيــــــر: لماذا.

دوالـــــتــــــي: هناك مقعد فارغ بجانب الطفل العبقري.

مــــــائيــــــر: أنا مرتاحة هنا.

دوالـــــتــــــي: مـائيـر، من فـضلك، أريد أن أمـزح هنـا في الخلف.

تنهض مائير

أحبك الله (بصوت مـرتفع) هل مع أي واحد منكم كتاب جداول لعين. يا إلهي، أنا محطم.

تعطيه سارة كتابا.

يا إلهي، إنني أموت من أجلك.

(أثناء تعـجله الوصـول إلى المقـعـد الخلفي، يصطدم دوالتي ببريجيت الراكعة على الأرض وهي تكتب بانهـمـاك على لوحٍ مـسند فـوق مقعد دراسي).

بـريـجـــــــيـت: انتبه إلى طريقك يا دوالتي!

يقرص دوالتي بريجيت. فتطلق صرخة حادة.

الآن طنين العمل الهادئ : جيمي يقرأ هومر بصوت خـافت، وبـريجـيت تنسخ ترويسـتـهـا، ومائيـر تدرس الأطلس، ودوالتي يكرر من غير فـهم جـداوله وعيناه مطبقتـان تمامـا، وسـارة تحل مسائل حسابية. بعد بضع ثوان:

بـريـجـــــــيـت: هل حرف «الجيم» هذا صحيح يا مانوس، كل تضع له ذيلا؟

دوالتي: هلا أغلقت فمك! أنا لا أستطيع التركيز!
بضع ثوان أخرى من العمل. ثم يفتح دوالتي عينيه وينظر حوله.
تحذير زائف يا أولاد. التافه ليس قادما أبدا. لا ريب أن هذا التافه لا يستطيع المشي إلا بالكاد.
وفورا، يدخل هيو. رجل ضخم لديه رواسب كرامة، يرتدي ملابس رثة، ويحمل عصا. وكما هي العادة دوما فقد تناول كمية مشروبات كبيرة، إلا أنه ليس ثملا على أي حال. إنه في أوائل الستينيات من عمره.

هيو: أنا حاضر يا دوالتي، أنا حاضر ربما لست صاحيا تماما ولكنني صاح بما يكفي لأسترق السمع إلى مزاحك.
تحيات مسائية لكم جميعا.
(إجابات متنوعة).

جيمي: مرحبا يا هيو.

هيو: جيمس.
يخلع قبعته ومعطفه ويناولهما مع عصاه إلى مانوس كما لو أنه يناولهما إلى خادم.
أقدم اعتذاراتي عن وصولي المتأخر: كنا نحتفل بتعميد ابن نيللي زودا.

بـريـجـــــــــيـت: (ببراءة) ما الاسم الذي منحته له يا أستاذ؟
هـيـــــــــــو: هل كان إيمون؟ أجل، كان إيمون.
بـريـجـــــــــيـت: إيمون دونال من تور! يا إلهي!
هـيـــــــــــو: وبعد طقس التسمية... مائير؟
مـــــائـيـــــر: طقس التسمية.
هـيـــــــــــو: صحيح... ثم تناولنا بضع كؤوس من الشراب لإظهار المناسبة. على العموم كانت ممتعة جدا. ما هو اشتقاق كلمة «يعمِّد»؟
أين تلاميذي في اللغة اليونانية؟ دوالتي؟
دوالـــــــتـــــي: هل هي... آ... آ...
هـيـــــــــــو: أنت بطيء جدا. جيمس؟
جـــيـــــمـي: يعمد يغطس أو يرتمس في الماء.
هـيـــــــــــو: صحيح... صديقنا بلايني مانيور يتحدث عن المغطس الحمّام البارد.
دوالـــــــتـــــي: أستاذ.
هـيـــــــــــو: دوالتي؟
دوالـــــــتـــــي: افترضُ إذن أن بإمكانك الحديث عن تعميد خروف حين تُغسل الخراف، أليس كذلك؟
(ضحك وتعليقات).
هـيـــــــــــو: صحيح... هناك سابقة... في اليوم الذي سميت فيه دوالتي تسمية «مناسبة»... سبع تسعات؟
دوالـــــــتـــــي: ماذا قلت يا أستاذ؟

هيـــــــــو: سبعة ضرب تسعة؟

دوالـــــتـــي: سبع تسعات . سبع تسعات... سبعة ضرب تسعة... سبعة ضرب تسعة هي... يا إلهي! إنها على طرف لساني يا أستاذ... عرفتها بالتأكيد في هذا الصباح... أمر مضحك أن هذه هي الوحيدة التي تخدعني...

بريجـــــيت: (بحزم) ثلاث وستون.

دوالـــــتـــي: ماذا حلَّ بي. بالتأكيد سبع تسعات هي ثلاث وستون يا أستاذ.

هيـــــــــو: إن سوفوكليس من كولون يتفق مع دوالتي دان دوالتي من تولاك ألا يين على أن «أحلى حياة هي ألا يعرف المرء شيئا» أين شين بيج؟

مـــــانوس: إنه عند سمك السلمون.

هيـــــــــو: ونورا دان؟

مـــــائيـــر: تقول إنها لن تعود إلى المدرسة أبدا.

هيـــــــــو: آه، الآن تستطيع نورا دان كتابة اسمها... تعليم نورا دان مكتمل. والتوأم دونالي؟ (وقفة قصيرة، ثم).

بريجـــــيت: ربما يكونان في حلبة سباق الخيل. (تمضي إلى هيو) إليك الواحد والثمانية المدينة به لك من أجل الربع الأخير من مادة الحساب، وإليك

واحد وستة لهذا الربع من مادة الكتابة.

هيـــــــو: أنا أشكرك (يجلس أمام طاولته).

قبل أن نبدأ دروسنا لديّ ثلاث معلومات أقدمها إليكم... (مخاطبا مانوس) آتني طاسة شاي، شاي قوي، أسود...

يغادر مانوس

المعلومة أ: أثناء جولاتي اليوم... بريجيت؟ أنت بطيئة جدا. مائير؟

مـــائيـــر: من يتجول أن يسير هنا وهناك.

هيـــــــو: صح... قابلت الكابتن لانسي من وحدة المهندسين الملكيين العامل في المسح لأغراض عسكرية في هذه المنطقة. ويقول لي إنه في الأيام القليلة الماضية ضلّ جوادان من جياده، ويبدو أن بعض معداته ضاعت. عبرت له عن أسفي واقترحت عليه أن يتكلم معكم بنفسه فيما يتعلق بتلك المسائل. ثم أوضح أنه لا يتكلم اللغة الأيرلندية. فسألته: واللاتينية؟ ولا كلمة. واليونانية؟ ولا مقطع من كلمة. إنه يتحدث، حسب اعترافه هو، الإنجليزية فقط، ومما أعلى من شأنه أنه ظهر باللاتينية، متواضعا كما يجب... جيمس؟

جيمس: تعني متواضعا.

هيو: صح... لقد عبر عن شيء من الدهشة لأننا لا نتحدث لغته. فأوضحت أن بعضا منا يتحدث بها في المناسبات، خارج الأبرشية بالطبع، ثم في ما يتعلق بالتجارة عادة...، وهو استخدام يبدو أن لسانه يناسبه بشكل خاص... (ينادي بصوت عالٍ) وشريحة من خبز الصودا... وتابعت ومقترحا أن ثقافتنا الخاصة والألسن الكلاسيكية أقامت اتحادا

دوالتي: من كلمة أضم أضم معا.

دوالتي مسرور جدا من نفسه إلى درجة أنه صار ينخس ويغمز بريجيت.

هيو: صح... قلت إن اللغة الإنجليزية لا يمكنها في الحقيقة أن تعبر عنّا. ومرة ثانية من علوٍّ شأنه أنه أذعن لمنطقي أذعن... مائير؟ مائير تستدير جانبا نافدة الصبر. غير واع لهذه الإيماءة. بطيئة جدا. بريجيت؟

بريجيت: يذعن.

هيو: تابعي.

بريجيت: يذعن، مذعن، مذعنة، إذعان.

هيو: صح... والمعلومة ب...

مـــــــائيـــــــر: أستاذ.

هـيـــــــــــــو: نعم؟

(تقف مـائيـر على قـدمـيـهـا بارتبـاك ولـكن بتصميم. وقفة قصيرة).

حسنا، أيتها الفتاة؟

مـــــــائيـــــــر: ينبـغي علينـا جـمـيـعـا أن نتـعلم التـحـدث بالإنجليـزية. هذا مـا تقـوله أمي. وهـذا مـا أقوله أنـا. وهذا مـا قـالـه دان أوكونيل الشـهـر الماضي في إينس. قـال كلمـا أسرعنا في تعلم اللغة الإنجليزية، كان هذا أفضل.

فجأة يتكلم عدد من التلاميذ معا.

جـــــيـــــــمي: ماذا تقول؟ ماذا؟ ماذا؟

دوالـــــتــــــي: الأيرلندية هي ما يستخدم حين يطوف البلاد مستجديا أصوات الناخبين.

بـريـجـــــــيت: وينام مع نسـاء مـتـزوجـات. من المؤكـد أنه لا توجد امرأة واحدة في مأمن من ذلك الفلاح.

جـــــيـــــــمي: من... من... من؟ من هذا؟ من هذا؟

هـيـــــــــــــو: صمتا (وقفة)، عمَّن تتحدث؟

مـــــــائيـــــــر: إنني أتحدث عن دانيال أوكونيل

هـيـــــــــــــو: هل تعنين ذلك السياسي الصغير من كيري؟

مـــــــائيـــــــر: إنني أتحدث عن المحرِّر يا أستـاذ كمـا تعـرف جيدا. ومـا قاله هو التـالي: «إن اللغة القـديمة عائق فـي وجه التقـدم الحديث». قـال هذا في

الشـهـر الماضـي. وهو على حق. أنا لا أريد اللغـة اليـونانيـة. لا أريد اللاتينيـة. أنا أريد الإنجليزية.

يظهر مانوسن مرة أخرى على سلم المبنى في الأعلى.

أريد أن أكـون قـادرة على التكلم بالإنجليـزية لأنني مهاجرة إلى أمـريكا حالما يتم تخزين المحصول بأكمله.

(تظل مائير واقفة. يدخل هيو يده في جيبه ويخرج قارورة ويسكي. يزيل السدادة، ويصب منها جرعة، يتجرعها، يعيد السدادة إلى مكانها، يعيد القارورة إلى جيبه).

هـيـــــــــو: لقد انحرفنا عن موضوعنا انحرف.. ينحرف أين كنا؟

دوالــــــتـــــي: ثلاث معلومات يا أستاذ. أنت الآن لدى المعلومة ب.

هـيـــــــــو: صح... المعلومة ب... المعلومة ب... نعم، وأنا في طريقي إلى حفلة التعميد في هذا الصباح، التقيت مصادفة بالسيد جورج ألكسندر، قاضي الصلح. وناقشنا مسألة المدرسة الوطنية الجديدة. ودعاني السيد ألكسندر إلى تولي مسؤوليتها حينما تفتح أبوابها. شكرته وشرحت له

أن بإمكاني القيام بذلك العمل فقط إذا ما كنت حرا في إدارتها، كما أدرت هذه المدرسة المتواضعة طيلة السنوات الخمس والثلاثين الماضية، مالئا ما يدعوه صديقنا يوروبيدس برميلا لا يمكن أن يملأ... جيمس؟

جيمس: «البرميل الذي لا يمكن ملؤه».

هيو: صح... وردّ السيد ألكسندر بلطف وتوكيد بأنه يأمل أن هذه هي الطريقة التي ستدار بها المدرسة.

تجلس مائير الآن.

لقد أمضيت يوما صعبا حقا، وأنا قلق عليكم جميعا (ينهض) سوف يهتم مانوس بكم.

يمضي هيو نحو الدرج.

يدخل أوين. أوين هو الابن الأصغر، وهو شاب وسيم جذاب في العشرينيات من عمره. يرتدي ملابس أنيقة... رجل مدينة. أسلوبه في التعبير سهل وآسر: وكل ما يفعله يفعله باهتمام وحماس. هو الآن يقف ضمن إطار المدخل، وحقيبة سفر متصالبة مع كتفه.

أوين: هل يستطيع أحدكم أن يخبرني فيما إذا كان هذا المكان هو الذي يدير منه هيو مو أودونيل مدرسته المتواضعة؟

دوالـــــتـــــي: إنه أوين... أوين هيـو! انظروا يا أولاد... إنه أوين هيو!

يدخل أوين. وبينما هيو يعبر الغرفة يلمس كل واحد من التلاميذ ويقول له كلمة.

أويــــــــــن: دوالتي (مع كلمة مرحة) كيف حالك يا ولد؟ (باللاتينية) هل أنت بخير؟

دوالـــــتـــــي: ممتاز، ممتاز.

أويــــــــــن: وبريجيت! أعطنا قبله، آ آ آه!

بـريــجـــــيـت: مرحبا بك يا أوين.

أويــــــــــن: أليست هذه...؟ نعم، إنها مائير تشاتاش! يا إلهي! امرأة شابة!

مــــائـيـــــر: كيف حالك يا أوين؟

أوين الآن أمام هيو. يضع كلتا يديه على كتفي والده.

أويــــــــــن: وكيف الرجل العجوز ذاته؟

هـيـــــــــو: حسن... حسن.

أويــــــــــن: حسن؟ إكراما لله، إنك لم تبد بصورة أفضل أبدا!

تعال إليّ (يعانق هيو بحرارة وصدق) رائع أن أراك يا والدي. رائع أن أعود.

تترقرق عينا هيو بالدموع... جزئيا نتيجة الفرح، وجزئيا نتيجة الشراب.

هـيـــــــــو: أنا... أنا... أنا... لا تهتم بـ

أويـــن: هيا... هيا... هيا (يعطي هيو منديله) هل تعلم ما سنفعله أنا وأنت الليلة؟ سنذهب إلى حانة آنانا سبريج...

دوالـتي: لا تذهبا إلى هناك يا أوين.

أويـــن: ولم لا؟

دوالـتي: الويسكي لديها أسوأ مما كان من قبل.

بريجيت: يقولون إنها تضع فيه ضفادع!

أويـــن: هذا أفضل (مخاطبا هيو) وسوف نثمل أنا وأنت على نحو أحمق. هذا الأمر تم ترتيبه.
يرى أوين مانوس وهو يهبط الدرج يحمل الشاي وخبز الصودا.
يلتقيان في أسفل الدرج.
ومانوس!

مانوس: أهلا بك يا أوين.

أويـــن: أعلم ذلك. وإنه لأمر رائع أن أكون هنا. (يدور حول نفسه وذراعاه ممدودتان) لا أصدق هذا. أعود بعد مضي ست سنوات فأجد كل شيء كما كان! لا شيء تغير! ولا شيء واحد! (يتشمم) حتى تلك الرائحة... تلك هي الرائحة ذاتها التي وجدت دوما في هذا المكان. ما هي على أية حال؟ هل هي رائحة القش؟

دوالـتي: إنها رائحة أقدام جيمي جاك.
(ضحك جماعي). هذه الدعابة تفتح جيوبا

صغيرة للحوار في أنحاء الغرفة.

أويــــــــــن: كما أن دوالتي دان دوالتي لم يتغير أيضا.

دوالـــتــــي: أنت محق تماما يا أوين.

أويــــــــــن: جيمي، هل أنت بخير؟

جـــيـــمـي: أتنقل هنا وهناك.

أويــــــــــن: هل من خبر عن اليوم الكبير؟
يقابل هذا بآهات وتأوهات.
يكفيك كل هذا الوقت يا جيمي. من الأسهل العيش مع هومر، أليس كذلك؟

مـــــائيـــر: سمعنا قصصا تقول إنك تملك عشرة حوانيت كبيرة في دبلن... هل هذا صحيح؟

أويــــــــــن: تسعة فقط.

بـريـدجـــيت: ولديك اثنا عشر حصانا وستة خدم.

أويــــــــــن: أجل... هذا صحيح. يا إلهي العظيم، أصغ إليهم وهم يشتركون في اللعب عليَّ!

مـــــانـوس: متى وصلت؟

أويــــــــــن: غادرنا دبلن البارحة صباحا، وأمضينا ليلة أمس في أوماغ، ووصلنا إلى هنا قبل نصف ساعة.

مـــــانـوس: أنت جائع إذن.

هــيـــــــو: صح... أحضر له الطعام... أحضر له شرابا.

أويــــــــــن: ليس الآن، شكرا، في ما بعد... اسمعوا... هل قطعت عليكم ما أنتم فيه؟

هيــــــــو: أبدا. لقد فرغنا من مهمات اليوم.

أويــــــــن: رائع. سأخبركم عن السبب. هناك صديقان لي ينتظران لدى الباب. يرغبان في لقائكم، وأرغب أنا أن تلتقوا بهما. هل لي أن أدخلهما؟

هيــــــــو: بالتأكيد، جميعكم ستأكلون وتـ ...

أويــــــــن: ليس بعد يا والدي. لقد رأيت المهندسين العسكريين يعملون في هذه المنطقة طيلة الأسبوعين الماضيين، أليس كذلك؟ حسنا، الرجل الأكبر سنا هو الكابتن لانسي...

هيــــــــو: أنا التقيت الكابتن لانسي.

أويــــــــن: عظيم. إنه رسام الخرائط المسؤول عن كل هذه المنطقة «رسام خرائط»... جيمس؟ يبدأ أوين يلعب هذه اللعبة، لعبة والده، ليشرك مستمعيه في الفصل من جانب، وليظهر من جانب آخر أنه لم ينسها، ثم لأنه يستمتع بها بالفعل.

جيــــمي: صانع خرائط.

أويــــــــن: صح... والرجل الأصغر سنا الذي سافرت معه من دبلن اسمه الملازم يولاند، وهو ملحق بدائرة دراسة أسماء المواقع الجغرافية... والدي؟ (باللاتينية) أجب؟ أجب؟

هيــــــــو: هو يمنح الأماكن أسماء.

أوين: صح... مع أنه في الحقيقة خبير بتهجي الأسماء... دوالتي؟... بطيء جدا...

مانوس: مانوس؟

أوين: التهجي السليم لتلك الأسماء.

صح... صح...

يضحك أوين ويصفق بيديه. ينضم إليه بعض الآخرين.

جميل! جميل! أقسم بشرفي، إنها لمتعة كبرى أن أكون هنا معكم جميعا مرة ثانية أيها الناس «المتحضرون». على أي حال، أيمكنني إدخالهما؟

هيو: أصدقاؤك أصدقاؤنا.

أوين: سأعود حالا.

(يتجاذب الموجودون أطراف الحديث في الوقت الذي يتجه فيه أوين نحو الباب. يتوقف بالقرب من سارة).

وجه جديد. من أنت

سارة: (تردد قصير جدا) اسمي سارة.

أوين: سارة من؟

سارة: سارة جون سالي.

أوين: بالطبع من بن نا باهان! أنا أوين. أوين هيو مور من بايلي بيج. مسرور لرؤيتك.

وخلال هذا الحوار بين أوين وسارة

هـيــو: هلمـوا الآن. دعـونا نـرتب هذا المكان. (يمسح سطح طاولتـه بكمّـه) تحـرك يا دوالتي... ارفع تلك الكتب عن الأرض.

دوالتي: حسنا يا أستاذ، بالتأكيد يا أستاذ، إنني أفعل ما بوسعي يا أستاذ.

يقف أوين لدى الباب.

أويـن: شيء واحد صغير يا والدي

هـيـو: سكوت!

أويـن: أنا على جدول رواتبهم.

(سارة تقف جانب مانوس مبتهجة بنجاحها).

سـارة: مانوس، لقد قلت اسمي!

(مانوس يتجاهل سارة. إنه الآن مهتم بأوين أكثر من اهتمامه بها).

مـانـوس: لم تتطوع، أليس كذلك؟

(سارة تبتعد).

أويـن: أنا جندي؟ إنني موظف وظيفة جزئية كمترجم مدني، ويدفعون لي أجرا أقل مما أستحق. وعملي هو أن أترجم اللغة القديمة المهجورة المثيرة للعجب - التي تستمرون أنتم في الحديث بها - إلى اللغة الإنجليزية الفصحى الجيدة (يخرج).

هـيـو: تحركوا... تحركوا... تحركوا! نظّموا الأشياء. هيا يا سارة... خبئي ذلك الدلو. لمن هذه

الألواح؟ ليأخذ أحدكم هذه الصحون إلى الخارج اسرعوا! اسرعوا (يصب لنفسه شرابا للمرة الثانية).

يذهب مانوس إلى مائير المشغولة بالترتيب.

مانوس: لم تخبريني أنك مغادرة حتما.

مائير: ليس الآن.

هيو: أنت فتاة طيبة يا بريجيت. هذا هو الأسلوب.

مانوس: كان بإمكانك أن تخبريني على الأقل.

هيو: هل هذه كتبك يا جيمس؟

جيمي: شكرا لك.

مانوس: رائع! رائع! استمري! استمري!

مائير: تتحدث معي حول الزواج، وليس ثمة سقف فوق رأسك ولا موطئ تحت قدميك. أقترح عليك أن تقدم طلبا للعمل في المدرسة الجديدة. ولكن لا ... «والدي تقدم للحصول على العمل» حسنا، لقد حصل عليه وانتهى الأمر، والآن أنت لا تملك شيئا.

مانوس: استطيع دوما ...

مائير: ماذا؟ تعلِّم، الأعمال الكلاسيكية للأبقار؟ آغ... (تبتعد مائير عن مانوس).

(يدخل أوين مع لانسي ويولاند. الكابتن لانسي في منتصف العمر وهو ضابط صغير جازم ونضر، خبير في مجاله كرسام خرائط،

لكنه صعب مع الناس... وبخاصة المدنيين، والأجانب منهم على وجه الخصوص. مهارته تظهر بالأفعال لا الأقوال).

الملازم يولاند في نهاية العشرينيات وأوائل الثلاثينيات من عمره. وهو طويل ونحيل ومفرط الطول، شعره أشقر، وسلوكه أخرق خجول. إنه جندي بالمصادفة).

أوين: ها نحن هنا. كابتن لانسي... هذا والدي.

لانسي: مساء الخير.

يصبح هيو صريحا مع زواره، بل ولطيفا.

هيو: لقد التقينا سلفا، أنا وأنت، يا سيدي.

لانسي: نعم.

هيو: ربما في ما بعد، حين...

لانسي: سأقول ما ينبغي أن أقوله إذا سمحتم، وباختصار قدر المستطاع. هل يتكلمون أي نوع من الإنجليزية يا رولاند؟

أوين: لا تقلق، سأقوم بالترجمة.

لانسي: فهمت (يجلو حنجرته. يتكلم كما لو أنه يخاطب أطفالا... درجة الصوت عالية جدا والنطق مبالغ فيه)

ربما رأيتموني... رأيتموني... أعمل في هذا الجزء... الجزء؟ أعمل. نحن هنا... هنا... في هذا المكان... أتفهمون؟... لنرسم

خريطة... خريطة... خريطة... و...

جـــيـــمـي: ألا يتكلم اللاتينية؟ (يرفع هيو يدا رادعة).

هـيــــو: جيمس

لانـســـي: (مخاطبا جيمي) أنا لا أتكلم اللغة الغالية يا سيدي (ينظر إلى أوين).

أويـــــن: تابع

لانـســـي: الخـريطة هي تمثـيل لشيء على الورق... صورة... أتفهمون ما معنى صورة؟... صورة ورقـيـة... تبين، وتمثل هذه البلد... نعم؟... تبين بلدكم بصورة مصـغرة... رسم متدرج على مقياس على ورق الـ... الـ... الـ.

يضـحك دوالتي فـجـأة ضـحكة نصف مكبوتة، ثم بريجيت، ثم سارة. يتدخل أوين بسرعة.

أويـــــن: ربما يكون من الأفضل لو افـتـرضت أنهم يفهمونك...

لانـســـي: نعم؟

أويـــــن: وسوف أترجم وأنت تواصل في الحديث.

لانـســـي: فهمت، نعم، حسن جدا. ربما أنت على حق. حسنا. إن ما نقوم به هو هذا.

ينظر إلى أوين فيومئ أوين مطمئنا له.

لقد أصدرت حكومة جلالة الملك أمرا بإجراء أول مسح عام لهذا البلد بأكمله. مسح وفق

علم المثلثات سوف يضم معلومات مفصلة عن المصادر المائية والتضاريس الأرضية، وسينفذ على مقياس ست بوصات مقابل كل ميل إنجليزي.

هيـــــو: (يصب شرابا) رائع... رائع.
(ينظر لانسي إلى أوين).

أويـــــن: ثمة خريطة يتم إنجازها للبلد بأكملها.
ينظر لانسي إلى أوين نظرة تساؤل: هل هذا كل شيء؟ يبتسم أوين مطمئنا ويشير إليه أن يتابع.

لانـــسي: لقد جرى التصدي لهذا العمل الهائل حتى يتم تزويد السلطات العسكرية بمعلومات دقيقة وحديثة حول كل زاوية في هذا الجزء من الإمبراطورية.

أويـــــن: والجنود هم الذين يقومون بهذا العمل لأنهم ماهرون به.

لانـــسي: وأيضا حتى يعاد تقييم قاعدة تثمين الأراضي بأكملها لأهداف تخدم فرض ضرائب أكثر عدلا.

أويـــــن: ستحل هذه الخريطة محل خريطة وكيل العقارات بحيث تعرفون من الآن فصاعدا بالضبط ما هو لكم حسب القانون.

لانـــسي: وفي الختام أحب أن أقتبس مقطعين

مختصرين من الكتاب الأبيض الذي يمثل شرعتنا الحاكمة: (يقرأ) «لقد نجمت كل المسوحات السابقة لأيرلندا في الأصل عن التزوير ونقل الملكية بالعنف. أما المسح الحالي فالهدف منه هو إعتاق ملاك الأراضي ومحتليها على السواء من نظام ضرائب ظالم».

أوين: يأمل الكابتن أن الشعب سيتعاون مع المهندسين، وأن الخريطة الجديدة ستعني تخفيضا في الضرائب.

هيو: هذا مشروع ذو أهمية مهمة مشرفة، وما هو المقطع ب؟

لانسي: «إيرلندا محظوظة. ليس ثمة مسح كهذا يجري تنفيذه في إنجلترا. لذلك فإن هذا المسح لا يمكن إلا الترحيب به كبرهان على حرص هذه الحكومة على تطوير مصالح أيرلندا وتقديري لكم أيضا.

أوين: وهذا الملازم يولاند... كلاهما من المهندسين الملكيين... هذا والدي.

هيو: على الرحب والسعة أيها السيدان.

يولاند: ولك أيضا... كيف أنت؟

هيو: مرحبا بكما

أوين: ولا تقديمات أخرى، سأكتفي بالقول إن هؤلاء

بعض من أهالي بايلي بيج و... مـــاذا؟...
طيب... أنتم الآن بين أفـــضل الناس في
أيرلندا.
(يتوقف وقفة قصيرة ليسمح للانسي
بالكلام. لانسي لا يتكلم) هل تود قول بضع
كلمات يا كابتن؟

هـيـــــــو: ما رأيك بقطرة يا سيدي؟

لانـــســـي: بـ ... ماذا؟

هـيـــــــو: ربما بقليل من الانتعاش؟ عينة صغيرة من ماء
حياتنا؟

لانـــســـي: لا، لا.

أويـــــــن: يظهر هذا المسح اهتمام الحكومة بأيرلندا،
ويشكر لكم الكابتن على حسن استماعكم له.

هـيـــــــو: بكل سرور أيها الكابتن.

لانـــســـي: ملازم يولاند؟

يـــولانـــد: أنا... أنا... في الواقع... ليس لدي مـــا
أقوله...

أويـــــــن: الكابتن هو الرجل الذي يضع الخـــريطة
الجديدة بالفعل. أما مهمة جورج فهي التحقق
من أن أسماء الأماكن على هذه الخريطة...
صحيحة (مخاطبا يولاند)، فقط بضع كلمات
سيحبون الاستماع إليك (مخاطبا الفصل) ألا
تريدون سماع جورج، أيضا؟

مـــــائيـــــر: هل لديه ما يقوله؟

يـــــولانـــــد: (مخاطبا ماثير) عفوا... ماذا قلت؟

أويـــــــن: تقول إنها تتوق إلى الاستماع إليك.

يـــــولانـــــد: (مخاطبا مائير) هذا لطف كبير منك... شكرا لك... (مخاطبا الفصل) أستطيع القول فقط إنني أشعر... أنني أشعر بالغباء الشديد لـ... لكوني أعمل هنا ولا أتحدث لغتكم. لكنني أنوي أن أتدارك هذا بمساعدة رولاند... أنا أنوي هذا بالفعل.

أويـــــــن: يريدني أن أعلمه اللغة الأيرلندية.

هـيـــــــو: ترحيب مضاعف بك يا سيدي.

يـــــولانـــــد: أعتقد أن ريفكم هو... هو... هو... هو جميل جدا. لقد أحببته سلفا، آمل ألا نكون متطفلين بالغي... بالغي الفظاظة... على حياتكم، وأنا أعلم أنني سأكون سعيدا، سعيدا جدا هنا.

أويـــــــن: إنه محب لأيرلندا وأهلها سلفا.

جـيـــــمي: إنه يحب...

أويـــــــن: حسنا يا جيمي... نحن نعرف... إنه يحب بابلي بيج، ويحبكم جميعا.

هـيـــــــو: من فضلك... هل لي أن...؟

(هيو الآن ثمل. يتشبث بطرف طاولته).

أويـــــــن: تفضل يا والدي (يرفع يديه طالبا الهدوء)

تفضل... تفضل.

هيـــــــــو: ونحن أيها السادة، من جانبنا سعداء بتقديم صداقتنا لكم، وكرمنا وكل مساعدة يمكن أن تطلبوها، أيها السادة... مرحبا بكم!

(تصفيق متفرق قليل. انتهت الرسميات. يتجاذبون أطراف الحديث، الجنديان يختلطان بالأهالي، مانوس وأوين يتحدثان عند مقدمة خشبة المسرح).

أويــــــــــن: لانسي مدك بندقية لعين، لكن جورج طيب. على أي حال، كيف حالك؟

مـــــــانوس: أي نوع من الترجمة كانت تلك يا أوين؟

أويــــــــــن: هل أفسدتها؟

مـــــــانوس: لم تكن تقول ما كان يقوله لانسي.

أويــــــــــن: «أول مبادئ الشعر أن لا يقين في المعنى»... من قائل هذا؟

مـــــــانوس: لم يكن في ما قاله لانسي شيء غير يقيني، إنها عملية عسكرية لعينة يا أوين! وما هي وظيفة يولاند؟ وما هو «غير الصحيح»، في ما يتعلق بأسماء الأماكن التي لدينا؟

أويــــــــــن: لا شيء على الاطلاق. فقط سيتم توحيدها.

مـــــــانوس: تعني تغييرها إلى اللغة الإنجليزية؟

أويــــــــــن: حيث يوجد إبهام، ستصبح إنجليزية الصفة.

مـــــــانوس: ويسمونك رولاند! كلاهما يسميك رولاند!

أويـــــــــن: صه، صه... صه. أليس هذا سخيفا؟ يبدو أنهما فهما الأمور بطريقة خاطئة منذ البداية، أو لأنهما لا يستطيعان لفظ أوين. كنت أخشى أن يضحك بعضكم يا أيها الحمقى.

مــــــانوس: ألن تخبرهما؟

أويـــــــــن: أجل... أجل... حالا... حالا.

مــــــانوس: ولكنهما...

أويـــــــــن: على رسلك يا رجل، على رسلك. أوين... رولاند... ما الفرق بحق الجحيم. إنه مجرد اسم. إنني أنا ذاتي، أليس كذلك؟ حسنا، أليس كذلك؟

مــــــانوس: بالفعل أنت ذاتك. إنه أوين نفسه في كلتا الحالين.

أويـــــــــن: ومانوس ذاته، وبطريقة ما كلانا يكمل الآخر (يلكم مانوس بخفة ومرح، ويستدير لينضم إلى الآخرين. وهو في طريقه: حسنا... من قابل من؟ أليس هذا عملا يحتاج وسيطا؟ يراقب مانوس أوين يتنقل بثقة عبر مقاعد الطلبة وهو يجر مائير من يدها ويقدمها إلى يولاند. هيو يحاول أن يتغلب على درجات السلم. جيمي مستغرق في نص. دوالتي وبريجيت يعيدان الحياة إلى ضحكاتهما المكتومة. سارة تحدق في مانوس.

الفصل الثاني

المشهد الأول

(بعد بضعة أيام)

قام المهندسون الآن برسم خرائط لمعظم أجزاء المنطقة. إن مهمة يولاند الرسمية، التي يقوم بها الآن أوين، هي أن يأخذ كل اسم من الأسماء الغالية... كل تل وجدول وصخرة، بل، وحتى كل بقعة صغيرة من الأرض كان لها اسمها الأيرلندي المتميز، «ويؤنجلزها»، إما عن طريق تغييرها إلى أقرب لفظ إنجليزي لها أو عن طريق ترجمتها إلى كلمات إنجليزية. فعلى سبيل المثال، اسم غاليّ مثل كنوك بأن يمكن أن يصبح نوكبان، أو يترجم مباشرة إلى تل جميل. هذه الأسماء الجديدة الموحدة أدخلت إلى كتاب الأسماء، وحين ظهرت الخرائط الجديدة كانت تحتوي على كل هذه الأسماء التي تمت أنجلزتها. أما عمل أوين الرسمي كمترجم فهو أن يلفظ كل اسم باللغة الأيرلندية ثم يأتي بالترجمة الإنجليزية.

الجو ما زال حارا، والوقت هو أواخر ما بعد الظهر بعد مرور بضعة أيام.

على يمين الخشبة ثمة حبل غسيل ممدود

بصورة ارتجالية بين عرائش العربة ومسمار في الحائط. ومنشور عليه بضعة قمصان وجوارب.

خريطة كبيرة منشورة على الأرض وهي إحدى الخرائط الجديدة الخالية من الأسماء. نرى أوين جالسا على يديه وركبتيه ينظر فيها. إنه منغمس تماما في عمله الذي يقوم به بنشاط وكفاءة كبيرين.

تلاشى تردد يولاند... إنه يشعر الآن هنا وكأنه في بيته، وهو يجلس على الأرض، ورجلاه الطويلتان ممدودتان أمامه، وظهره مستند إلى سلة، وعيناه مغمضتان. وعقله في مكان آخر، وفي حضنه ثمة كتاب من كتب المراجع هو سجل كنيسة.

حولهما يوجد عدد من المراجع وكتاب الأسماء، وزجاجة خمر محلي، وبعض الأكواب... إلخ.

أوين ينهي مراجعة مادة في كتاب الأسماء، ويعود إلى الخريطة على الأرض.

أوين: والآن، إلى أين وصلنا؟ نعم... إلى النقطة التي يدخل فيها ذلك الجدول البحر... ذلك الشاطئ الصغير هناك... جورج!

يولاند: نعم، أنا أصغي. ماذا تدعوه؟ قل الاسم الأيرلندي ثانية؟

أويـــــــن: بن نا هابهان.

يـــولانـــد: مرة ثانية.

أويـــــــن: بن نا هابهان.

يـــولانـــد: بن نا هابهان.

أويـــــــن: ذلك مزعج يا جورج.

يـــولانـــد: أعلم، أنا آسف. قله مرة أخرى.

أويـــــــن: بن نا هابهان.

يـــولانـــد: بن نا هابهان.

أويـــــــن: هذا أفضل. بن هي الكلمة الأيرلندية التي تعني قاع أو أسفل. وآبها تعني نهر. وهكذا فالمعنى حرفيا هو مصب النهر.

يـــولانـــد: دعنا نتركها جانبا، فلا يوجد مقابل إنجليزي لصوت مثل هذا.

أويـــــــن: ماذا تدعى في سجل الكنيسة؟
الآن فقط يفتح يولاند عينيه.

يـــولانـــد: دعنا نرى... بانوين.

أويـــــــن: هذا خطأ (ينظر في النص) قائمة ملاك الأراضي الحرة يدعونه أوينمور... هذا خطأ تام: أوينمور هو النهر الكبير عند النهاية الغربية للأبرشية. (نص آخر) ويدعى في قوائم هيئة المحلفين الكبرى... يا إلهي! بينهون!... من أين حصلوا على هذا الاسم. أعتقد أن بمقدورنا أنجلزته إلى بنوين، ولكن

بطريقة ما هذا الاسم لا هو سمكة ولا هو لحم.
يولاند يغمض عينيه مرة أخرى.

يــــولانــــد: أنا أستسلم.

أويــــــن: (عند الخريطة) لنعد إلى المبادئ الأولى. ما الذي نحن بصدده؟

يــــولانــــد: سؤال وجيه.

أويــــــن: إننا نحاول أن نسمي، وفي الوقت ذاته نصف تلك المنطقة الضيقة من الأرض الرملية الصخرية التي تعوزها الحيوية حيث يدخل ذلك الجدول إلى البحر، وهي منطقة تعرف محليا باسم بن نا هابهان... بيرنفوت! ما رأيك ببيرنفوت؟

يــــولانــــد: (بلا اكتراث) جيد يا رولاند. بيرنفوت جيد.

أويــــــن: جورج، اسمي ليس..

يــــولانــــد: ب... ي... ر... ن... ف... و... ت؟

أويــــــن: أظن ذلك. ما رأيك؟

يــــولانــــد: نعم.

أويــــــن: هل يرضيك هذا؟

يــــولانــــد: أجل.

أويــــــن: إذن الاسم هو بيرنفوت. (يدخل المعلومة في كتاب الأسماء).
بن نا هابهان ب... ي... ر... ن...

يــــولانــــد: لقد أصبحت ماهرا جدا في هذا العمل.

أوين: إننا لا نتقدم بسرعة كافية.

يولاند: (يفتح عينيه مرة أخرى) لقنني لانسي درسا مرة أخرى ليلة أمس.

أوين: متى ينهي عمله هنا؟

يولاند: سوف ينسحب المهندسون في نهاية الأسبوع. المشكلة هي أن الخرائط التي فرغوا منها لا يمكن طباعتها من دون هذه الأسماء. وهكذا تصرخ لندن في وجه لانسي، ويصرخ لانسي في وجهي. لكنني لم أجبن.

(يظهر مانوس في أعلى الدرج ويبدأ الهبوط).

قلت له: «أنا آسف يا سيدي، ولكن مهمات معينة تحتاج نصيبها من الوقت. إنك لا تستطيع إعادة تسمية بلد بأكمله في ليلة واحدة». لقد جعلني هواؤكم الأيرلندي جريئا.

(مخاطبا مانوس) هل تريدنا أن نغادر؟

مانوس: ثمة وقت كاف. لن يبدأ الدرس قبل مضي نصف ساعة.

يولاند: عفوا... ماذا قلت؟

أوين: ألا تستطيع التحدث بالإنجليزية؟

(يجمع مانوس الأشياء عن حبل الغسيل، ويعود أوين إلى الخريطة).

نأتي الآن إلى ذلك الشاطئ...

يولاند: ترا تلك هي الكلمة الأيرلندية التي تعني شاطئا (مخاطبا مانوس) إنني ألتقط الكلمة الغريبة يا مانوس.

مانوس: هكذا.

أوين: ... إلى الأمام وراء بيرنفوت. ولا يوجد شيء هنا له أي اسم أعرفه، إلى أن نهبط هنا إلى الطرف الجنوبي... هنا وهناك مباشرة لا بد أن تكون سلاسل صخور هنا... هل حددها المهندسون؟ لقد فعلوا. انظر، جورج.

يولاند: أين نحن؟

أوين: هناك.

يولاند: إنني ضائع.

أوين: هنا. واسم السلسلة هو درويم دوبيه. ضع مقابلا إنجليزيا لها أيها الملازم.

يولاند: قلها ثانية.

أوين: درويم دوبيه.

يولاند: دوبيه تعني أسود.

أوين: نعم.

يولاند: وتعني درويم... ماذا؟ قلعة؟

أوين: صادفنا الكلمة البارحة في درويم لواشرا

يولاند: سلسلة! السلسلة السوداء! (مخاطبا مانوس) مانوس، أرأيت؟

أوين: سوف نجعلك تتحدث اللغة الأيرلندية بطلاقة

قبل نهاية الصيف.

يولاند: أوه أتمنى ذلك (مخاطبا مانوس العائد إلى الطابق العلوي) حصلنا على صندوق برتقال هذا اليوم من دبلن. سوف أرسل لك بعضا منه.

مانوس: شكرا. (مخاطبا أوين) من الأفضل أن تخفي هذه الزجاجة. لقد نهض والدنا للتو وسيكون في حال أفضل من دونها.

أوين: ألا تستطيع أن تتكلم الإنجليزية أمام هذا الذي يخاطبك؟

مانوس: لماذا؟

أوين: مجاملة.

مانوس: ألا يرغب هو في تعلم اللغة الأيرلندية؟ (مخاطبا يولاند) ألا ترغب في تعلم اللغة الأيرلندية؟

يولاند: عفوا... ماذا قلت؟ أنا... أنا...

مانوس: إنني أفهم الإنجليز أمثال لانسي تماما، لكن أشخاصا مثلك يحيرونني.

أوين: مانوس، إكراما لله!

مانوس: (لا يزال يخاطب يولاند) كيف يسير العمل؟

يولاند: العمل؟... العمل؟ آه، إنه... إنه يسير ببطء... على ما أظن... (مخاطبا أوين)... أليس كذلك؟ لكننا كنا سنضيع من دون رولاند.

مـــــــــانـوس: (مغـادرا) أنا متـأكـد. لكن ثمـة من هم أمـثـال رولاند على الدوام، أليس كـذلك؟ (يصـعـد الدرج ويخرج).

يــــــولانــــــد: مـاذا قـال؟ قـال شـيـئـا حـول لانسي، ألـيس كذلك؟

أويـــــــــــــن: قال إن علينا أن نخفي تلك الزجاجة قبل أن تقع عليها يد والدنا.

يــــــولانــــــد: آه.

أويـــــــــــــن: إنه يحاول دوما حمايته.

يــــــولانــــــد: هل هو أعرج منذ الولادة؟

أويـــــــــــــن: وقع حادث حينما كان صغيرا. سقط أبي من فوق مـهده. ولـهذا يشـعـر مـانوس بمسؤولـية كبيرة تجاهه.

يــــــولانــــــد: لماذا لا يتزوج؟

أويـــــــــــــن: أظنه لا يقدر على ذلك.

يــــــولانــــــد: أليس له مرتب؟

أويـــــــــــــن: أي مـرتب؟ إن كل مـا يحصل عليـه هـو الشلن الفريد الذي يرميه له والدنا... وهذا لا يكفي أبدا. لقـد خـرجت أنا في الوقت المناسب، أليس كذلك؟

يولاند يصب مشروبا.

لا تكثـر من هذه المادة... فـجـأة سـتطرحك أرضا.

يـــــولانـــــد: إنني أحبها.

أويـــــــــن: لنعد إلى العمل. درويم دوبيه... ماذا تدعى في قوائم المحلفين؟ (ينظر في النصوص).

يـــــولانـــــد: بعض الناس هنا يمقتوننا.

أويـــــــــن: الاسم درامدوف... خطأ كالعادة.

يـــــولانـــــد: بالأمس كنت مارا بالقرب من فتاة صغيرة فبصقت علي.

أويـــــــــن: واسمها دريمدو هنا. ماذا تدعى في السجل؟

يـــــولانـــــد: هل تعرف التوأم دونالي؟

أويـــــــــن: من؟

يـــــولانـــــد: التوأم دونالي.

أويـــــــــن: أجل. أفضل صيادي أسماك في هذه المنطقة. ماذا بشأنهما؟

يـــــولانـــــد: إن لانسي يبحث عنهما.

أويـــــــــن: من أجل ماذا؟

يـــــولانـــــد: يريدهما للاستجواب.

أويـــــــــن: ربما سرقا شباك شخص ما. درامدفي! لم يسمها أحد درامدفي. اختر من هذه الأسماء الثلاثة.

يـــــولانـــــد: رأسي مشوش. دعنا نأخذ قسطا من الراحة. هل ترغب بشراب؟

أويـــــــــن: شكرا، والآن، لقد غيرنا كل دوبيه.

صادفناها إلى دوف. إذن لو أردنا أن نكون

متناغمين، فإنني أعتقد أن درويم دوبيه ينبغي أن تصبح درومدوف.

رولاند ينظر الآن من النافذة إلى الخارج.

يمكنك رؤية نهاية السلسلة الصخرية من المكان الذي تقف فيه. ولكن هل هي درم أم دروم؟ (يعود إلى كتاب الأسماء) هل تتذكر... ما الاسم الذي اتفقنا عليه بخصوص درويم لواشرا؟

يولاند: ذلك المنزل القابع مباشرة فوق المكان الذي نخيم فيه.

أوين: ماذا؟

يولاند: المنزل الذي تعيش فيه مائير.

أوين: مائير آه، مائير شاتاش.

يولاند: ماذا يعني ذلك؟

أوين: ذات الشعر الأجعد، الأسرة بأكملها تدعى ذات الشعر الأجعد. ماذا بشأن المنزل؟

يولاند: أسمع موسيقى آتية من ذلك المنزل كل ليلة تقريبا.

أوين: لماذا لا تذهب لزيارته؟

يولاند: أيمكنني ذلك؟

أوين: لم لا. استعملنا د - ر - و - م إذن ... إذن علينا أن نسميه دروم - د - و - ف - تمام؟

يولاند: ارجع إلى المكان الذي تبنى فيه المدرسة

الجديدة وقل الأسماء مرة أخرى لي، لو سمحت؟

أوين: هذه فكرة جيدة. بولكيري، بالي بيج...

يولاند: لا، لا، قلها كما هي بلغتك الأم.

أوين: بول نا بكوراتش.

يردد يولاند الأسماء بصمت خلفه.

بايلي بيج، سيان بالور، ليز ماول، ماشير بيوده، بايلي ناج كال، كاريج ناري، مولاك ديرج...

يولاند: هل تعتقد أنه يمكنني العيش هنا؟

أوين: عم تتكلم؟

يولاند: أستقر هنا... أعيش هنا.

أوين: بلا مزاح يا جورج.

يولاند: إنني أقصد ما أقول.

أوين: تعيش على ماذا؟ البطاطا؟ المخيض؟

يولاند: إنها في الحقيقة كالفردوس.

أوين: إكراما لله! إنه أكثر فصل صيف حرارة منذ خمسين سنة، وتعتقد أنها جنة عدن. لا تكن رومانسيا لعينا هكذا، انك لن تمضي شتاء معتدلا واحدا وتبقى على قيد الحياة.

يولاند: ألا تعتقد ذلك. ربما أنت على حق.

يدخل دوالتي مندفعا.

دوالتي: مرحبا يا شباب، هل مانوس موجود؟

أويـــــــن: إنه في الطابق العلوي. استدعه.

دوالـــتـــي: مانوس!

القطيع جن جنونه في هذا الحر... يا إلهي، إنه يركض بجنون في كل أرجاء المكان

(مخاطبا يولاند) كيف حالك أيها الفتى الغر؟

يظهر مانوس

يـــولانـــد: شكرا لك على... أنا... أنا ممتن لك جدا على...

دوالـــتـــي: أنت تضيع وقتك. أنا لا أفقه كلمة مما تقول. مرحبا يا مانوس. هناك رجلان يسألان عنك أسفل الطريق.

مـــانـــوس: (هابطا) من هما؟

دوالـــتـــي: لم تقع عيناي عليهما أبدا. يريدان الحديث معك.

مـــانـــوس: بخصوص ماذا؟

دوالـــتـــي: لم يقولا. هيا فالحيوانات اللعينة سينتهي بها الأمر في لوتش آن لوبهير إن لم تتم السيطرة عليها، حظا طيبا ياشباب!

يخرج دوالتي مندفعا، ويتبعه مانوس.

أويـــــــن: حظا طيبا! على ماذا كنت تشكر دوالتي؟

يـــولانـــد: كنت أغسل وجهي ويداي خارج خيمتي في هذا الصباح وكان مارا ومعه منجل فوق كتفيه، فجاء إلي وأشار إلى العشب الطويل ثم

شق ممرا حـول خيـمـتي، ومن الخـيـمـة إلى الطريق... حتى لا يبلل الندى قدمي. ألم يكن هذا لطفا منه؟ ولم يكن عندي كلمات أشكره بهـا... أعـتـقـد أنك على حق؛ أظن أنني لا أسـتطيع العـيش هنا... قـبل أن يأتي إلي دوالتي في هذا الصباح بقليل، كنت أفكر أنني في تلك اللحظة كـان يمكن أن أكـون في بومـبـاي بدلا من بوليبـيج. أتعلم، لقـد فـقـد والدي صوابه مـعي، وأخيـرا حصل لي على عمل في شـركـة الهند الشـرقـيـة... وظيـفـة كتـابيـة من نوع مـا. حدث هذا قبل عشـرة أشـهـر أو أحـد عشـر شـهـرا. وهكذا انطلقت إلى لندن. ولسـوء الحظ أنـا... أنـا... أنا فـقـدت البـاخـرة، بالمعنى الحرفي. ولأنني لم أقدر على مـواجهة والدي، ولأنه لم يكن لدي مـا يكفي من المال لانتظار مـوعـد الابحـار التـالي، فـقـد التحقت بالجيش. وألحـقـوني بوحـــدة المهندسين وأرسلوني إلى دبلن. وأرسلتني دبلن إلى هنا. وبينمـا كنت أغـسل وجهي ويداي في هذا الصباح وأنظر عبر ترا بهـان، كنت أفكر كم أنا محظوظ جدا، جدا لأنني هنا ولست في بومباي.

أويـــــــــن: هل تؤمن بالقدر؟

يـــــــولانــــــد: لانسي يشـبـه والدي تمامـا. كنت أراقـبـه في الليلة الماضـيـة، اجـتـمع بكل مـجـمـوعـة من مجـمـوعـات المهندسين وهـي تقـدم تقـاريرها، وتفـقـد المطابخ الميـدانيـة. وفـحص الخـيـول. وتفحص كل تقرير على حدة، بل تفحص حتى نسـيـج الورق مـعلقـا على جـمـال خط اليـد ونظافـتـه. إنه الموظف الاستـعـمـاري المثـالي: ليس من الواجب أن ينجـز الـعـمل فـقـط، بل يجب أن ينجز بإتقان. لدى والدي هذا الدافع أيضـا، هذا التـفـانـي، وتلك الطاقـة التي لا تعرف التعب. إنه يشق الطرقات... قـافزا من أحد أطراف الإمبراطورية إلى الطرف الآخر. ولا يستطيع الجلوس هادئا لمدة خمس دقائق ... إنه بـذاته يقـول إن أطول وقت جلســه في حياته وهو سـاكن كان تلك الليلة قبل موقعة واترلو حـينمـا كانوا ينتظرون ولينغتون ليتخذ قراره بالهجوم.

أويـــــــــــــــن: كم يبلغ من العمر؟

يـــــــولانــــــد: ولد سنـة ١٧٨٩ في اليـوم نفـسـه الذي سـقط فيه الباستيل. لقـد اعتقدت في أغلب الأحيان أن هذا ربمـا هو مـا أعطى حـيـاته بأكـملهـا طابعهـا. هل تعـتـقـد أن هذا ممكن؟ لقـد ورث عـالما جـديدا في اليوم الذي ولـد فـيـه... منذ

السنة الأولى. كان الزمن القادم يشرف على نهايته. لقد خلع العالم جلده القديم. ولم تعد هناك حدود أمام ممكنات الإنسان. كانت الإمكانات مثيرة وبلا نهاية. وما زال يؤمن بهذا. وسفر الرؤيا على وشك أن يتحقق... وأخشى أنني خيبة أمل كبيرة له. فليس لدي لا طاقته، ولا تماسكه، ولا إيمانه. هل أؤمن بالقدر؟ في اليوم الذي وصلت فيه إلى بوليبيج... كلا، بايلي بيج... في اللحظة التي جئت بي فيها إلى هنا، تملكني إحساس غريب من الصعب وصفه. كان إحساسا خاطفا بالاكتشاف، لا... ليس بالضبط إحساسا بالاكتشاف... كان إحساسا بالتعرف، بالتأكد من شيء عرفت نصفه غريزيا، كما لو أنني خطوت...

أوين: عائدا إلى الزمن القديم؟

يولاند: لا، لا، لم يكن ذلك وعيا باتجاه تغير، بل بتجربة ذات نظام مختلف كليا. لقد انتقلت إلى وعي لا هو بالمقلق ولا هو بالمعرض، بل هو مطمئن ذو إيمان خاص به وذو ثقة. وعندما سمعت جيمي جاك ووالدك يتبادلان القصص حول أبولو وكوشولين وباريس وفيرديا... كما لو أن هذه الشخصيات تعيش

في نهاية الطريق... عندها فكرت... عرفت...
أنني ربما أستطيع العيش هنا (يشعر الآن
بالارتباك) أين شراب البوت... ين؟

أوين: البوتين؟

يولاند: بوتين... بوتين... بوتين. حتى لو أنني تكلمت
اللغة الأيرلندية، سأظل غريبا هنا دوما أليس
كذلك؟ قد أتعلم كلمة السر، لكن لغة القبيلة
سوف تروغ مني دائما، أليس كذلك؟ إن اللب
الخاص سيكون دوما... كتوما أليس كذلك؟

أوين: يمكنك أن تتعلم كيف تحل شيفرتنا.

يظهر هيو في الطابق العلوي وينزل. إنه
يرتدي ملابس الخروج. اليوم هو يقظ وجذل
جسديا وعقليا... واع تقريبا ليقظته وجذله.
وبالفعل، وخلال تقدم المشهد، يتملك المرء
إحساس بأن هيو يحاكي نفسه محاكاة
ساخرة عن قصد.

في اللحظة التي يصل فيها هيو إلى أسفل
الدرجات، يقفز يولاند واقفا على قدميه
باحترام.

هيو: وهو ينزل

مهما تتأخر الشمس في مسارها الطويل
المرهق.

يجيء المساء أخيرا بأغنيته المقدسة.

أنا هاو للشعر أيها الملازم، على آثار أسلوب أوفيد (يخاطب أوين) قطرة من ذاك الشراب تقويني.

يولاند: سيكون عليك أن تترجمه لي.

هيو: دعنا نرَ.

لا يهم كم هو طويل تلبث الشمس في رحلتها الطويلة المرهقة.

ففي النهاية يجيء المساء بأغنيته المقدسة.

يولاند: جميل جدا يا سيدي.

هيو: تنجح اللغة الإنجليزية في جعل هذا الشعر يبدو... عاميا.

أوين: إلى أين أنت ذاهب يا والدي؟

هيو: (باللاتينية) حملة (بالانجليزية) ذات ثلاثة أهداف. الهدف أ: للحصول على شهادة من كاهن أبرشيتنا (مخاطبا يولاند) رجل صاحب مكانة إلا أنه شبه أميّ، ولأنه سيطلب مني كتابتها بنفسي، فكيف يمكنني بكل تواضع أن أنصف نفسي؟ (مخاطبا أوين) من أين جاء هذا (الشراب)؟

أوين: من حانة آنا نامبريج.

هيو: (مخاطبا يولاند) في تلك الحالة توجه إليها بحذر (وبسرعة يرمي رأسه إلى الخلف ويبتلع الشراب جرعة واحدة ويكشر (آآآآخ) ويمد

كأسه لتملأ ثانية). آنا نامبريج تعني آنا الأكاذيب. والهدف ب: لأتحدث إلى بناة المدرسة الجديدة حول نوعية تجهيزات السكن التي سأطلبها هناك. لقد عشت طويلا جدا مثل خياط بأجر يومي.

يولاند: قبل بضع سنوات عشنا قريبين إلى حد ما من شاعر... حسنا، على بعد حوالي ثلاثة أميال.

هيو: ما اسمه؟

يولاند: وردزورث... وليام وردزورث.

هيو: هل حدثك عني؟

يولاند: أنا لم أتحدث معه في الحقيقة أبدا. فقط رأيته من بعيد... يسير في الطريق.

هيو: وردزورث؟... كلا. أخشى أننا لا نألف أدبكم أيها الملازم. نشعر أننا أقرب إلى البحر الأبيض المتوسط الدافئ. إننا نميل إلى تجاهل جزيرتكم.

يولاند: إنني أتعلم التكلم باللغة الأيرلندية يا سيدي.

هيو: جيد.

يولاند: رولاند يعلمني.

هيو: رائع.

يولاند: أعني... أشعر أنني منقطع جدا عن الناس هنا. وكنت أحاول أن أشرح قبل بضع دقائق كم هو رائع هذا المجتمع. أن ألتقي بأناس

مثلك ومثل جيمي جاك يتحدثان فعلا باللغتين الإغريقية واللاتينية. وأسماء أماكنكم... ما هو الاسم الذي صادفناه هذا الصباح؟ تيرمون المشتق من تيرمينوس إله الحدود. إنه... إنه ... إنه أمر مدهش حقا.

هيو: نحب أن نعتقد بأننا باقون حول حقائق نفترض أن لها وجودا خالدا.

يولاند: وأدبكم الغالي... أنت بذاتك شاعر...

هيو: أخشى أنني شاعر في اللاتينية فقط.

يولاند: أفهم أنه أدب مزخرف وبالغ الغنى.

هيو: بالفعل أيها الملازم. لغة غنية. أدب غني. ستجد يا سيدي أن ثقافات معينة تنفق على مفرداتها وتراكيبها طاقات ومفاخرات مكتسبة لا وجود لها إطلاقا في حياتها المادية. اعتقد أنه يمكنك أن تدعونا شعبا روحيا.

أوين: (بلهجة ليست قاسية، بقدر ما هي نتاج الارتباك أمام يولاند)
هلا أوقفت هذا الهراء يا والدي.

هيو: هراء؟ أي هراء؟

أوين: هل تعرف أين يعيش الكاهن؟

هيو: في ليز نا موك، هناك بالقرب من...

أوين: لا، ليس هناك، ليزناموك التي تعني حصن الخنازير، لقد أصبحت (باللفظ الإنجليزي)

حصن الخنازير (يقلب أوين الآن صفحات كتاب الأسماء... صفحة لكل اسم). ولكي تصل (باللفظ الإنجليزي) إلى حصن الخنازير تمر عبر جرين كاسل وفير هيد وستراند هل وغورت ووايتبلنيز. والمدرسة الجديدة ليست في بول ناغ كاوراش... إنها في شيبسروك. هل ستكون قادرا على إيجاد طريقك؟

يصب هيو لنفسه شرابا آخر. ثم:

هيــــــو: أجل، إنها لغة غنية أيها الملازم، مليئة بأساطير الخيال الجامح والأمل وخداع الذات... وتركيب ثري بأيام الغد. إن هذا ردنا على أكواخ الطين ووجبة بطاطا. نهجنا الوحيد للإجابة عما... ما لا يمكن الإفلات منه (مخاطبا أوين) هل تقرضني نصف كراون (جنيه ذهبي)؟ سوف أعيده لك من الاشتراكات التي أجمعها لنشر كتابي الجديد (مخاطبا يولاند) عنوانه «معلم اللغات الخمس أو المعهد الابتدائي للغات الإنجليزية، والإغريقية، والعبرية، واللاتينية، والأيرلندية، معد خصيصا للسيدات والسادة الذين ربما يرغبون في التعلم من دون مساعدة أستاذ».

يــــولانــــد: (يضحك) هذا عنوان رائع!

هيــــــو: الكلام بيننا... هذا أفضل جزء من المشروع.

في الواقع أنا لا أتكلم العبرية حتى. وتلك العبارة الأخيرة... «دون مساعدة أستاذ» تلك التي كُتبت قبل أن تلقى المدرسة الجديدة على كاهلي... هل تعتقد أن علي إسقاطها الآن؟ في النهاية أنت لا تتخلص من البقرة فقط لأنها أنجبت عجلا رائعا، أليس كذلك؟

يولاند: لا بالتأكيد.

هيو: العبارة تبقى. وأنا أقاطع عمل هذه اللحظة. (يمضي إلى الباب ويقف هناك) بالعودة باختصار إلى تلك المسألة الأخرى أيها الملازم، أنا أفهم إحساسك بالاقصاء، بكونك مقطوعا عن حياة هنا، وأنا واثق أنك ستجد السبيل إلينا بمساعدة ولدي. لكن تذكر أن الكلمات هي عبارة عن إشارات ونقائض. إنها ليست خالدة. ويمكن أن يحدث... دعني أستخدم صورة سوف تفهمها... يمكن أن يحدث أن تسجن حضارة ما في محيط لغوي لم يعد يتفق مع مشهد... الحقيقة.

أيها السادة (يغادر).

أوين: حملة ذات ثلاثة أهداف: الأولاد يستهزئون به، فهو يعد بثلاث نقاط دائما لا يتعدى مطلقا نقطتي ألف وباء.

يولاند: إنه رجل حاد الذهن.

أويــــــــــــن: إنه بالغ الغرور.

يـــــولانـــــد: لكنه ذكي جدا.

أويــــــــــــن: ويشـرب الكثيـر من الخـمـر. هل من الذكاء عدم القدرة على التكيف من أجل البقاء على قيد الحياة؟ باقون حول حقائق نفرض أن لها وجودا خالدا... هاه!

يـــــولانـــــد: إنه يعرف ما الذي يحدث.

أويــــــــــــن: ماذا يحدث؟

يـــــولانـــــد: لست متأكدا. ولكن يهمني دوري فيه. إنه نوع من الطرد.

أويــــــــــــن: إننا نصنع خـارطة للبـلاد بمقـيـاس ست بوصات. هل ثمة ما هو شرير في هذا؟

يـــــولانـــــد: ليس في...

أويــــــــــــن: ونحن نأخذ أسماء الأماكن المثقلة بالتشوش و...

يـــــولانـــــد: من المشوش؟ هل الأهالي مشوشون؟

أويــــــــــــن: ... ونحن نوحـد تلك الأسـمـاء بقـدر مـا نستطيع من الدقة والحساسية.

يـــــولانـــــد: ثمة شيء يتآكل.

أويــــــــــــن: لنعد إلى قصة المغامرات ثانية. حسنا! ممتاز! ممتـاز! انظر إلى أين وصلنا. (ينحني على يديه وركبتيه ويغمد إصبعا في الخارطة). لقد وصلنا إلى هذا التقاطع. تعال إلى هنا وانظر إليه يا رجل! انظر إليه! ونحن ندعو

ذلك التقاطع توبير فري. ولماذا ندعوه توبير فري؟ سأقول لك لماذا. توبير تعني بئرا. ولكن ماذا تعني فري؟ إنها فساد برايان... (بتلفظ غاليّ) برايان... تآكل توبير بهرايان. لأنه قبل مائة وخمسين عاما كانت توجد بئر هناك، ليس عند تقاطع الطرق، انتبه... لكان ذلك بسيطا للغاية... ولكن في حقل قريب من تقاطع الطرق. وكان ثمة رجل عجوز يدعى برايان تشوه وجهه بسبب تضخم هائل، ودخلت رأسه فكرة أن الماء في تلك البئر كان مباركا. وظل يذهب كل يوم طيلة سبعة أشهر إلى البئر ويغسل وجهه فيها ولكن تضخم الوجه لم يختفِ، وفي صباح أحد الأيام وجد برايان غريقا في تلك البئر. ومنذ ذلك الحين والتقاطع يدعى توبير فري بالرغم من أن البئر قد جفت منذ زمن بعيد. أعرف القصة لأن جدي قصها علي. ولكن اسأل دوالتي، أو مائير، أو بريجيت وحتى والدي، وحتى مانوس: لماذا يسمى توبير فري، فهل تعتقد أنهم سيعرفون؟ أنا أعلم أنهم لا يعرفون. إذن السؤال الذي أطرحه عليك أيها الملازم هو هذا: ماذا نصنع باسم مثل هذا؟ هل نمحو توبير فري كلها ونسميه... ماذا؟ الصليب؟

تقاطع الطريق؟ نظل مشفقين على رجل ميت منذ زمن طويل، ومنسي منذ زمن طويل، اسمه «تآكل» فلا يمكن لأحد معرفته، صاحب القصة الصغيرة السخيفة التي لا يتذكرها أحد في الأبرشية.

يولاند: سواك أنت.

أوين: لقد هجرت هذا المكان.

يولاند: أنت تتذكرها.

أوين: إنني أسألك ماذا نكتب في سجل الأسماء؟

يولاند: توبير فري.

أوين: مع أن البئر تبعد مائة ياردة عن التقاطع الفعلي... وليس ثمة بئر هناك على أي حال... وماذا تعني فري بحق الجحيم؟

يولاند: توبير فري.

أوين: هل هذا ما تريده؟

يولاند: أجل.

أوين: حسنا، حسنا. وهذا ما ستحصل عليه.

يولاند: وهذا ما تريده أنت يا رولاند أيضا.

(وقفة)

أوين: (ينفجر) جورج! إكراما لله! اسمي ليس رولاند!

يولاند: ماذا!

أوين: (بصوت خافت) اسمي أوين.

(وقفة)

يـــــولانــــــد: ليس رولاند؟

أويـــــــــــن: أوين.

يـــــولانــــــد: تقصد أن تقول...؟

أويـــــــــــن: أوين

يـــــولانــــــد: ولكن قيل لي...

أويـــــــــــن: أ...و...ي...ن.

يـــــولانــــــد: من أين أتى اسم رولاند؟

أويـــــــــــن: لا أعلم.

يـــــولانــــــد: لم يكن اسمك رولاند أبدا؟

أويـــــــــــن: أبدا.

يـــــولانــــــد: آه، يا إلهي!

(وقفة)

يحدق أحدهما بالآخر. ثم تفاجئهما لا معقولية الموقف فجأة، فينفجران ضاحكين. يصب أوين مشروبا لهما، وبينما هما يتجولان مترنحين تتراكب خطوط هيئتهما.

يـــــولانــــــد: لماذا لم تخبرني؟

أويـــــــــــن: هل أبدو مثل شخص اسمه رولاند؟

يـــــولانــــــد: تهج كلمة أوين مرة أخرى.

أويـــــــــــن: لقد بدأت أغرم باسم رولاند.

يـــــولانــــــد: آه يا إلهي!

أويـــــــــــن: أ - و - ي - ن.

يـــــولانــــــد: ماذا سنكتب...

أويـــــــــن: ... في سجل الأسماء؟
يـــــولانـــــد: ر - و - ي - ن؟
أويـــــــــن: أو ما رأيك بـ أولـ...
يـــــولانـــــد: أولـ... ماذا؟
أويـــــــــن: أولاند!

وينفجران مرة أخرى ضاحكين

يدخل مانوس. إنه مبتهج جدا.

مـــــانـــوس: ما مناسبة الاحتفال؟
أويـــــــــن: تتصير!
يـــــولانـــــد: تعميد!
أويـــــــــن: تتصير مائة مرة!
يـــــولانـــــد: تعميد ألف مرة! أهلا وسهلا بك في جنة عدن!
أويـــــــــن: جنة عدن صحيح! نحن نسمي الشيء و... بضربة! يقفز إلى الوجود!
يـــــولانـــــد: كل اسم معادلة تامة مع جذورها.
أويـــــــــن: تطابق تام مع واقعه (مخاطبا مانوس) خذ جرعة.
يـــــولانـــــد: بوتين... جميل.
أويـــــــــن: بوتين آنا الكاذب.
يـــــولانـــــد: بوتين آنا نا مبريج.
أويـــــــــن: رائع يا جورج.
يـــــولانـــــد: ويظل أن أفك شيفرتكم.

أويــــــــــــن: (يقدم مشروبا) مانوس؟

مــــــــانـوس: كلا إذا كان هذا ما يفعله الشراب بكما.

أويــــــــــــن: أنت عـلـى حـق. أثـبـت... أثـبـت... أفـق مـن سكرك... أفق من سكرك.

يـــــولانــــد: أنا صاح مثل قاض يا أوين.

ينتقل مانوس إلى جانب أوين.

مــــــــانـوس: لدي خبر جيد! أين والدي؟

أويــــــــــــن: لقد خرج. ما الخبر الجيد؟

مــــــــانـوس: عرض علي عمل.

أويــــــــــــن: أين؟ (الآن واع بوجـود يولاند) هيـا يا رجل تحدث بالإنجليزية.

مــــــــانـوس: لمصلحة المستعمر؟

أويــــــــــــن: إنه رجل لطيف.

مــــــــانـوس: أليسوا جميعا هكذا على مستوى واحد من نوع ما؟

أويــــــــــــن: رجاءً...

(يهز مانوس كتفيه بلا مبالاة)

لقد عرض عليه عمل.

يـــــولانــــد: أين؟

أويــــــــــــن: حسنا... أخبرنا!

مــــــــانـوس: التـقـيت لتـوي برجلين من آنيس مـيـدهون يريدانني أن أذهب إلى هناك وأقيم مـدرسـة مـتـواضـعـة. إنهـمـا يعـرضـان علي منزلا بلا

مقابل، ومرجا بلا مقابل، وحليبا بلا مقابل، وربع أكر مزروعا بالذرة، واثني عشر ثلما من البطاطس و(يتوقف)

أوين: وماذا أيضا؟

مانوس: ومرتبا سنويا يبلغ اثنين وأربعين جنيها إسترلينيا!

أوين: هذا رائع يا مانوس!

مانوس: إنك تتحدث مع رجل يعرف قدر نفسه.

أوين: أنا مسرور.

يولاند: أين تقع آنيس ميدهون؟

أوين: إنها جزيرة إلى الجنوب من هنا. وهم جاءوا باحثين عنك؟

مانوس: حسنا، أردت أن أقول...

(يلكم أوين مانوس بخفة).

أوين: آآآغا! هذا يتطلب احتفالا حقيقيا.

يولاند: تهاني.

مانوس: شكرا لك.

أوين: أين أنت يا آنا؟

يولاند: متى تبدأ؟

مانوس: يوم الاثنين القادم.

أوين: سنمكث معك عندما نكون هناك (مخاطبا يولاند) كم يستغرق وصولنا إلى آنيس ميدهون؟

يولاند: كم تبعد نحو الجنوب؟
مانوس: حوالي خمسين ميلا.
يولاند: هل نستطيع الذهاب إليها في شهر ديسمبر؟
أوين: سنحتفل بعيد الميلاد معا (يغني) «عيد الميلاد في آنيس ميدهون...»
يولاند: (يرفع كأس) آمل أن تكون سعيدا هناك يا مانوس.
مانوس: شكرا لك.
(يمد يولاند يده. يتناولها مانوس. يتصافحان بحرارة).
أوين: (يرفع كأسه) مانوس.
مانوس: (يرفع كأسه) إلى آنيس ميدهون (يشرب بسرعة ويستدير لكي يغادر).
أوين: انتظر... انتظر... الكؤوس الممتلئة ثانية آتية.
مانوس: يجب أن أذهب.
أوين: هيا يا رجل، هذه مناسبة. إلى أين أنت مندفع؟
مانوس: علي أن أخبر مائير.
(تدخل مائير مع علبة حليبها).
مائير: بماذا عليك أن تخبر مائير؟
أوين: لقد حصل على عمل.
مائير: مانوس؟
أوين: لقد تلقى دعوة لإقامة مدرسة متواضعة في آنيس ميدهون.

مـــــائيـــــر: أين؟

مــــــانـوس: آنيس مـيدهون... الجـزيرة! سـيـدفـعـون لي اثنين وأربعين جنيها سنويا و...

أويـــــــــــن: منزل، ووقـــود، وحليب، وبطاطس، وذرة، وتلاميذ، وأشياء أخرى!

مــــــانـوس: سأبدأ يوم الاثنين.

أويـــــــــــن: ستأخذين جرعة. أليس هذا عظيما؟

مــــــانـوس: أريد أن أتحدث معك حول...

مـــــائيـــــر: هذا حليبك. أحتاج إلى العلبة.

يأخذ مانوس العلبة ويصعد الدرج راكضا.

مــــــانـوس: (وهو يمضي) ما رأيك في العيش في جزيرة؟

أويـــــــــــن: أنت تعرفين جورج أليس كذلك؟

مـــــائيـــــر: إننا نلوح لبعضنا عبر الحقول.

يـــــولانـــــد: عفوا... ماذا تقول؟

أويـــــــــــن: تقول إنكما تلوحان لبعضكما عبر الحقول.

يـــــولانـــــد: نعم صحيح، آه أجل، إننا نفعل، حقا.

مـــــائيـــــر: ماذا يقول؟

أويـــــــــــن: يقول أنكما تلوحان لبعضكما عبر الحقول.

مـــــائيـــــر: هذا صحيح. هذا ما نفعله.

يـــــولانـــــد: ماذا تقول؟

أويـــــــــــن: لا شيء... لا شيء... لا شيء (مـخـاطبـا مائير) ما الأخبار؟

تبـتـعـد مـائيـر وهـي تلمس الـكتب المدرسـيـة

بأطراف أصابع قدميها.

مـــائيـــر: لا شيء. أنتما مشغولان، كلاكما.

أويـــن: نعتقد أننا كذلك.

مـــائيـــر: أسمع أن عازف الكمان أوشيا في الجوار. وهناك حديث عن حفلة رقص غدا ليلا.

أويـــن: أين ستكون الحفلة؟

مـــائيـــر: ربما على جانب الطريق. وربما في توبير فري.

يـــولانـد: توبير فري!

مـــائيـــر: أجل.

يـــولانـد: توبير فري! توبير فري!

مـــائيـــر: هل يعرف ما أقول؟

أويـــن: ولا كلمة.

مـــائيـــر: أخبره إذن.

أويـــن: أخبره بماذا؟

مـــائيـــر: حول حفلة الرقص.

أويـــن: تقول مائير إنه ربما ستكون هناك حفلة رقص ليلة غد.

يـــولانـد: (مخاطبا أوين) صحيح؟ هل يمكنني المجيء؟ (مخاطبا مائير) هل سيعارض أحد إذا ما جئت؟

مـــائيـــر: (مخاطبة أوين) ماذا يقول؟

أويـــن: (مخاطبا يولاند) من سيعارض؟

مـــائيـــر: (مخاطبة أوين) هل أخبرته؟

يـــــولانـــــد: (مخاطبا مائير) عفوا... ماذا قلت؟

أويـــــــــــن: (مخاطبا مائير) يسأل هل بإمكانه الحضور؟

مـــــائيـــــر: (مخاطبة يولاند) هذا الأمر يرجع إليك.

يـــــولانـــــد: (مخاطبا أوين) ماذا تقول؟

أويـــــــــــن: (مخاطبا يولاند) تقول...

يـــــولانـــــد: (مخاطبا مائير) ماذا... ماذا؟

مـــــائيـــــر: (مخاطبة أوين) ثم ماذا؟

يـــــولانـــــد: (مخاطبا أوين)عفوا... ماذا تقول؟

أويـــــــــــن: (مخاطبا يولاند) هل ستذهب؟

يـــــولانـــــد: (مخاطبا مائير) أجل، أجل، إن كان هذا ممكنا.

مـــــائيـــــر: (مخاطبة أوين) ماذا يقول؟

يـــــولانـــــد: (مخاطبا أوين) ماذا تقول؟

أويـــــــــــن: أوه، إكراما لله! (مخاطبا مانوس الذي يهبط الدرج ومعه العلبة الفارغة) عليك أن تتولى هذه المهمة يا مانوس.

مـــــانـــوس: سأرافقكِ إلى البيت، هل أمك في البيت؟ أود أن أتحدث معها.

مـــــائيـــــر: ولم العجلة؟ (مخاطبة أوين) ألم تعرض علي شرابا؟

أويـــــــــــن: هل ستخاطرين وتشربين شراب آنا نا مبريج؟

مـــــائيـــــر: ولم لا؟

يولاند ثملاً. يقفز فجأة واقفا على مقعد

قدمين، ويرفع كأسه ويصرخ:

يـــــولانــــــد: آنا نـا مـبـريج! بايلي بيج! آنيس مـيـدهون! بومـبـاي! توبيـر فـري! جنة عـدن! وبوتين... صحيح يا أوين؟

أويـــــــــــــن: بالتمام والكمال.

يـــــولانــــــد: وهو شراب رائع لعين أيضا. إنني أحبه! رائع لعين لعين لعين!

المشهد الثاني

(الليلة التالية)

يمكن أن تجري أحداث هذا المشهد في غرفة المدرسة. ولكن يفضل تعتيم قدر المستطاع من غرفة المدرسة بواسطة الإضاءة، وأن يمثل المشهد عند مقدمة الخشبة في منطقة مبهمة تبدو خارج المشهد.

ترتفع الموسيقى تدريجيا وتصل الذروة، ثم نسمع عن بعد مائير ويولاند يقتربان... يضحكان ويركضان. يركضان إلى الأمام يدا بيد. لقد غادرا حفلة الرقص للتو.

اجعل صوت الموسيقى يتلاشى في الخلفية البعيدة. ثم بعد برهة يختفي وتحل محله موسيقى جيتار.

مائير ويولاند هما الآن في مقدمة المسرح، ولا يزال كت منهما يمسك بيد الآخر، مثاران بهروبهما المفاجئ الطائش من حفلة الرقص.

مائير: آه، يا إلهي إن تلك القفزة عبر الخندق كادت تودي بحياتي تقريبا.

يولاند: استطعت أن أجاريك بشق النفس.

مائير: انتظر حتى ألتقط أنفاسي.

يـــــولانـــــد: لا بد أننا ظهرنا كما لو أننا كنا مطاردين.
يدركـان الآن أنهـمـا وحـدهـمـا وأيديهـمـا متشابكة... بدايات الشعور بالارتباك. تنفصل اليدان. يبـدأ كل منهـمـا بالابتـعـاد عن الآخـر. وقفة قصيرة.

مـــــائيـــــر: سيتساءل مانوس إلى أين ذهبت؟

يـــــولانـــــد: إنني أتساءل هل لاحظنا أحد ونحن نغادر؟
وقفة قصيرة. متباعدان أكثر بقليل.

مـــــائيـــــر: لا بد أن العشب رطب. قدماي مبللتان.

يـــــولانـــــد: ينبغي أن تكون قدماك رطبتان. العشب مبلل.
وقفـة قـصـيـرة أخـرى. يتـبـاعـدان. مـرة أخـرى بضع خـطوات. يقـفـان الآن وبينهـمـا مـسـافـة طويلة.
(مشيرا إلى نفسه) جورج.
تومئ مائير: أجل... أجل. ثم:

مـــــائيـــــر: الملازم جورج.

يـــــولانـــــد: لا تناديني بهذا اللقب. لا أفكر بنفسي كملازم أبدا.

مـــــائيـــــر: ماذا... ماذا؟

يـــــولانـــــد: عفـوا... مـاذا قلت؟ (يشيـر إلى نفسـه ثانيـة) جورج.
تومئ مـائيـر: أجل... أجل. ثم تـشـيـر إلى نفسها.

مـــــــائيـــــــر: مائير.

يـــــــولانـــــــد: أجل، أعلم أنك مــائيــر. بالطبع أعلم أنك مــائيــر. أعني أنني كنت أراقـبك ليل نـهـار طيلة... ما مضى...

مـــــــائيـــــــر: (باهتمام) ماذا... ماذا؟

يـــــــولانـــــــد: (مشيرا) مائير. (مشيرا) جورج (مشيرا إلى كليهما) مائير وجورج.

تومئ مائير: أجل... أجل... أجل...

أنا... أنا... أنا

مـــــــائيـــــــر: قل أي شـيء مـهـمـا كــان. إنني أحب صـوت حديثك.

يـــــــولانـــــــد: (باهتمام) عفوا... ماذا قلت؟

ينظر حوله شاعرا بإحباط شديد، آملا شيئا من إلهام يمنحه وسيلة تواصل. والآن خطرت له فكرة: يحــاول أن يرفع صـــوته ويلفظ بطريقة متقطعة، مع وضع تشديد غير معقول وعلى نحو متساو على كل كلمة.

كل... صـــبـــاح... أراك... تطعـــمين... الدجـاجـات... السـمـراوات... وتقـدمين... العلف... للعجل... الأسود... (يشعر بخيبة هذا الأسلوب) أوه يا إلهي.

تبتسم مائير. تقترب منه. ستحاول التواصل معه باللغة اللاتينية.

مــــــــائيـــــــر: أنت قائد مائة في الجيش البريطاني.

يـــــــولانـــــــد: أجل... أجل؟ تابعي... تابعي... قولي أي شيء مهما كان... أنني أحب صوت حديثك.

مــــــــائيـــــــر: وأنت في المعسكر الموجود في الحقل.

(تشعر بفشل هذا الأسلوب)... أوه، يا إلهي.

(يبتسم يولاند. يتحرك نحوها. الآن تقول كلماتها الإنجليزية).

جورج... ماء

«ماء»؟ ماء! آه نعم... ماء... ماء... جيد

يـــــــولانـــــــد: جدا... ماء... جيد... جيد.

نار.

مــــــــائيـــــــر: نار... صح... رائع... نار، نار، نار...

يـــــــولانـــــــد: رائع... رائع!

آه... آه...

مــــــــائيـــــــر: ماذا؟ تابعي

يـــــــولانـــــــد: تراب.

مــــــــائيـــــــر: «تراب»؟

يـــــــولانـــــــد: تراب. تراب.

مــــــــائيـــــــر: يولاند ما زال لا يفهم ما تعنيه.

تنحني مائير نحو الأرض وتلتقط حفنة من التراب، وتمد راحة كفها مبسوطة.

تراب.

يولاند: تراب! بالطبع... تراب! تراب. تراب. يا إلهي العظيم، مائير إن لغتك الإنجليزية ممتازة.

مائير: جورج...

يولاند: هذا جميل... أوه هذا جميل حقا.

مائير: جورج...

يولاند: قوليها ثانية... قوليها ثانية...

مائير: صه (ترفع يدها مشيرة له أن يصمت... إنها تحاول أن تتذكر سطرها الوحيد بالإنجليزية. الآن تتذكره، وتقول السطر كما لو أن الإنجليزية لغتها... بسهولة وانسياب، وبأسلوب حواري:
جورج، نحن في نورفولك نلعب دائرين حول سارية عيد مايو.

يولاند: يا إلهي الطيب، هل تفعلون هذا؟ ذلك مسقط رأس أمي... نورفولك. في الواقع نورويتش ليس بالضبط بلدة نورويتش، ولكن قرية صغيرة تدعى ليتل والسنجهام قريبة منها. ولكن في قريتنا بالذات وينفارثنج، لدينا سارية مايو أيضا، وفي أول مايو من كل عام...
يتوقف فجأة، يدرك الآن فقط. يحدق بها. وهي من جانبها تسيء فهم جيشانه.

مـــــائيـــــر: (مخاطبة نفسها) بحق الله، لم تكن عمتي ماري لتعلمني شيئا بذيئا، أليس كذلك؟
وقفة قصيرة.
يمد يولاند يده إلى مائير. تستدير مبتورة عنه وتتحرك ببطء عابرة خشبة المسرح.

يـــــولانـــــد: مائير.
ما زالت تتحرك مبتعدة.
مائير شاتاش.
ما زالت تتحرك مبتعدة.
بن ناهابهان؟ (يقول الاسم بصوت خافت، تقريبا لنفسه، ببالغ التردد، كما لو أنه يبحث عن صوت يمكن لها أن تستجيب له. يحاول مرة ثانية) درويم دوبيه؟
تتوقف مائير. إنها تصغي. يتشجع يولاند.
بول ناغ كاوراش... ليز ماول
تستدير مائير نحوه
ليز نانغال

مـــــائيـــــر: ليز نانغال
(أحدهما يواجه الآخر الآن، ويبدآن بالتحرك أحدهما نحو الآخر من دون إدراك تقريبا).
كارايج أن نويل. كاريج آن بهويل.

يـــــولانـــــد: كاريج نا ري. لوتش نانيان.

مـــــائيـــــر: لوتش آن يوبهير. ماشاير بويده.

يـــــولانـــــد: ما شاير مور. كنوك نا مونا

مـــــائيـــــر: كنوك نا نغابهار

يـــــولانـــــد: مولاتش

مـــــائيـــــر: بورت

يـــــولانـــــد: تور

مـــــائيـــــر: لاج

تمد يديها إلى يولاند. يمسك بهما. والآن يحادث كل واحد منهما نفسه.

يـــــولانـــــد: أتمنى على الله لو كنت تستطيعين فهمي.

مـــــائيـــــر: يدان ناعمتان؛ إنهما يدا سيد مهذب.

يـــــولانـــــد: لأنك لو استطعت فهمي لقلت لك كيف أني أمضي أيامي وأنا أفكر فيك أو أحدق في منزلك هناك الأعلى آملا أن تظهري ولو للحظة.

مـــــائيـــــر: في كل مساء تمشي وحدك على طريق ترا بهان، وكل صباح تغتسل أمام خيمتك.

يـــــولانـــــد: لأخبرتك كم أنت جميلة، يا ذات الشعر الأجعد يا مائير. ولوددت تائقا أخبارك كم أنت جميلة.

مـــــائيـــــر: ذراعاك طويلان ونحيلان، والبشرة على كتفيك ناصعة البياض.

يـــــولانـــــد: ولكنت قلت لك...

مـــــائيـــــر: لا تتوقف... إنني أعرف ما تقول.

يــــــولانـــــــد: ولكنت قلت لك كم أود أن أكـــون هنـا، أن أعيش هنا... دائما... معك... دائما، دائما.

مــــــائيـــــــر: «دائما»؟ ما هذه الكلمة... «دائما»؟

يــــــولانـــــــد: أجل، أجل، دائما.

مــــــائيـــــــر: أنت ترتجف.

يــــــولانـــــــد: نعم، أنا أرتجف بسببك.

مــــــائيـــــــر: أنا أرتجف أيضا (تمسك وجهه بيدها).

يــــــولانـــــــد: لقد قررت أن...

مــــــائيـــــــر: صه.

يــــــولانـــــــد: لن أغادر هذا المكان...

مــــــائيـــــــر: صه... أصغ إلي. أنا أريدك أيضا أيها الجندي.

يــــــولانـــــــد: لا تتوقفي... إنني أعرف ما تقولين.

مــــــائيـــــــر: إنني أرغب في العيش معك... في أي مكان... في أي مكان مهما كان... دائما... دائما.

يــــــولانـــــــد: «دائما»؟ ما هذه الكلمة... «دائما»؟

مــــــائيـــــــر: خذني معك بعيدا ياجورج.

(وقفة قصيرة. وفجأة يقبلان أحدهما الآخر).

تدخل سارة. تراهما. تقف مشدوهة وهي تحدق بهما. يتحرك فمها، ثم كأنها تحدث نفسها).

ســـــــــــــــارة: مانوس... مانوس!

تفر سارة.

تعلو الموسيقى تدريجيا حتى الذروة.

الفصل الثالث

(مساء اليوم التالي)

الليلة التالية. الجو ممطر.

سارة وأوين وحدهما في الفصل. سارة تبدو أكثر شرودا من ذي قبل، وهي تجلس بلا حركة على كرسي أقدام، وكتاب مفتوح على ركبتها. إنها تتظاهر بالقراءة، لكن عينيها لاتنفكان عن التطلع باتجاه الغرفة في الطابق العلوي. أوين يعمل على الأرض كما كان من قبل، تحيط به مراجعه، والخريطة، وسجل الأسماء... إلخ. لكنه يفتقد التركيز والاهتمام، ومثل سارة يختلس النظر إلى الغرفة في الطابق العلوي.

بعد بضع ثوان يظهر مانوس ويهبط الدرج حاملا حقيبة ورقية ضخمة تحتوي على ملابسه. حركاته تنبئ عن تصميم وعجلة. يتنقل في أرجاء الفصل يلتقط كتبا، ويتفحص كل عنوان بعناية، ثم يختار حوالي ستة من هذه الكتب ويضعها في حقيبته. وفي أثناء اختياره لهذه الكتب).

أوين: هل تعرف فرن الكلس القديم الواقع خلف حانة كون كوني تم، المكان الذي نسميه المورين؟ هل تعلم لماذا سمّي المورين؟

(مانوس لا يجيب).

لقد اكتشفت للتو. إنه فساد القديس مورانوس. يبدو أن القديس مورانوس كان له دير في تلك الأنحاء في بداية القرن السابع. ومع مرور السنوات تم اختزال الاسم إلى مورين. اسم لا جاذبية له أبدا، أليس كذلك؟ أعتقد أن علينا اللجوء إلى الأصل وهو القديس مورانوس. ما رأيك؟ الأصل هو القديس مورانوس. ألا تعتقد أنه ينبغي علينا العودة إلى ذلك الاسم؟

(لا استجابة. يبدأ أوين بكتابة الاسم في سجل الأسماء. مانوس ينقب الآن حوله بين الأدوات المنسية عن قطعة حبل. يجد قطعة. يبدأ ربط فتحة الحقيبة المحشوة الواهية، وتنفجر الحقيبة، وتتبعثر الأشياء على أرض الغرفة).

مانوس: أيتها الجحيم اللعينة، اللعينة، اللعينة!

(ينقطع صوته من القنوط، إنه على وشك البكاء. يقفز أوين واقفا على قدميه).

أوين: انتظر، لدي حقيبة في الطابق العلوي.

(يركض إلى الطابق العلوي. تنتظر سارة حتى يغيب أوين).

سارة: مانوس... مانوس، أنا...

(يسمع مانوس سارة لكنه لا يستجيب. يجمع أشياءه. يعود أوين إلى الظهور ثانية مع الحقيبة التي كانت معه لدى وصوله).

أوين: خذ هذه ... لا حاجة لي بها على كل حال. ويفترض أنها ضد المطر.

(ينقل مانوس أشياءه القليلة اليها. يعود أوين إلى مهمته اكتمل الآن وضع الأشياء في الحقيبة).

مانوس: ستبقى هنا لفترة؟ لأسبوع أو أسبوعين في كل الأحوال؟

أوين: أجل.

مانوس: أنت لست مغادرا مع الجيش؟

أوين: إنني لم أقرر بعد. لماذا؟

مانوس: سيرجع رجال آنيس ميدهون ليروا لماذا لم أذهب إليهم. قل لهم ... قل لهم إنني سأكتب إليهم بأسرع وقت ممكن. قل لهم إنني لم أزل أريد العمل، لكن ربما تنقضي ثلاثة أو أربعة شهور قبل أن أكون حرا للذهاب.

أوين: إنك تتصرف بغباء فظيع يا مانوس.

مانوس: هلا قمت بهذا لأجلي؟

أوين: اختفِ الآن وسيظن لانسي أنك متورط بشكل من الأشكال.

مانوس: هلا قمت بهذا لأجلي؟

أويـــــــــــن: انتظر ولو يومين. أنت تعـرف جـورج ... إنه رومـانسـي لعين ... ربما كـان قـد ذهب إلى إحدى تلك الجـزر وسيظهر فجـأة مرة أخرى غدا صباحا. أو ربما يجده فريق البحث ثملا هذا المساء مستلقيا في مكان في التلال الرملية. لقد رأيته أنت يشرب ذلك البوتين وهو لا يعرف كيف يتعامل مع هذا الشراب. هل كان ثملا ليلة أمس في حفلة الرقص؟

مـــــــانوس: حملتُ حجرا في يدي حينما خرجت باحثا عنه ... كنت سأقتله. الأستاذ الأعرج تحول إلى العنف.

أويـــــــــــن: هل رآك أحد؟

مـــــــانوس: (مرة أخرى على وشك البكاء) لكنني حينما رأيته يقف هناك على جانب الطريق ... مبتسما ... ووجهها مدفون في كتفه ... لم أستطع حتى الاقتراب منهما ... فقط صرخت بمجرد شيء غبي ... شيء مثل «أنت ابن... يا يولاند»، حتى أني لا أعلم إن قلتها بالإنجليزية... لأنه ظل يقول «ماذا ... ماذا تقول؟» هذه هي الإشارة الخطأ في اللغة الخطأ.

أويـــــــــــن: ولم تره ثانية؟

مـــــــانوس: ماذا تقول؟

أوين: قبل أن تغادر أخبر لانسي بهذا ... فقط لتبرئ نفسك.

مانوس: ماذا لدي أقوله للانسي؟ ستعطي تلك الرسالة الشفهية لرجال الجزيرة؟

أوين: أنا أحذرك: اهرب الآن وستنتهي بأن تكون ...

مانوس: (مخاطبا سارة) هلا أعطيت تلك الرسالة لرجال آنيس ميدهون؟

سارة: سأفعل.

يلتقط مانوس كيسا قديما ويلقيه بين كتفيه.

أوين: هل لديك أدنى فكرة عن المكان الذي أنت ذاهب إليه؟

مانوس: ربما إلى ميو. أذكر أن أمي قالت إن لها أبناء عمومة في مكان ما بعيد في شبه جزيرة إيريس.

(يلتقط حقيبته) قل لوالدي إنني أخذت فقط كتب فيرجيل وقيصر وآيسخيلوس لأنها كتبي على أي حال ... اشتريتها لقاء النقود التي حصلت عليها من ذاك الحمَل الذي ربيته. هل تتذكر ذلك الحمل الوديع؟ وقل له إن نورا دان لم تُعد القاموس أبدا. وأنها لا تزال مدينة له باثنين وستة عن قراءة الربع الأخير من السنة ... إنه ينسى هذه الأشياء دوما.

أوين: نعم.

مـــــــانـوس: وقـمـيـصـه الجـيـد مكوي ومـعلق في الخـزانة، وجـواربه النظـيـفـة في صـندوق الزيـدة تحت السرير.

أويـــــــــــن: سأفعل.

مـــــــانـوس: وقل له إنني سأكتب له.

أويـــــــــــن: ولو سألت مائير إلى أين ذهبت؟

مـــــــانـوس: سيحتاج الآن إلى نصف كمية الحليب، أليس كـذلك؟ بل أقل من النصف ... فـهـو يتناول الشـاي أسـود عـادة من دون حليب. (وقـفـه قصيـرة) وحينما يعود ليلا ... سوف تسمعه لأنه يصدر ضوضاء كثيرة ... أنا عادة أنزل وأسـاعـده على الصـعـود. ذاك السُّلَّم خطيـر لأنه بلا درابزين. وربما جئت ببيع نيد فرانك قبل أن تغادر ليضع نوعا ما من الدرابزين. (وقفـة قصيـرة) وإذا كنت تستطيع أن تخبـز فإنه شغوف بخبز الصودا.

أويـــــــــــن: يمكنني أن أمنحك نقـودا. أنا ثري. هل تعلم كم يدفعون لي؟ يدفعون شلنين في اليوم ... لقاء هذا ... هذا ... هذا.

يرفض مانوس العرض برفع يده مودعا.

إلى اللقاء يا مانوس.

(يتصافح مانوس وأوين).

(ثم يلتقط مانوس حقيبته بهمة ونشاط

ويتجه نحو الباب. يتوقف على بعد خطوات وراء سارة ثم يستدير ويرجع إليها. يخاطبها كما فعل في الفصل الأول، ولكن الآن بلا حرارة أو اهتمام بها).

مانوس: ما اسمك؟ (وقفة قصيرة) هيا. ما اسمك؟

سارة: اسمي سارة.

مانوس: فقط سارة؟ سارة ماذا؟ (وقفة قصيرة) هيا؟

سارة: سارة جوني سالي.

مانوس: وأين تعيشين؟ هيا!

سارة: أعيش في بن نا هابهان (هي الآن تبكي بصمت).

مانوس: جيد جدا يا سارة جوني سالي. لا شيء يمكن أن يوقفك الآن ... لا شيء في العالم بأسره. (وقفة قصيرة. ينظر إليها وهي جالسة) لا بأس ... لا بأس ... أنت لم تفعلي ما يؤذي ... أنت لم تفعلي ما يؤذي أبدا. (ينحني فوقها ويقبل قمة رأسها ... كما لو أنه يغفر لها ... ثم يخطو خطوات سريعة نحو الباب ويخرج).

أوين: حظا سعيدا يا مانوس!

سارة: (بهدوء) أنا آسفة... أنا آسفة... أنا آسفة جدا يا مانوس...

يحاول أوين أن يواصل ما يقوم به، لكنه لا يستطيع التركيز. يبدأ طيَّ الخريطة. وخلال ذلك.

أوين: هل ثمة درس هذا المساء؟
تومئ سارة: نعم.
أعتقد أن والدي يعلم. أين هو على أي حال؟
تشير سارة.
أين؟
(تقلد سارة ايماء هزّ سرير طفل).
أنا لا أفهم ... أين؟
تكرر سارة إيماءها وتمسح دموعها. أوين لا يزال حائرا، لا يهم، ربما يأتي.
ربما يأتي بريجيت ودوالتي وهما يضعان الأكياس فوق رأسيهما اتقاء للمطر. إنهما يدركان أنهما أكثر ضجيجا، وأكثر حماسا، وأكثر ثرثرة من قبل ... طافحين بالإثارة واللغط والحيوية.

دوالتي: إنكم تفتقرون إلى الدعابة يا أولاد! يا إلهي إنكم تفتقرون إلى الدعابة! خمسون جنديا زيادة وصلوا قبل ساعة!

بريجيت: وهم منتشرون في خط كبير طويل من بيت شون نيلز حتى لاج، يتحركون قدما عبر الحقول نحو كنوك نا نجابهار!

دوالتي: ينخسون كل بوصة من الأرض أمامهم بحرابهم ويشتتون الحيوانات والدجاج في كل الاتجاهات.

بريجيت: ويقلبون كل شيء يلقونه أمامهم ... الأسيجة، وقنوات الري، وأكوام القش، وأكوام العشب!

دوالتي: وصلوا إلى حقل ذرة بارني بيتي ... وعاثوا والله فيه كله، كما لو أنه كان من نبات الخلنج.

بريجيت: ولم تترك فيه نبتة واحدة واقفة!

دوالتي: وكان بارني بيتي قد نهض لتوه من النوم، وأخذ يركض خلفهم وهو لا يزال بملابسه الداخلية «أنتم أيها الحيوانات» اخرجوا من حقلي، أنتم أيها الحيوانات، أنتم!».

بريجيت: هي أول مرة يركض فيها في حياته.

دوالتي: لقد كان هذا الوضيع أكثر كسلا من أن يحصد ذرته حينما كان الطقس جيدا.

تبدأ سارة في إخراج المقاعد.

بريجيت: أخبرهم عن هيوي الكبير.

دوالتي: يا إلهي، لو كنت قد رأيت فلاحك العجوز يا أوين.

بريجيت: كانوا جميعا داخل حانة آنانا مبريج. كامل المجموعة. القادمة من السهرة على الميت...

دوالتي: وها هم يسمعون الشغب وكلهم يخرج إلى الشارع...

بريجيت: وأبوك في المقدمة، والطفل العبقري خلفه حافي القدمين!

دوالتي: ويرى والدك الجيش منتشرا في أرجاء الريف...

بـريـجـــــيـت: أوه، يا إلهي!

دوالـــــتـــي: ويبدأ، قسما بالله، بالزئير عليهم!

بـريـجـــــيـت: أيها القوط، أيها الهون! أيها الفاندال(*).

دوالـــــتـــي: أيها الجهلة! الأغبياء!، القرويون، الأجلاف!

بـريـجـــــيـت: وجيمي جاك الصغير يقفز صاعدا هابطا ويصرخ «ثيرموبيلي! ثيرموبيلي!(**)».

دوالـــــتـــي: أنتم لم تشاهدوا دعابة مثلها في حياتكم أبدا، يا أولاد. تعالي اخرجي معي يا سارة وستشاهدينها كاملة.

بـريـجـــــيـت: هيوي الكبير ليس في وضع يمكنه من إعطاء دروس. هل مانوس موجود؟

أويـــــــن: مانوس ذهب.

بـريـجـــــيـت: أين ذهب؟

أويـــــــن: غادر ... رحل.

دوالـــــتـــي: إلى أين؟

أويـــــــن: إنه لا يدري، ربما إلى مييو.

دوالـــــتـــي: ماذا يوجد في مييو؟

أويـــــــن: (مخاطبا بريجيت) هل رأيت جورج ومائير شاتاش يغادران حفلة الرقص ليلة أمس؟

(*) أسماء القبائل الشمالية التي اجتاحت أراضي الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي، ووضعت حدا لوجود روما الإمبراطوري (المراجع).

(**) ثيرموبيلي: ممر جبلي تصدى فيه ٣٠٠ مقاتل إسبارطي للجيش الفارسي الذي غزا الأراضي اليونانية بجموع هائلة في عام ٤٨٠ق.م (المراجع).

بريجيت: نعم رأيناهما، أليس كذلك يا دوالتي؟

أوين: هل رأيتما مانوس يتبعهما إلى الخارج؟

بريجيت: لم أره يخرج، لكنني رأيته يدخل وحده في ما بعد.

أوين: هل عاد جورج ومائير إلى حفلة الرقص؟

بريجيت: لا

أوين: هل رأيتهما ثانية؟

بريجيت: تركها لدى البيت. لقد مررنا بهما وهما يصعدان الطريق الخلفي... أليس كذلك يا دوالتي؟

أوين: ومكث مانوس حتى نهاية حفلة الرقص؟

دوالتي: نحن لا نعرف شيئا. لماذا تسألنا؟

أوين: لأن لانسي سوف يسألني حين يسمع أن مانوس قد رحل (يعود إلى بريجيت) هكذا. إذن ذهب جورج إلى المنزل؟ من الطريق الخلفي؟ هل رأيته هناك؟

بريجيت: اتركني وشأني يا أوين. لا أعرف شيئا عن يولاند. إذا أردت أن تعرف شيئا عنه فاسأل التوأم دونالي.
(صمت يتحرك دوالتي نحو النافذة).
(مخاطبة سارة) إنه عازف كمان قدير أوشيا هذا، أليس كذلك؟ لقد قال لأخينا شيموس أنه سيعود لإحياء عشية

عيد الهولويين(*).

(يمضي أوين إلى دوالتي الذي ينظر بحزم خارج النافذة).

أويـــن: ما هذا الأمر بشأن الأخوين دونالي؟ (وقفة قصيرة) هل كانا في الجوار ليلة أمس؟

دوالـتـي: أنا لم أرهما حتى لو كانا في الجوار (يبدأ بالصفير خلال أسنانه)

أويـــن: جورج صديق لي.

دوالـتـي: إذن.

أويـــن: أريد أن أعرف ما حلَّ به.

دوالـتـي: لا أستطيع إخبارك.

أويـــن: ما علاقة الأخوين دونالي بهذا؟ (وقفة قصيرة) دوالتي!

دوالـتـي: أنا لا أعرف شيئا يا أوين ... لا شيء مطلقا ... أقسم بالله. كل ما أعرفه هو التالي: وأنا في طريقي إلى حفلة الرقص رأيت قاربهما راسيا في الميناء. ولم يكن هناك وأنا في طريقي إلى البيت بعد أن تركت بريجيت. وهذا كل ما أعرفه، والله شاهد على ما أقول إن المرات الست التي التقيته فيها لم أفقه كلمة واحدة مما قاله لي، لكنه بدا على درجة من الاستقامة، من نوع ...

(*) عشية ٣١ أكتوبر يحتفل المسيحيون بعيد يدعى عيد القديسين، يرتدي فيه الناس ملابس تنكرية، ويسهرون في الخلاء، ويقيمون الحفلات في البيوت (المراجع).

(باهتمام مفاجئ شديد بالمشهد في الخارج).

يا إلـهي، إنهـم يزحفـون فـي كـل الأرجـاء!

يا إلهي، ثمـة الملايين منهم! يا إلـهي، إنهم يُسوّون كل شيء بالأرض!

يبتعد أوين.

تدخل مائير. إنها حاسرة الرأس وبلّلها المطر وشعرها في حالة فوضى. تحاول أن تبدو طبيعية، لكنها تشعر بضيق شديد، وهي على حافة الذهول. إنها تحمل إناء الحليب.

مـــائيـــر: أقسم بالله، لا بد أنني سأفقد عقلي. وأنا في منتصف الطريق إلى هنا كنت أفكر مع نفسي وأقول أليس هذا الإناء خفيفا؟ فأنظر في داخله لأجده فارغا.

أويـــن: ليس ثمة مشكلة.

مـــائيـــر: كيف ستتدبر أمورك الليلة؟

أويـــن: لدينا ما يكفينا.

مـــائيـــر: هل أنت متأكد؟

أويـــن: لدينا الكثير، شكرا.

مـــائيـــر: لن تستغرق العودة وإحضار بعض الحليب مني وقتا يذكر على الإطلاق.

أويـــن: صدقا يا مائير، لدينا الكثير.

مـــائيـــر: من الأفضل بالتأكيد أن تحصل أنت على الحليب وليس ذاك العجل الأسود الذي...

ذاك... (تنظر حولها) هل سمعت أي شيء؟

أويـــــــــن: لا شيء.

مـــــائيـــــر: ماذا يقول لانسي؟

أويـــــــــن: لم أره منذ هذا الصباح.

مـــــائيـــــر: بماذا يفكر؟

أويـــــــــن: لم نتحدث حقيقة. كان هنا بعض ثوان فقط.

مـــــائيـــــر: تركني لدى البيت يا أوين. وآخر شيء قاله لي، وقد حاول الحديث باللغة الأيرلندية قال «سأراك أمس»، وقصد أن يقول «سأراك غدا» وضحكت كثيرا جدا حتى تظاهر بالغضب وقال «عمودمايو! «عمودمايو»! لأنني أخطأت في تلفظ هذه الكلمة. وابتعد ضاحكا، ضاحكا يا أوين! هل تعتقد أنه بخير؟ ماذا تعتقد أنت؟

أويـــــــــن: أنا واثق أنه سيظهر يا مائير.

مـــــائيـــــر: إنه من مكان صغير يدعى وينفارثج (وتقع فجأة على يديها وركبتيها أرضا، حيث وضع أوين خارطته قبل بضع دقائق، وتتبع بإصبعها خطا على الخريطة) تعال إلى هنا لترى. انظر. هذه وينفارثج. وهاتان قريتان أخريان صغيرتان قربها، إحداهما تدعى بارتون بينديش... إنها هناك، والأخرى تدعى ساكسنجهام نيذرجيت ... في الجوار. وهناك

ليتيل وولسنجهام ... تلك هي قرية أمه. أليست هذه أسماء غريبة؟ بالتأكيد هذه الأسماء لا توحي لي بأي معنى على الإطلاق. وقرية وينفارثنج تقع على مقربة من مدينة كبيرة تدعى نورويتش. وتقع نورويتش في مقاطعة تدعى نورفولك. وتقع نورفولك شرقي إنجلترا. لقد رسم لي خارطة على الشاطئ الرطب وكتب الأسماء عليها. إنني أحفظها كلها في رأسي الآن: وينفارثنج ... بارتون بينديش ... ساكسنجهام ... نيذرجيت ليتيل وولسنجهام ... نورويتش ... نوروفولك. هذه أصوات غريبة أليس كذلك؟ لكنها أصوات جميلة، مثل جيمي جاك وهو يتلو أبيات شاعرة هومر. (تنهض واقفة على قدميها وتتطلع حولها هي الآن هادئة تقريبا) (مخاطبة سارة) كنت تبدين جميلة ليلة أمس يا سارة. هل كان ذاك الفستان هو الذي حصلت عليه من بوسطن؟ اللون الأخضر يناسبك (مخاطبة أوين) شيء سيئ جدا أصابه يا أوين. أنا أعرف. لم يكن ليغادر دون أن يخبرني أين هو يا أوين؟ أنت صديقة، أين هو؟ (مرة أخرى تتطلع إلى أرجاء الغرفة، ثم تجلس على كرسي قدمين) ليلة أمس لم أحظ

بفرصة إعداد واجبي في الجغرافيا. سيغضب أستاذي مني. (تنهض ثانية) أظن أنني سأذهب إلى البيت الآن. ينبغي غسل الصغار ووضعهم في أسرتهمليناموا، كما عليَّ إطعام ذلك العجل الأسود... يداي خشنتان كثيرا. إنهما لا تزالان متقرحتان من القش. أنا خجولة منهما. أدعو الله ألا يكون في بروكلين قش ينبغي ادخاره (تقف لدى الباب) هل سمعت؟ مات طفل نيللي ذات الشعر الأحمر في منتصف الليل، علي أن أذهب للسهر عند جثته. لم يعش الطفل طويلا، أليس كذلك؟

(تغادر مائير. صمت. ثم).

أوين: لا أعتقد أنه سيكون ثمة دروس. ربما ينبغي عليكم أن...

يبدأ أوين التقاط كتبه. يذهب إليه دوالتي.

دوالتي: هل رحل مانوس منذ فترة طويلة؟

أوين: منذ نصف ساعة.

دوالتي: إنه غبي أحمق

أوين: قلت له هذا.

دوالتي: هل يعرفون أنه رحل؟

أوين: من؟

دوالتي: الجيش.

أويـــــــــن: ليس بعد.

دوالـــتـــي: سيبحثون عنه مثل كلاب الصيد اللعينة. أحمق في غاية الحمق، يعرج على طول الشاطئ. سيدركونه قبل حلول الظلام، يا إلهي.

يعود دوالتي إلى النافذة ... يدخل لانسي ... الآن هو الضابط الآمر.

أويـــــــــن: هل ثمة أخبار؟ أي كلمة؟

(يتحرك لانسي نحو وسط الغرفة وهو ينظر حوله).

لانـــســـي: فهمت أنه كان هنا درس، أين الآخرون؟

أويـــــــــن: كان من المفترض أن يكون ثمة درس لكن والدي...

لانـــســـي: هذا يكفي. سوف أتحدث إليهم وسيكون من واجبهم نقل ما سأقوله إلى كل أسرة في هذه المنطقة.

يشير لانسي إلى أوين أن يترجم. يتردد أوين محاولا تحديد مدى التغير في سلوك لانسي وأسلوبه.

أنا في عجلة من أمري يا أودونيل.

أويـــــــــن: لدى الكابتن إعلان يقوله.

لانـــســـي: الملازم يولاند مفقود. إننا نبحث عنه. فإذا لم نجده، أو إذا لم نتلق أي معلومات عن مكان

وجوده، فإنني سأتبع الخطوات التالية (يشير إلى أوين كي يترجم).

أويــــــــــن: إنهم يبحثون عن جورج. فإذا لم يجدوه ...

لانـــــــسي: بعد مرور أربع وعشرين ساعة من الآن سنطلق النار على كل المواشي في بالي بيج.
(يحدق أوين في لانسي).
فورا.

أويــــــــــن: في مثل هذا الوقت من يوم غدٍ سيقتلون كل حيوان في بايلي بيج، إلا إذا تم إخبارهم عن مكان جورج.

لانـــــــسي: وإذا لم نحصل على نتائج، فإننا بعد ثمان وأربعين ساعة من الآن سوف نبدأ سلسلة من طرد السكان وتدمير كل مسكن في المناطق المختارة التالية...

أويــــــــــن: أنتم لن ...!

لانـــــــسي: قم بعملك. ترجم.

أويــــــــــن: وإذا لم يجدوه في غضون يومين فسوف يبدأون بإخلاء وتدمير كل منزل ابتداء من هذه البلدات
(يقرأ لانسي من قائمته).

لانـــــــسي: سوينفورت.

أويــــــــــن: ليز ناموك.

لانـــــــسي: بيرنفوت.

أويـــــــــــن: بن نا هابهان.

لانـــــســـــي: درومدوف.

أويـــــــــــن: درويم دوبيه.

لانـــــســـــي: وايت بلينز.

أويـــــــــــن: ماشاير بان.

لانـــــســـــي: كنغر هيد.

أويـــــــــــن: كنوك ناري.

لانـــــســـــي: وإذا لم يتم العثور على الملازم حينها فسوف نستمر حتى نحقق تطهيرا كاملا لكل هذه المنطقة.

أويـــــــــــن: وإذا لم يحصلوا على يولاند عندئذٍ، فسوف ينهبون الأبرشية كلها.

لانـــــســـــي: أنا واثق من أنهم يعلمون تماما ما يجب أن يفعلوه (مشيرا إلى بريجيت) أنا أعرفك. وأعرف أين تعيشين. (مشيرا إلى سارة) من أنت؟ اسمك؟

(يفتح فم سارة ويغلق، يفتح ويغلق. ويضحي وجهها ملتوي القسمات تألما).

ما اسمك؟

(مرة أخرى تحاول سارة بانفعال).

أوين: هيا يا سارة بإمكانك أن تخبريه.

لكن سارة لا تستطيع. وهي تعرف أنها لا تستطيع. تغلق فمها، تطأطئ رأسها نحو الأسفل.

أويـــــــــــن: اسمها سارة جوني سالي.

لانـــــســــي: أين تسكن؟

أويـــــــــــن: بن نا هابهان.

لانـــــســــي: أين؟

أويـــــــــــن: بيرنفوت.

لانـــــســــي: أريد أن أتحدث مع أخيك ـ هل هو هنا؟

أويـــــــــــن: هو غير موجود الآن.

لانـــــســــي: أين هو؟

أويـــــــــــن: في سهرة وفاة.

لانـــــســــي: سهرة من؟

دوالتي الذي كان ينظر من خلال النافذة في أثناء إعلانات لانسي يتكلم الآن ... وبهدوء وبصورة عرضية تقريبا.

دوالـــــتــي: أخبره أن معسكره بالكامل تشتعل فيه النيران.

لانـــــســــي: ما اسمك؟ (مخاطبا أوين) من ذلك الأخرق؟

أويـــــــــــن: دوالتي دان دوالتي.

لانـــــســــي: أين يسكن؟

أويـــــــــــن: تولاتش الين.

لانـــــســــي: ماذا نسمي هذا المكان؟

أويـــــــــــن: فير هيل. يقول إن معسكرك كله تشتعل فيه النيران.

(يندفع لانسي إلى النافذة وينظر إلى الخارج ثم ينعطف إلى دوالتي).

لانـــــســـــي: سوف أتذكرك يا سيد دوالتي (مخاطبا أوين)
أنت تتحمل مسؤولية كبيرة في كل هذا
(يخرج).

بـريـجـــــيـت: أيتها العذراء، هل يعني ما يقول يا أوين؟

أويـــــــن: أجل، إنه يعني ما يقول.

بـريـجـــــيـت: علينا أن نخبئ الحيوانات في مكان ما. أخونا
شيموس يعرف أين. ربما في النهاية الخلفية
لـ ليز نا نجراد ... أو في الكهوف في أطراف
ترابهان. تعال يا دوالتي! تعال! لا تظل واقفا
هناك!
لا يتحرك دوالتي. تركض بريجيت نحو الباب
وتتوقف فجأة. تشم الهواء:
الرائحة العذبة! شُمَّها! إنها الرائحة العذبة!
يا إلهي إنها آفة البطاطس!

دوالـــــتـــي: إنها خيام الجيش تحترق يا بريجيت.

بـريـجـــــيـت: صحيح؟ هل أنت متأكد؟ هل تلك هي الرائحة؟
اعتقدت والله أننا دُمِّرنا تماما. هيا! هيا!
(تهرع خارجة، يمضي أوين نحو سارة التي
تستعد للمغادرة).

أويـــــــن: كيف حالك؟ هل أنت على ما يرام؟
تومئ سارة: نعم
لا تقلقي. ستعود إليك اللغة ثانية؟
تهز سارة رأسها

ستعود. أنت الآن مضطربة. لقد أخافك. هذا كل ما في الأمر من خطأ.

مرة أخرى تهز سارة رأسها ببطء وتصميم وتبتسم لأوين. ثم تغادر

أوين يشغل نفسه بجمع مقتنياته. يغادر دوالتي النافذة ويذهب إليه.

دوالتي: سيفعلها أيضا.

أوين: إلا إذا ظهر يولاند.

دوالتي: هاه!

أوين: عندها سيفعلها بالتأكيد.

دوالتي: عندما كان جدي صبيا فعلوا الأمر نفسه (ببساطة، ومن دون سخرية) وبعد كل هذه المتاعب التي عانيت، راسما خريطة للمكان ومفكرا بأسماء جديدة له.

(أوين يشغل نفسه).

(وقفة قصيرة).

(بلهجة تكاد تكون حالمة) أنا ملعون قليلا لأنني لم أدافع، لكن لن يطردني من دون معركة. وسيكون ثمة آخرون يفكرون بالطريقة ذاتها التي أفكر بها.

أوين: هذا أمر يخصك أنت.

دوالتي: لو أننا اتحدنا جميعا. لو عرفنا كيف ندافع عن أنفسنا.

أويـــــــــــن: ضد جيش مُدرَّب.

دوالـــــتـــــي: الأخوان دونالي يعرفان كيف يفعلان هذا.

أويـــــــــــن: إذا كان بالإمكان العثور عليهما.

دوالـــــتـــــي: إذا كان بالإمكان العثور عليهما (يتجه إلى الباب) نادني بعد أن تكون قد فرغت من لانسي. ربما أعرف شيئا عندها (يغادر).

يلتقط أوين سجل الأسماء ينظر إليه لحظة، ثم يضعه فوق الكومة التي يحملها. يسقط السجل على الأرض. ينحني ليلتقطه ... يتردد ... يتركه. يصعد السُلَّم إلى الطابق العلوي. وبينما يصعد أوين، يدخل هيو وجيمي جاك. كلاهما مبلل وثمل. جيمي مترنح جدا. إنه يهرول خلف هيو محاولا مقاطعة خطاب هيو.

هيو ثمل بالمثل، لكنه أكثر خبرة بالسُكْر: ثمة جزء من عقله يحتفظ بصفائه.

هـيــــــــــو: هناك كنت، مستعدا استعدادا مناسبا لتقديم تعازيَّ للأم الثكلى...

جـــيــــمـي: هيو ...

هـيــــــــــو: وعلى وشك أن أدخل ببيت العزاء ... مائيرشاتاش؟

جـــيــــمـي: بيت السهر على الميت.

هـيــــــــــو: بالفعل. حين أحسست بنقر على كوعي، فإذا

بالسيد جورج أليكساندر، قاضي الصلح، يقول أخبار غير سعيدة ... بريجيت؟ بطيئة جدا، دوالتي؟

جيمي: غير سعيدة.

هيو: صح غير سعيدة «تم تعيين الأستاذ بارتلي تيملين في المدرسة الوطنية الجديدة».
«تيملين؟ من هو تيملين؟».
«مدير مدرسة من كورك وسيكون أصلا استثماريا كبيرا للمجتمع: إنه أيضا طبيب خنازير ماهر جدا».

جيمي: هيو ...

هيو: ها... ها... ها... ها! طبيب الخنازير من كورك! أنا بربري هنا لأن لا أحد يفهمني... جيمس؟

جيمس: أوفيد.

هيو: واصل

جيمي: «أنا بربري في هذا المكان لأنه لا أحد يفهمني».

هيو: صح ... (يصرخ) يا مانوس! اجلب الشاي! سوف أنظم قصيدة أهجو بها الأستاذ بارتلي تيملين، مدير المدرسة وطبيب الخنازير. لكن هذا سيكون أمرا غاية في السهولة، أليس كذلك؟ (يصرخ) شاي قوي! أسود!

الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها جيمي لفت انتباه هيو، هي الوقوف أمامه والإمساك بيديه.

جيمي: هلا أصغيت لي يا هيو.

هيو: جيمس (يصرخ) وشريحة من خبز الصودا.

جيمي: سأتزوج.

هيو: حسنا!

جيمي: في عيد الميلاد.

هيو: رائع.

جيمي: من أثينا.

هيو: من؟

جيمي: أثينا، إلهة الحكمة.

هيو: أثينا ذات العيون البراقة؟

جيمي: العيون البراقة يا هيو، العيون البراقة (يحاول الإيماءة التي قام بها قبلا: الوقوف بانتباه، التشنج المؤقت، التحية، الوجه مرفوع بنشوة مشوبة بالألم ... لكن الجسد هذه المرة لا يستجيب بصورة فعالة. الإيماءة غريبة مضحكة).

هيو: هل وافقت السيدة؟

جيمي: هي التي طلبتني ... ووافقت.

هيو: آه. متى حدث هذا؟

جيمي: ليلة أمس.

هيـــــــو: ماذا تقول أمها؟

جيـــــمي: ميتيس من هيليسبونت؟ شعب كريم ... أصل خيِّر.

هيـــــــو: ووالدها؟

جيـــــمي: سألتقي زيوس غدا. هيو، هل توافق على أن تكون وكيلي.

هيـــــــو: هذا يشرفني يا جيمس، يشرفني جدا.

جيـــــمي: أنت تعرف عمَّ أبحث يا هيو، أليس كذلك؟ أقصد أن أقول ... أنت تعرف ... أنا ... أنا ... أمزح مثل بقيتهم ... أنت تعرف؟ (مرة أخرى يحاول الإتيان بالحركة العاطفية المعتادة، لكنه يتخلى عن ذلك فورا) أنت تعرف بنفسك يا هيو أليس كذلك؟ أنت تعرف كل شيء عن هذا. ولكن ما أبحث عنه حقيقة يا هيو ... ما أريده في الحقيقة هو الصحبة يا هيو ... في مثل سني، الصحبة، الرفقة، شخص أتحدث معه. في أعالي بين ناغايوتي ... أنت ليس لديك فكرة كم أشعر بالوحدة. الصحبة ... صحيح يا هيو؟ صحيح؟

هيـــــــو: صحيح.

جيـــــمي: وأنا أحببتها دائما يا هيو، صحيح؟

هيـــــــو: صحيح يا جيمس.

جيـــــمي: شخص أتحدث معه.

هيـــــــو: بالفعل.

جيـــــمي: هذا كل ما في الأمر يا هيو. القصة كلها. أنت تعرفها الآن كلها يا هيو. تعرفها كلها.

يبكي جيمي وهو يقول تلك السطور الأخيرة، هازا رأسه محاولا الحفاظ على توازنه، ورافعا إصبعا من أصابعه إلى شفتيه بإيماءات عابثة توحي بالسرية والصداقة الحميمة. الآن يترنح مبتعدا، يحاول أن يجلس على كرسي أقدام، يخطئ الكرسي، ينزلق إلى الأرض، قدماه أمامه، ظهره مستند إلى العربة المحطمة. وسرعان ما يغط في النوم.

هو يراقب كل هذا ثم يخرج قارورته، وما أن يهم يصب جرعة. حتى يقع نظره على سجل الأسماء على الأرض. يلتقطه ويتصفحه، متلفظا الأسماء الغريبة وهو يقلب أوراقه. في اللحظة التي بدأ فيها، يظهر أوين ويهبط الدرج حاملا طاستين من الشاي.

هيـــــــو: باليبيج، بيرنفوت، كينجزهيد، واتيبلينز، فيرهيل، دنبوي، جرين بانك.

يختطف أوين السجل من هيو.

أويـــــــن: سآخذ هذا (معتذرا)، إنها مجرد قائمة أسماء.

هيـــــــو: أنا أعرف ما هو.

أويـــــــــن: الغلطة ... غلطتي أنا ... لا شيء له علاقة بنا. آمل أن يكون (الشاي) قويا بما فيه الكفاية (يرمي السجل على الطاولة ويذهب إلى جيمي) جيمي استيقظ يا جيمي، استيقظ يا رجل.

جـــيـــمي: ماذا ... ماذا ... ماذا؟

أويـــــــــن: خذ اشرب هذا. ثم اذهب إلى بيتك. ربما تحدث متاعب. هل تسمعني يا جيمي؟ ربما تحدث متاعب.

هـــيـــــو: (مشيرا إلى سجل الأسماء) يجب أن نتعلم هذه الأسماء الجديدة.

أويـــــــــن: (يبحث حوله) هل رأيت كيسا ملقى هنا أو هناك؟

هـــيـــــو: يجب أن نتعلم أين نعيش. يجب أن نتعلم كيف نجعلها ملكنا. يجب أن نجعل تلك الأماكن وطننا الجديد.

يجد أوين كيسا ويرميه على كتفيه.

أويـــــــــن: أنا أعرف أين أعيش.

هـــيـــــو: جيمس يعتقد أنه يعرف أيضا. إنني أنظر إلى جيمس فتخطر ببالي ثلاث أفكار: أ: إن مايشكلنا ليس الماضي الحرفي، ليس «وقائع» التاريخ، ولكن صورا عن الماضي المجسدة في اللغة. لقد توقف جيمس عن إيجاد هذا التمييز.

أويــــــــــــن: لا تعطني محاضرة يا والدي.

هـيــــــــــــو: ب: ينبغي علينا ألا نتوقف أبدا عن إعادة تجديد تلك الصور، لأننا ما إن نتوقف، حتى يصيبنا التحجر. ألا يوجد خبز صودا.

أويــــــــــــن: ج: يا والدي هي «واقعة» وحيدة واحدة لا بديل لها: إذا لم يتم العثور على يولاند، فسوف نُطرد جميعا. لقد أصدر لانسي الأمر.

هـيــــــــــــو: مرسوم القائد.

أويــــــــــــن: ينبغي أن تخلع هذه الملابس المبتلة. عليَّ أن أذهب، عليَّ أن أرى دوالتي دان دوالتي.

هـيــــــــــــو: من أجل ماذا؟

أويــــــــــــن: سأعود في الحال.

(بينما يخرج أوين).

هـيــــــــــــو: اعتن بنفسك يا أوين. أن يتذكر المرء كل شيء هو شكل من أشكال الجنون. (ينظر في أرجاء الغرفة بعناية كما لو أنه على وشك أن يغادرها إلى الأبد، ثم ينظر إلى جيمي الذي عاد إلى النوم مرة أخرى).

في الطريق إلى سيلجو في صباح يوم ربيعي سنة ١٧٩٨ ونحن ذاهبان إلى خوض المعركة. هل تتذكر ذلك يا جيمس؟ شابان فتيان يحملان الرماح على أكتافهما وملحمة

الإنيادة(*) في جيوبهما. بدا كل شيء واضح
العالم في ذلك الربيع ... تناغم ... تطابق
معجز بين الأمل والماضي والحاضر والإمكان.
وبينما كنا نخطو عبر الأرض الخضراء
النضرة، ارتفعت إيقاعات الإدراك، وتسارع
مشروع الوعي بأكمله. كنا آلهة في ذلك
الصباح يا جيمس، وكنت قد تزوجت منذ
وقت قريب كاتلين دوبه نيك رياكتاين يرحمها
الله. وأن أتركها وولدي الرضيع لا يزال في
مهده، ذاك كان بطوليا أيضا. والله يا سيدي
لقد كنا رائعين. لقد سرنا حتى وصلنا ...
أين؟ جلينتايز! ثلاثة وعشرون ميلا كاملة في
يوم واحد. وهناك في حانة فيلان أخذنا
الحنين إلى أثينا تماما يوليسيس التوق إلى
أهلنا الحاجة إلى أشيائنا. كان ولاؤنا يا
جيمس لأشياء أقدم وأهدأ. وتلك كانت أطول
ثلاثة وعشرين ميلا أرجعها في حياتي
(يشرب نخب جيمس) الحيرة، يا صديقي،
ليست حالة خسيسة.

(تدخل مائير).

مائير: ها أنا عدت ثانية. خرجت بحثا عن مكان ما،

(*) الإنيادة: ملحمة للشاعر الروماني فيرجيل (٧٠-١٩ق.م) بطلها إينياس الذي يصل هاربا من طروادة إلى إيطاليا، بعد مغامرات عديدة، ليضع الحجر الأساس للأمة الرومانية حسب الأسطورة التي يعتنقها الرومان القدماء (المراجع).

ولكنني لم أستطع تذكر أين هو، وهكذا عدت إلى هذا المكان.

هـيــــــــــــو: أجل، سوف أدرّسك اللغة الإنجليزية يا مائير شاتاش.

مــــــائيـــــــر: هل ستفعل يا أستاذ؟ يجب أن أتعلمها. أحتاج إلى أن أتعلمها.

هـيــــــــــــو: في الحقيقة قد تكونين تلميذتي الوحيدة (يذهب نحو السُلَّم ويبدأ في الصعود)

مــــــائيـــــــر: متى يمكننا أن نبدأ؟

هـيــــــــــــو: ليس اليوم. ربما غدا. بعد الجنازة. سنبدأ غدا (صاعدا) لكن لا تنتظري الكثير. سوف أزودك بالكلمات وقواعد النحو المتوافرة، ولكن هل سيساعدك هذا في الترجمة بين خلوة وأخرى؟ ليس لدي فكرة. لكن هذا كل ما نملك. ليس لدي أي فكرة أبدا. (هو الآن في الأعلى).

مــــــائيـــــــر: أستاذ، ماذا تعني الكلمة الإنجليزية «دائما»؟.

هـيــــــــــــو: (باللاتينية) دائما، طوال الوقت. هي «آي» عند اليونان، هي ليست من الكلمات التي أبدأ بها كلامي. إنها كلمة سخيفة يابنت (يجلس).

(يستيقظ جيمي. يقف على قدميه).

ترى مائير سجل الأسماء، تلتقطه، وتجلس وهي تضعه على ركبتها.

مـــــائيـــــر: حينما يعود فإنه سيرجع إلى هنا. أخبرني أنه هنا يشعر بأعلى درجات السعادة.

(يجلس جيمي قرب مائير).

جـــــيـــــمـي: هل تعـرفين معنى الكلمة اليونانية «إندوجامين»؟ معناها أن يتزوج المرء من داخل القبيلة. وتعني كلمة «إكسيوجامين» أن يتزوج المرء من خارج القبيلة. والمرء لا يعبر تلك الحدود ببساطة، فكلا الطرفين يغضب. المشكلة الآن هي ما يلي: هل أثينا مخلوقة فانية فناء وافيا، او إنني أشبه إلها شبها وافيا بحيث يكون الزواج مقبولا لدى أهلها وأهلي؟ فكري بذلك.

كانت هناك مدينة في الأزمنة القديمة قيل إن جونو أحبتها أكثر من أي بقعة من بقاع الأرض. وكان هدف الإلهة وأملها المنشود أن تكون هنا عاصمة كل الأمم ... إذا تصادف وسمحت الأقدار بهذا. ومع ذلك اكتشفت في الحقيقة أن عرقا كان ينشأ من الدم الطروادي ليدمر في أحد الأيام هذه الأبراج الصورية(*) ... شعب ملوك فخورون بالحرب ذوو عوالم واسعة،

(*) نسبة الى مدينة «صور» الكنعانية على الساحل السوري. ولكن المقصود هنا أبراج قرطاجنة (في تونس الحالية)، التي يقال إن بُناتها كانوا مهاجرين من «صور»، والإشارة هي إلى تدمير الرومان لقرطاجنة الكنعانية في عام ٢٠٢ق.م. (المراجع)

سيتقدمون لإسقاط ليبيا .. هكذا كان هكذا كان المسار ... هكذا كان المسار المفروض ... الذي فرضه القدر... ما خطبي بحق الجحيم؟ بالتأكيد أنا أعرفها معكوسة، سأبدأ مرة أخرى كانت هناك مدينة في الأزمنة القديمة أحبتها بونو أكثر من أي بقعة من بقاع الأرض.

(يبدأ تخفيف الأضواء)

وكان هدف الآلهة وأملها المنشود أن تكون هنا عاصمة كل الأمم ... تصادف وسمحت الأقدار بهذا، ومع ذلك اكتشفت في الحقيقة أن عرقا كان ينشأ من الدم الطروادي ليدمر في يوم من الأيام تلك الأبراج الصورية ... شعب ملوك فخورين بالحرب، ذوي عوالم واسعة سيتقدمون لإسقاط ليبيا.

ظلمة تامة...

المترجم في سطور

محمد بن عبدالغني محمد غنوم

● من مواليد ١٩٥٨، سوريا.

● حاصل على الإجازة الجامعية في اللغة الإنجليزية، جامعة دمشق، ١٩٨٠. والماجستير في النقد الأدبي، جامعة كولومبيا - نيويورك، عام ١٩٨٩، وحاصل على شهادة الدكتوراه في النظرية النقدية المعاصرة، جامعة كولومبيا - نيويورك، عام ١٩٩١.

● أستاذ مساعد في جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية اللغات والترجمة للنقد الأدبي والرواية والمسرحية (المملكة العربية السعودية).

● عضو جمعية اللغة الحديثة الأمريكية، نيويورك، ١٩٨٦.

● له أنشطة علمية وقدم دراسات لكل من: دار الدائرة للنشر والتوثيق، دار الملك عبدالعزيز، جامعة الملك سعود.

المراجع في سطور

محمد الأسعد

● من مواليد فلسطين، ١٩٤١.

● حاصل على بكالوريوس تجارة واقتصاد، جامعة بغداد، ١٩٦٧، وعلى ليسانس آداب، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٥.

● صحافي وكاتب وشاعر وناقد أدبي ومترجم وباحث، له عدة دراسات وترجمات منشورة في الدوريات العربية، مثل: الآداب (بيروت)، الفكر العربي المعاصر (بيروت)، العصور الجديدة (القاهرة)، الثقافة العالمية وجريدة الفنون ومجلة الكويت وجريدة البيان (الكويت).

● كاتب عمود يومي في «القبس» منذ عام ٢٠٠٢.

● له عدة مقالات في صحيفة الحياة (لندن)، صحيفة الخليج (الإمارات العربية المتحدة)، صحيفة المستقبل (بيروت).

● له عدة أعمال شعرية مطبوعة، وهي: الغناء في أقبية عميقة، حاولت رسمك في جسد البحر - لساحلك الآن تأتي الطيور - مملكة الأمثال.

● له عدة أعمال روائية مطبوعة، وهي: «أطفال الندى»، «نص اللاجئ»، «حدائق العاشق»، «شجرة المسرات: سيرة ابن فضلان السرية».

● له عدة أعمال مترجمة، وهي:

مسرحية «بعد السقوط»، من سلسلة «من المسرح العالمي»، «واحدة بعد الأخرى تتفتح أزهار البرقوق»، «دراسة في جماليات قصيدة الهايكو اليابانية»، سلسلة «إبداعات عالمية»، «ست وصايا للألفية القادمة»، سلسلة «إبداعات عالمية».

تنويه

نحيط القارئ علما بأن العدد ٣٥٤ من سلسلة «إبداعات عالمية»، وهو مسرحية «المقهى» تأليف: لاوشه، مترجم من اللغة الصينية، وهذا هو العنوان الأصلي للعمل، لذا وجب التنويه.

茶 馆

老 舍 著

中国戏剧出版社

一九八七年

إصدارات قادمة

رواية «الشباب»

تاليف : ج . م كويتزي

ترجمة : د . شعبان عبدالعزيز عفيفي

مراجعة : د . سليمان خالد الرباح

ترجمت عن الإنجليزية

ما صدر من هذه السلسلة

314	حياة إنسان	تأليف: ليونيد أندرييف
315	دون كيشوت	تأليف: ميخائيل بولجاكوف
316	واحدة بعد أخرى تتفتح أزهار البرقوق	تأليف: كنيث ياسودا
317	ملحمة علي الكاشاني	تأليف: خلدون طائر
318	نون والقلم	تأليف: جلال آل أحمد
319	سيري سامبيجي	تأليف: تشاندرا سيخار كامبار
320	أيام بورمية	تأليف: جورج أورويل
321	ست وصايا للألفية القادمة	تأليف: ايتالو كالفينو
322	السكرتير الخصوصي	تأليف: ت. س. اليوت
323	قصص برازيلية	تأليف: مجموعة من القاصين البرازيليين
324	شذرات في خطاب في العشق	تأليف: رولان بارت
325	لون الماء	تأليف: جيمز ماكبرايد
326	وجهان لحواء	تأليف: أمريتا بريتام
327	المنزل ذو الشرفات السبع	تأليف: اليخاندرو كاسونا
328	من الأدب الباكستاني الحديث	تأليف مجموعة من القاصين الباكستانيين
329	مختارات من القصة التركية المعاصرة	تأليف: مجموعة من القاصين الأتراك
330	مسرحية محكمة العدل في بلخ	تأليف: بهرام بيضائي
331	مطبخ - خيالات ضوء القمر	تأليف: بنانا يوشيموتو
332	الطباخون الأشرار	تأليف: جونتر جراس
	الجرة المكسورة	تأليف: هاينرش فون كلايست
333	شمل تشابه ضائع	تأليف: أندريه شديد
334	حكايات الهنود الأمريكيين وأساطيرهم	تأليف: فلاديمير هلباتش
335	زهرة الصيف	تأليف: مجموعة من القاصين اليابانيين
336	طام - طام زنجي	تأليف: ليوبولد سيدار سنغور
337	اليبروح	تأليف: نيكولو ماكيافللي
338	منزل النور	تأليف: جوهر مراد
339	كثبان النمل في السافانا	تأليف: تشنوا أشيبي
340	أناتول وجنون العظمة	تأليف: أرتور شنيتسلر
341	غرام ميتيا	تأليف: إيفان بونين
342	آرتجندن والحارس الليلي	تأليف: فيمي أوسوفيسان
343	ورقة في الرياح القارسة	تأليف: تنغ - هسنغ يي

ما صدر من هذه السلسلة

344	مدرسة الدكتاتور	تأليف: إيريش كستنر
345	رسائل عيد الميلاد	تيد هيوز
346	حكايات وخرافات أفريقية (١) الطفل الملك	سليمان جيفو ديوب
347	مسرحية عذراء أورليان	تأليف: فريدريش شيللر
348	حكايات وخرافات أفريقية (٢) الأدغال والسهول العشبية تحكي	سليمان جيفو ديوب
349	القصة القصيرة الإسبانو أمريكية في القرن العشرين	تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالأسبانية
350	مسرحيتي: ١- محنة الأخ جيرو ٢- تحول الأخ جيرو	تأليف: وول شوينكا
351	روض الأدب (مختارات قصصية)	تأليف: أو. هنري ترجمة: محمد ناصر صلاح مراجعة: د. عبدالمحسن دشتي
352	مسرحية «أنتيجون»	تأليف: ب. بريشت ترجمة: د. مشهور مصطفى مراجعة: مصطفى بزون
353	أجمل حكايات الزن يتبعها فن الهايكو	تأليف: هنري برونل ترجمة: محمد الدنيا مراجعة: د. محمود رزوقي
354	مسرحية «المقهى»	تأليف: لاوشه ترجمة: د. عبدالعزيز حمدي عبدالعزيز مراجعة: د. تشانغ يوي تشي

قسيمة اشتراك

البيان	إبداعات عالمية		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة عالم المعرفة	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	دك	دولار
المؤسسات داخل الكويت	٢٠	-	١٢	-	١٢	-	٢٥	-
الأفراد داخل الكويت	١٠	-	٦	-	٦	-	١٥	-
المؤسسات في دول الخليج العربي	٢٤	-	١٦	-	١٦	-	٣٠	-
الأفراد في دول الخليج العربي	١٢	-	٨	-	٨	-	١٧	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	-	٥٠	-	٣٠	-	٢٠	-	٥٠
الأفراد في الدول العربية الأخرى	-	٢٥	-	١٥	-	١٠	-	٢٥
المؤسسات خارج الوطن العربي	-	١٠٠	-	٥٠	-	٤٠	-	١٠٠
الأفراد خارج الوطن العربي	-	٥٠	-	٢٥	-	٢٠	-	٥٠

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الاسم:
العنوان:
اسم المطبوعة: مدة الاشتراك:
المبلغ المرسل: نقداً / شيك رقم:
التوقيع: التاريخ: / / ٢٠٠م

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت.
وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص . ب : ٢٨٦٢٣ – الصفاة – الرمز البريدي 13147
دولة الكويت

أسماء وكلاء التوزيع

الكويت

درة الكويت للتوزيع
شارع جابر المبارك- بناية النفيسي والخترش
ص. ب ٢٩١٢٦ الرمز البريدي ١٣١٥٠
ت: ٢٤٠٥٣٢١ - ١١/٢٤١٧٨١٠ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩

دولة الإمارات العربية المتحدة

شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع
دبي، هاتف: ٣٩١٦٥٠١/٢/٣ - فاكس: ٣٩١٨٣٥٤/٥/٦
مدينة دبي للإعلام - ص.ب ٦٠٤٩٩ دبي

السعودية

الشركة السعودية للتوزيع
الإدارة العامة - شارع الستين - ص.ب ١٣١٩٥
جدة ٢١٤٩٣ هاتف: ٦٥٣٠٩٠٩

سورية

المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
ص. ب - ١٢٠٣٥
ت: ٢١٢٧٧٩٧ / فاكس ٢١٢٢٥٣٢

جمهورية مصر العربية

مؤسسة الأهرام للتوزيع
شارع الجلاء رقم ٨٨ - القاهرة
ت: ٥٧٩٦٣٢٦ - فاكس ٧٣٩١٠٩٦

المغرب

الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
الدار البيضاء ص. ب ١٣٦٨٣
ت: ٤٠٠٢٢٣ - فاكس ٢٤٠٤٠٣١

تونس

الشركة التونسية للصحافة
تونس - ص. ب ٤٤٢٢
ت: ٣٢٢٤٩٩ - فاكس ٣٢٣٠٠٤

لبنان

الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات
بيروت ص. ب ٦٠٨٦ - ١١
ت: ٢٧١٩١٠ - فاكس ٣٦٦٦٨٣

اليمن

القائد للتوزيع والنشر
ت: ٢٠١٩٠١/٢/٣ - فاكس ٢٠١٩٠٩/٧

الأردن

وكالة التوزيع الأردنية
عمان ص. ب ٣٧٥ عمان ١١١١٨
ت: ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢

مملكة البحرين

مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف
ص. ب ٢٢٤ / المنامة
ت: ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٢٩٠٥٨٠

سلطنة عمان

المتحدة لخدمة وسائل الإعلام
مسقط ص.ب ٣٣٠٥ - روي الرمز البريدي ١١٢
ت: ٧٠٠٨٩٦ - فاكس ٧٠٦٥١٢

دولة قطر

دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع
الدوحة ص. ب ٣٤٨٨
ت: ٤٦٦١٦٩٥ - فاكس ٤٦٦١٨٦٥

الجزائر

المتحدة للنشر والاتصال
٢٣٨ شارع في دو موبسان الينابيع
بئر مراد رايس - الجزائر
ت: ٤٤٧٦١٦ - فاكس ٥٤٢٤٠٦

دولة فلسطين

وكالة الشرق الأوسط للتوزيع
القدس / شارع صلاح الدين ١٩
ص. ب ١٩٠٩٨ ت: ٢٣٤٣٩٥٤ - فاكس ٢٣٤٣٩٥٥

جمهورية السودان

مركز الدراسات السودانية
الخرطوم ص. ب ١٤٤١ هاتف ٤٨٨٦٣١

نيويورك

MEDIA MARKETING RESEARCHING
25-2551 SI AVENUE TEL: 4725488
FAX: 4725493

لندن

UNIVERSAL PRESS & MARKETING
LIMITED.
POWER ROAD. LONDON W 4 SPY.
TEL: 020 87423344

سلسلة إبداعات عالمية

«إبداعات عالمية» سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وكانت في السابق تصدر - شهريا - عن وزارة الإعلام تحت اسم سلسلة «من المسرح العالمي» حتى بعد انضمامها إلى المجلس الوطني عام ١٩٩٤، وكانت تعنى بنشر المسرحيات العالمية فقط.

وقد صدر العدد الأول من سلسلة «من المسرح العالمي» في أكتوبر ١٩٦٩، تحت عنوان مسرحية «سمك عسير الهضم»، تأليف: مانويل جاليتش، وبعد تغيير مسماها إلى سلسلة إبداعات عالمية عام ١٩٩٨، أصبحت تعنى بنشر الترجمات الإبداعية الراقية من لغات مختلفة، وتنطلق أهداف السلسلة (إبداعات عالمية) من فلسفتها في نشر الوعي الثقافي القائم على التراث الإنساني، من خلال نشر وتقديم ترجمات رصينة من الآداب العالمية، من روايات وقصص قصيرة ودواوين شعر ومسرحيات... وغيرها، من لغاتها الأصلية، بهدف تزويد المكتبة العربية بآثار هذه الثقافات المختلفة.

وترحب السلسلة باقتراحات النشر والترجمة المقدمة من المتخصصين، على أن تكون وفق الشروط التالية:

١- أن تكون المادة المقترح ترجمتها مميزة في المستوى الفكري والأدبي الرفيع، ولم يسبق نشرها في أي مكان آخر.

٢- يجب ألا يزيد حجم المادة على ٣٥٠ صفحة من القطع

المتوسط، وأن تكون مصحوبة بنبذة وافية عن الكتاب وموضوعاته وأهميته ومدى جدواه.

٣- يجب تقديم النص الأدبي المقترح نشره، أو ترجمته مع الكتاب في لغته الأصلية، ويرسل مطبوعاً على الآلة الكاتبة مع وضع نسخة من النص المترجم في ديسك أو CD، مع تدوين أرقام صفحات الكتاب الأصلي المقابلة للنص المترجم على جانب الصفحة المترجمة.

٤- السلسلة غير مسؤولة عن إعادة الكتب الأجنبية والنصوص الأصلية أو المترجمة التي لا يتم قبولها.

٥- المواد المقدمة للنشر أو الترجمة تخضع للتحكيم العلمي على نحو سري من قبل هيئة تحرير السلسلة، ويجري إرجاع النصوص إلى أصحابها لإجراء التعديلات أو الإضافات اللازمة عليها قبل نشرها، كما يجب ألا تحتوي النصوص على عبارات منافية للدين أو الأخلاق.

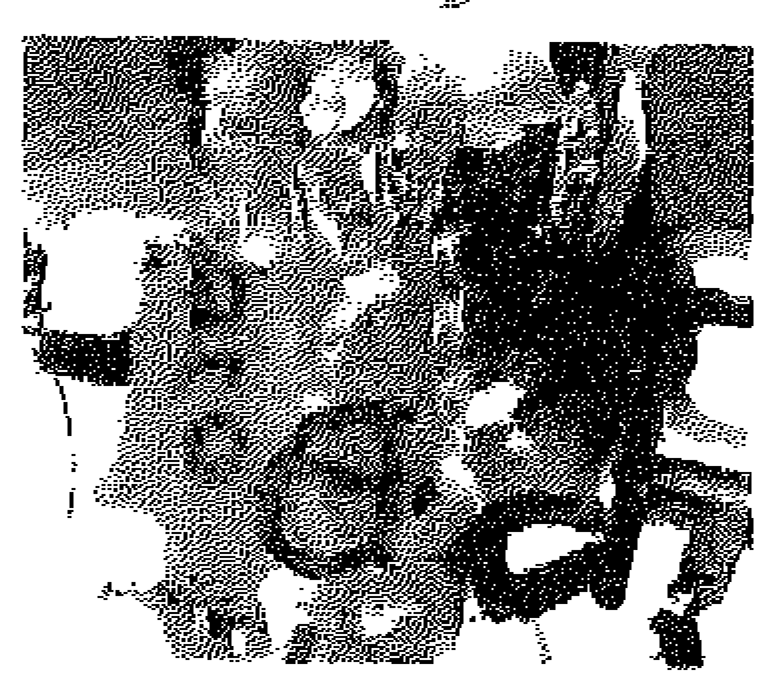
وفي حال الموافقة والتعاقد على الموضوع المترجم للنشر تصرف مكافأة للمترجم بمعدل ٢٠ فلسا عن الكلمة الواحدة في النص الأجنبي.

وفي جميع الحالات ينبغي إرسال سيرة ذاتية وافية (C.V) للمترجم، تتضمن البيانات الرئيسية عن نشاطه الأدبي السابق، وعنوان المراسلة التقليدي والإلكتروني، واسمه الثلاثي باللغة الإنجليزية حسب جواز سفره، بالإضافة إلى كتابة اسم البنك الذي يتعامل معه ورقم حسابه الذي ستحول المكافأة عليه.



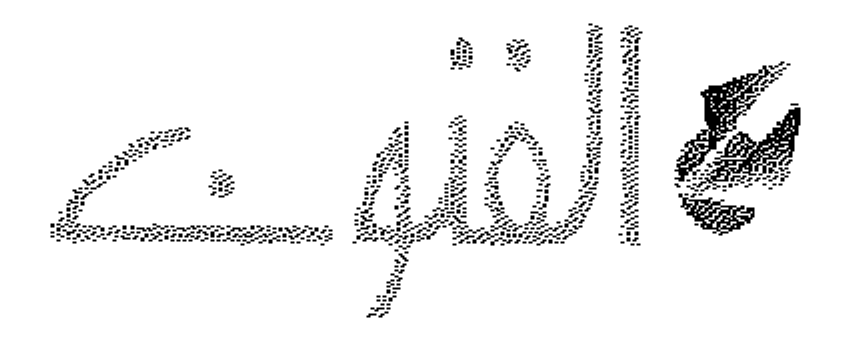
الكويت

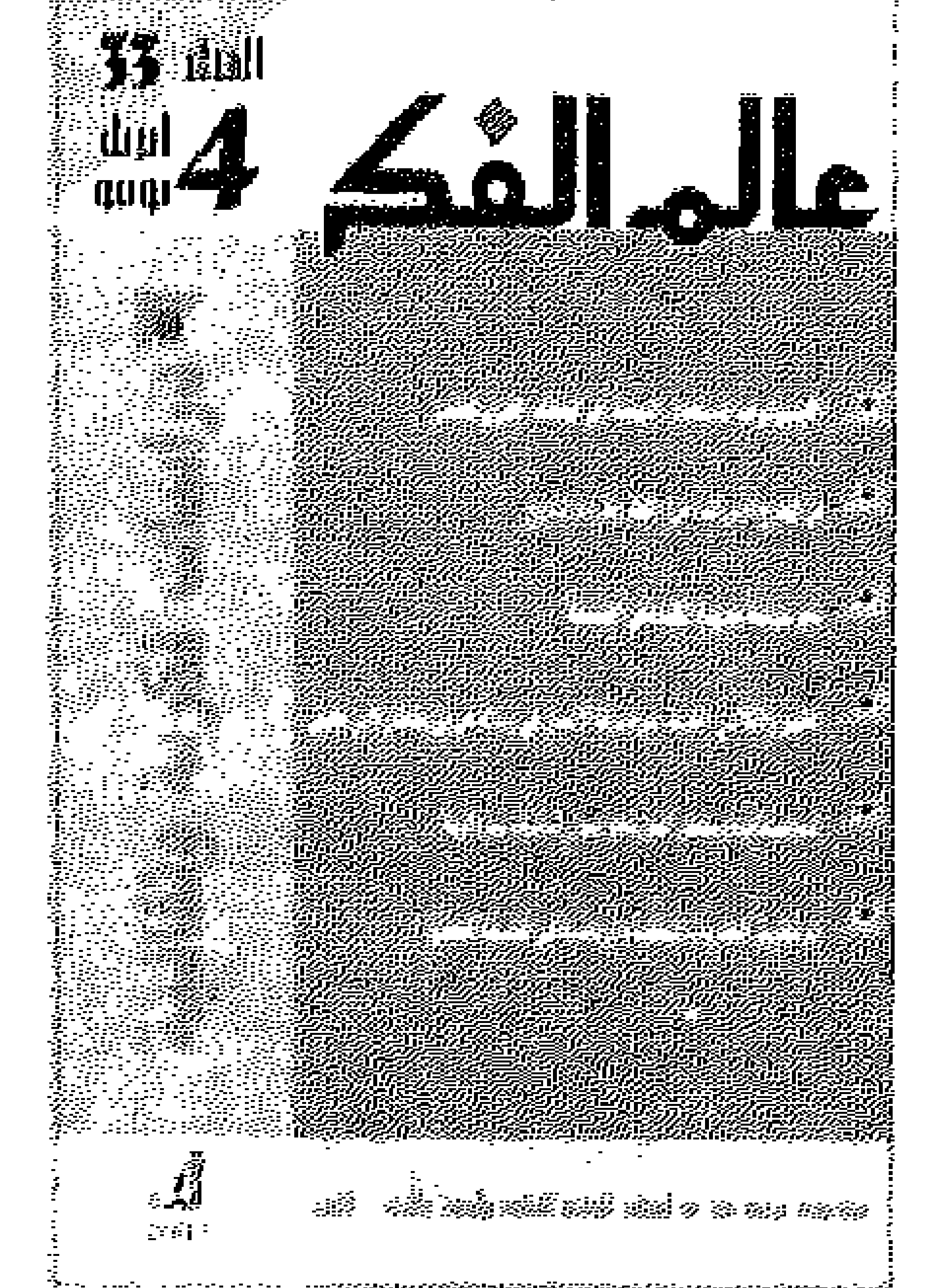




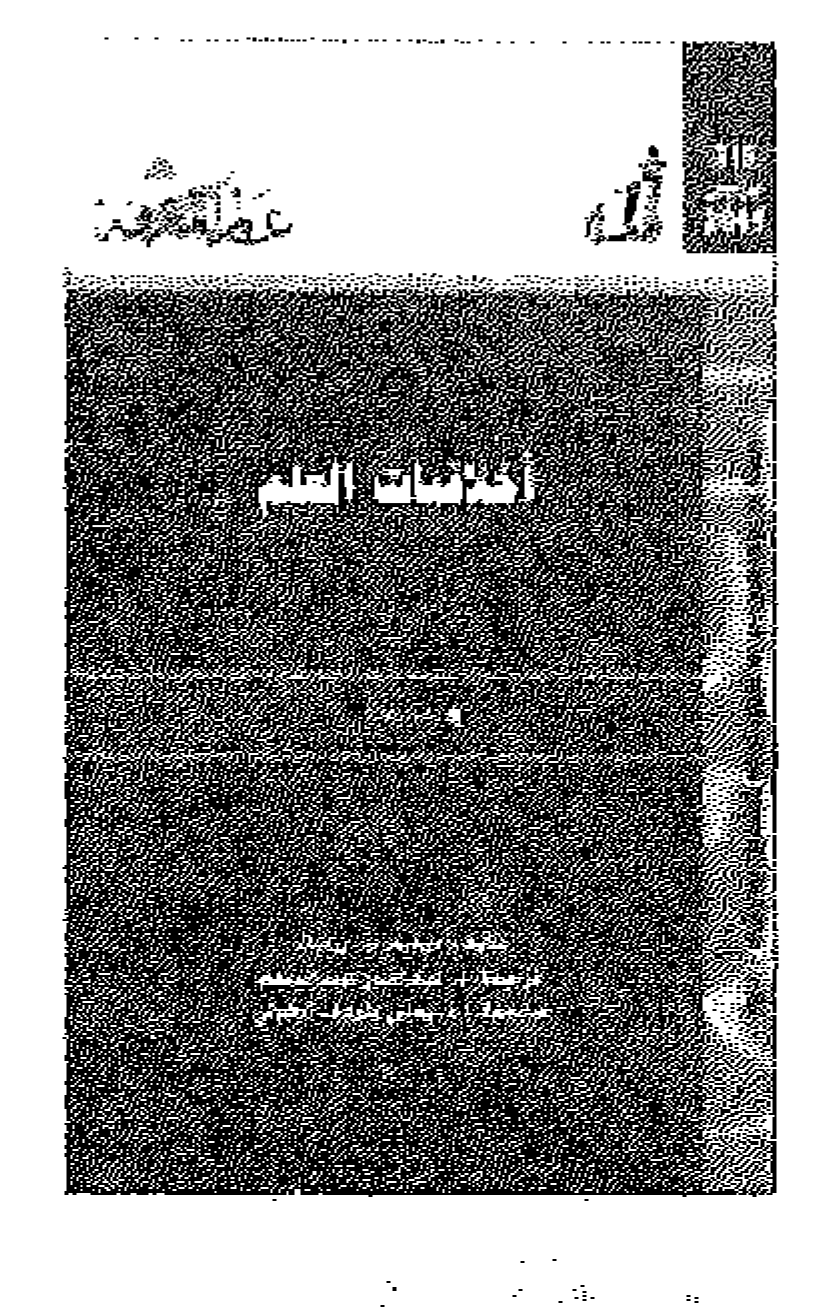
التصوير الكويتي بين التقليدية والمعاصرة

العمارة الإسلامية.. سمات باقية

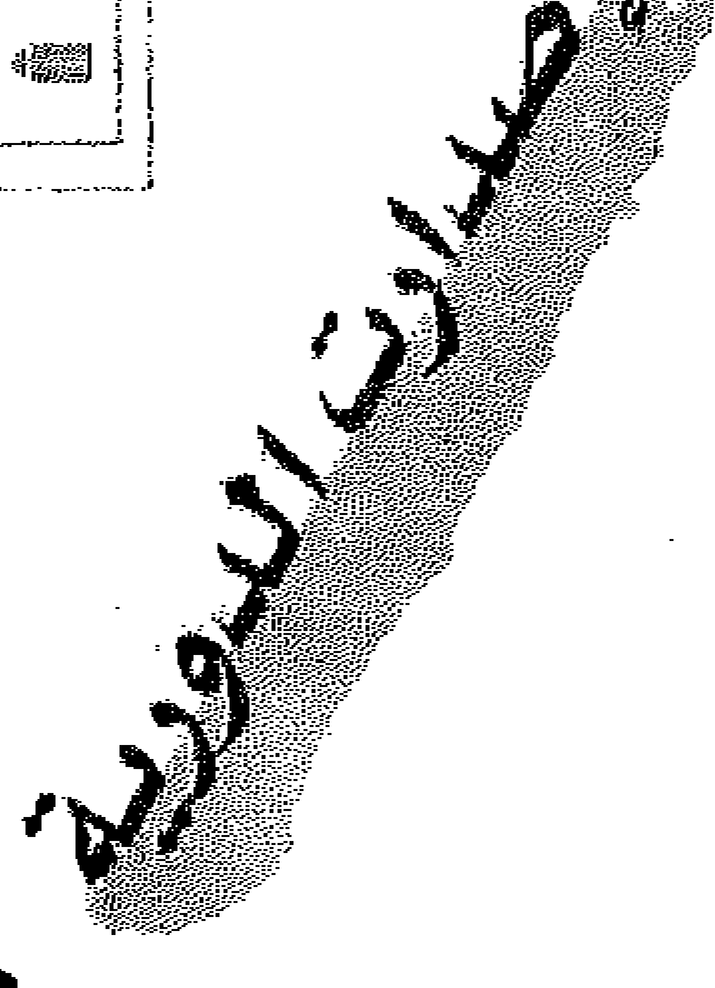




عالم الفكر



عالم المعرفة



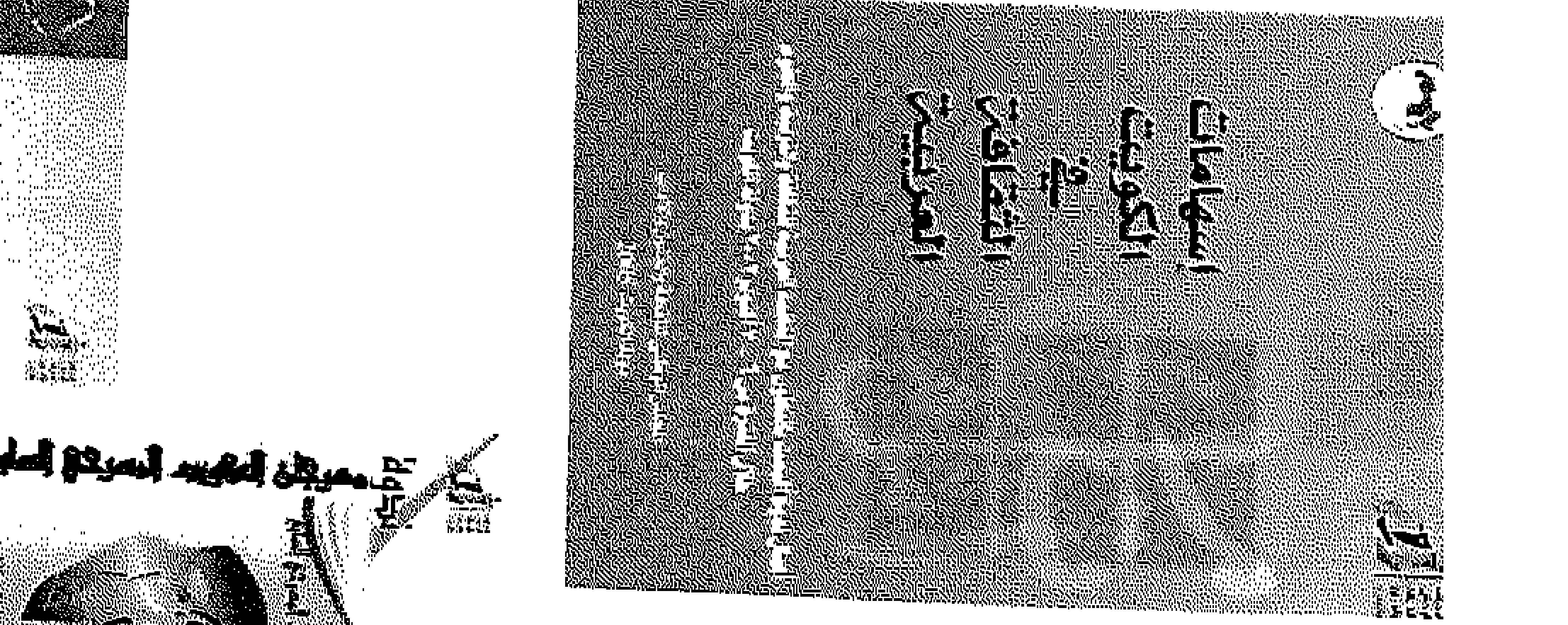
الثقافة العالمية

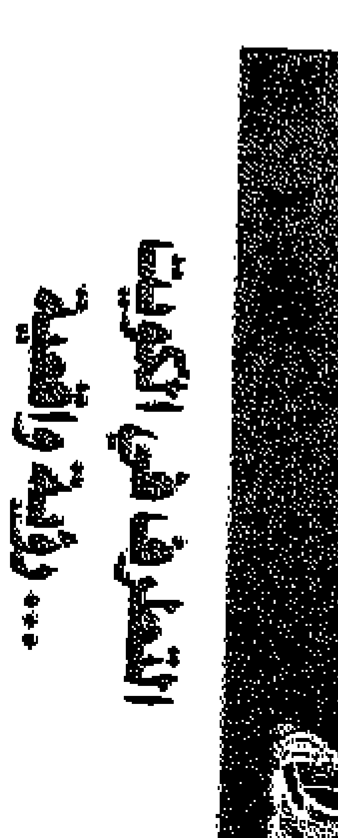


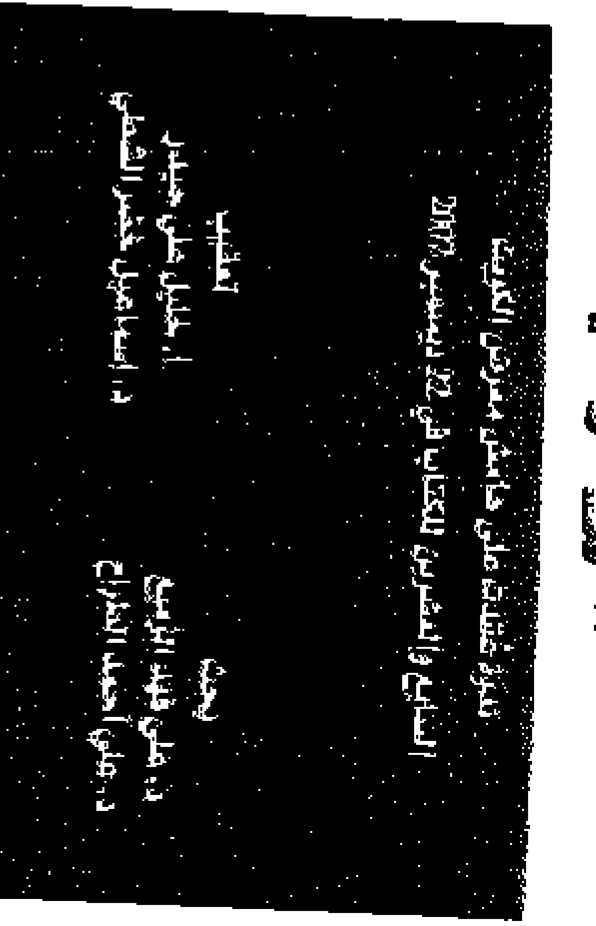
إبداعات عالمية

الإصدارات الدورية

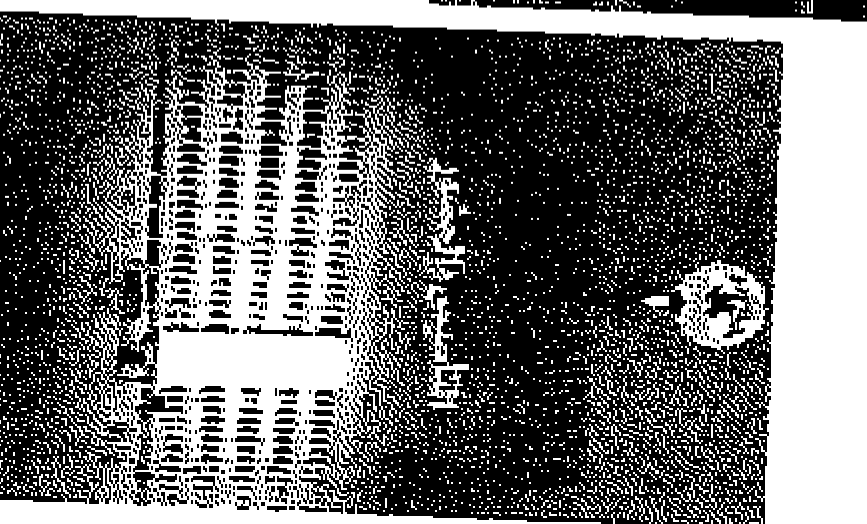
إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب





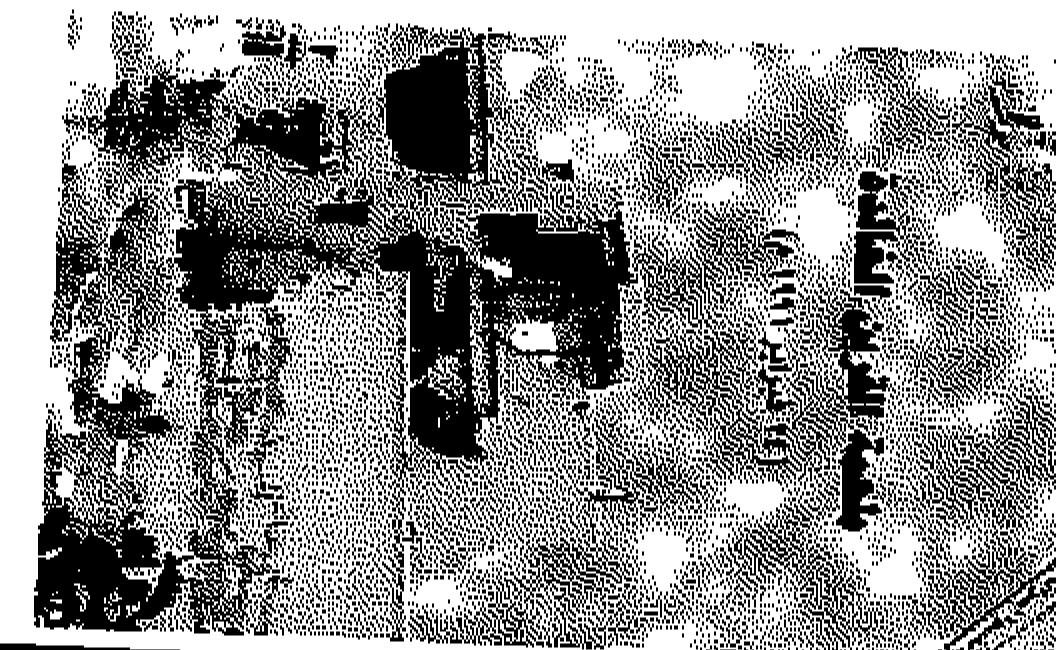


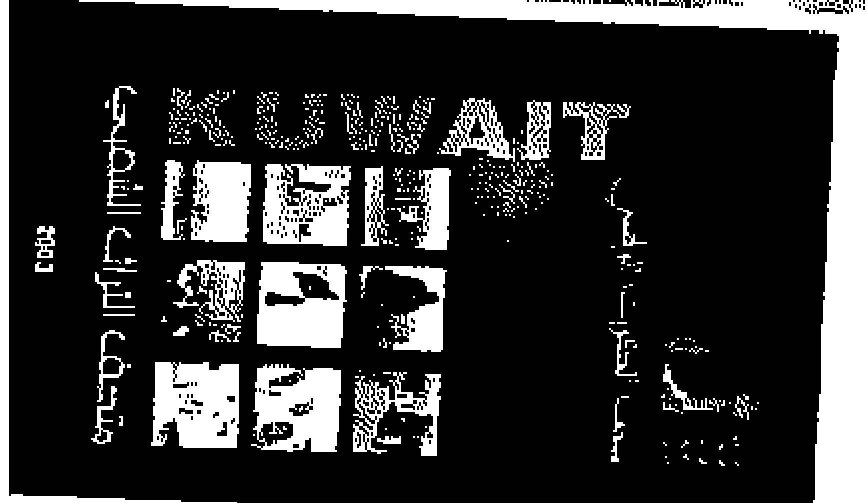


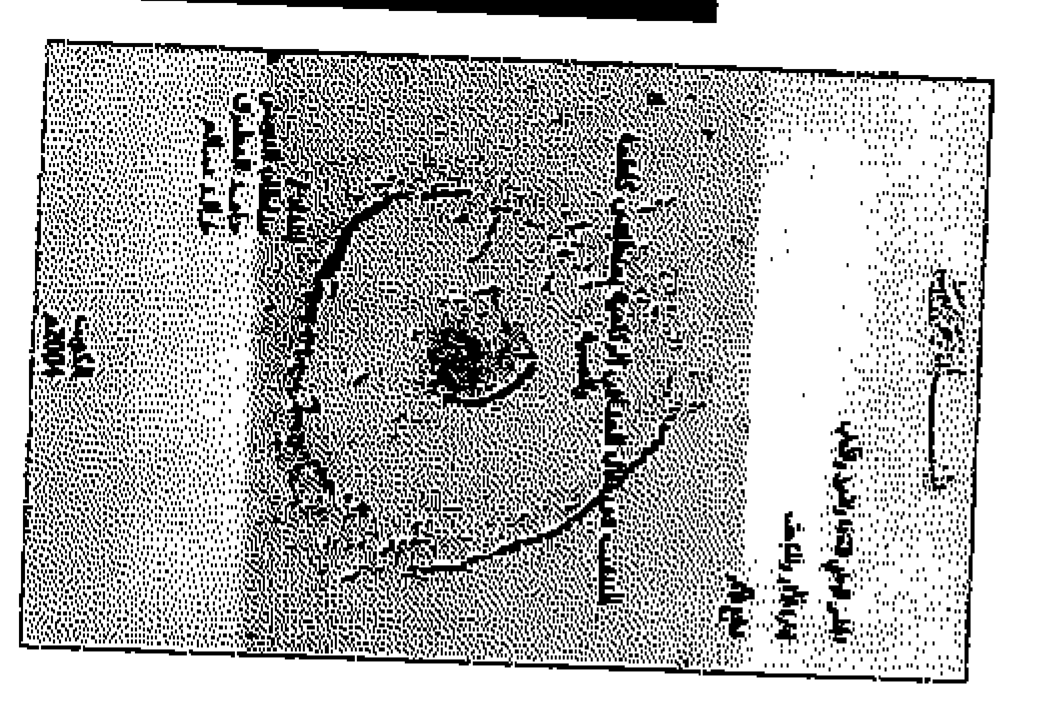


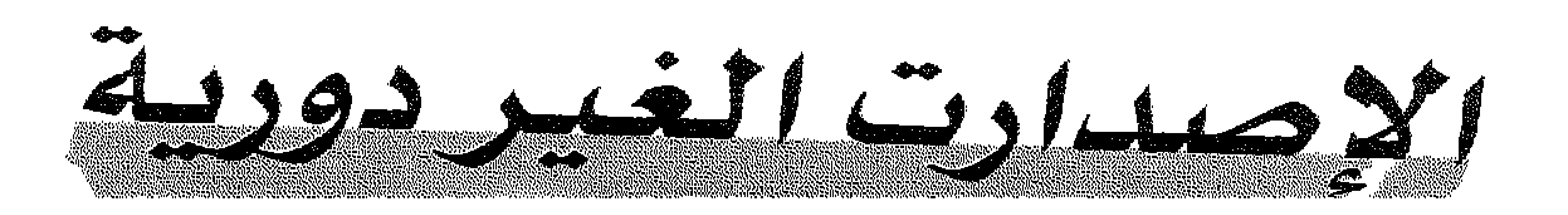












الإصدارت الغير دورية

• صناعة التاريخ • ترجمات

تقدم سلسلة «إبداعات عالمية» لقرائها في هذا العدد مسرحيتين من الأدب الأيرلندي، للكاتب برايان فرييل، وهما «صناعة تاريخ» و«ترجمات».

تلقي مسرحية «صناعة تاريخ» الضوء على عملية كتابة التاريخ وتفسير الحقائق، حيث سيجد القارئ أن ثمة طريقتين متصارعتين لكتابة التاريخ في المسرحية، يمثل الطريقة الأولى بطل المسرحية ذاته هيو أونيل، الذي يرغب في كتابة تاريخه بكل ما يحتوي من أحداث، سواء أكانت أحداثا عظيمة وانتصارات أم أحداثا مخزية من فقر وهزيمة ومنفى.

أما الطريقة الثانية في كتابة التاريخ فيمثلها بيتر لومبارد، الذي شهد الأحداث بنفسه، لكنه يقرر أن يكتب سيرة حياة هيو أونيل حسب ما يراه صالحا للنشر، فهو ينتقي الأحداث ويصوغها على شكل قصة شائقة للأجيال القادمة في أيرلندا. فيصور هيو أونيل على أنه بطل قومي أسطوري يحتذى.

أما المسرحية الثانية في هذا العدد (ترجمات) فيسلط الكاتب الضوء فيها على أسرة من منطقة «بايلي بيج» في أيرلندا، أفرادها هم مانوس وأوين، وهما أخوان، ووالدهما هيو، وهو يدير مدرسة متواضعة يعلم فيها اللغة اللاتينية.

يصور فرييل مجتمع بايلي بيج وثقافته على أنه مجتمع يمر بمرحلة خطيرة في تاريخه، فالمدرسة تفقد مكانتها يوما بعد يوم، والبريطانيون بدأوا يفتحون المدارس الوطنية التي تدرس باستخدام اللغة الإنجليزية. هذا المجتمع الذي أغلب أعضائه معاقون، لا يقوى على الصمود أمام الغزو البريطاني، فالمسرحية إذن تدور أحداثها حول اللغة، وموت اللغة الأيرلندية بوجه خاص، وبموتها تضيع الهوية الثقافية والقومية الأيرلندية، التي تعيش في ظل آفتي التشريد والهجرة.



ردمك: ٤ - ١٧٠ - ٠ - ٩٩٩٠٦
رقم الإيداع: ١٨.../٢٠٠٥